النور المبين

في

سيرة أمهات المؤمنين

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م

العنوان: النور المبين في سيرة أمهات المؤمنين
تأليف: علوي بن عبدالله بن حسين العيدروس
عدد الصفحات: ٤٠٤
قياس القطع: ١٧ × ٢٤

النور المبين
في
سيرة أمهات المؤمنين

تأليف
السيد علوي بن عبدالله بن حسين العيدروس
العلوي الحسيني



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي بعث إلينا أفضل الخلق على الإطلاق، فبين للأمة كل ما اتسع عليها وضاق، واختار له سبحانه وتعالى من يعينه في حمل كل أمر شاق، من نساء اختارهن الله تعالى ليبنين بيوت النبوة وينشرن عنه سعة الأخلاق، فوقفن بجانبه معينات له على قدم وساق، فهن أمهات المؤمنين، ورحمة للعالمين في كل نطاق، أما بعد...

فإن حياة النبوة وبالاخص بيوت النبوة لهي أحرى بالتأمل والتتبع؛ لما فيه من عبر ودلالات، وأحكام وتشريع وهدايات، وإن كل مؤمن ومؤمنة ليرغب أن يكون بيته وحياته ذات سعادة وفرح، وقدوة بمن لصدره الله شرح.

ولو تأملنا حياة النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل بيته ونسائه لرأينا فيها دستوراً عظيماً ومنهجاً كاملاً للحياة، فيه التوجيهات النبوية،

والمعاملات النورانية، وتصحيحاً لكثير من الأوضاع التي ينبغي أن تصحح في بيوت أهل الإيمان.

لهذا أحببنا دراسة بيوت النبوة، والغوص فيها لاستخراج جواهرها الغالية، حتى نرتقي في المقامات العالية، وإن كثيراً من أهل الإيمان لَيَجْهَلُ حياة أمهات المؤمنين وحياة النبي صلى الله عليه وسلم معهن؛ بل الكثير لا يعرف حتى أسمائهن، وهذا من العيب الكبير في حق أهل الإيمان، فكيف لا يعرف الواحد منا سيرة أمه وحياتها، وفي سيرتها وحياتها له عبر ودلالات، لو تأملها لاستقرت حياته وبيته على خير حال لو اقتدى.

كما أحببنا من خلال معرفتنا لسيرة أمهات المؤمنين الوقوف على المواقف التي فيها العبر والفوائد، وتعريف المؤمن بمكانة كل واحدة منهن مع ما خصصها الله به من الشرف العظيم حيث اختاراها لتكون زوجاً لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأماً للمؤمنين.

كما أحببنا رد الكثير من الشُبَهِ التي تثار حول بعض أمهات المؤمنين عليهن رضوان الله كدفاع عن أمهاتنا وزوجات نبينا صلى الله عليه وسلم، وكذا رد الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام ويتبعهم فيها ضعفاء الإيمان حول النبي صلى الله عليه وسلم في زواجه بأمهات المؤمنين عليهن رضوان الله.

وبتعرفنا على أخبارهن.. تزداد في القلوب محبتهن، فتميل القلوب إلى الاقتداء بهن والمشي على سيرتهن.

وقد سميته: ﴿**النور المبين في سيرة أمهات المؤمنين**﴾.

فأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك خالصاً مخلصاً لوجه الله الكريم، ومقرباً إلى جنات النعيم، وإرضاءً للنبي الأمين صلى الله عليه وسلم، ولأمهات المؤمنين ، وسبباً للمرافقة له صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وأصحابه الاكرمين، ونيل محل في قلبه صلى الله عليه وسلم وقلوب أمهات المؤمنين عليهن رضوان الله تعالى أجمعين، وسبباً للفوز بالسعادة الكبرى في الدنيا والأخرى، وأن يجعله تعالى دفاعاً عن الحبيب صلى الله عليه وسلم وأمهات المؤمنين وعن الدين، آمين اللهم آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

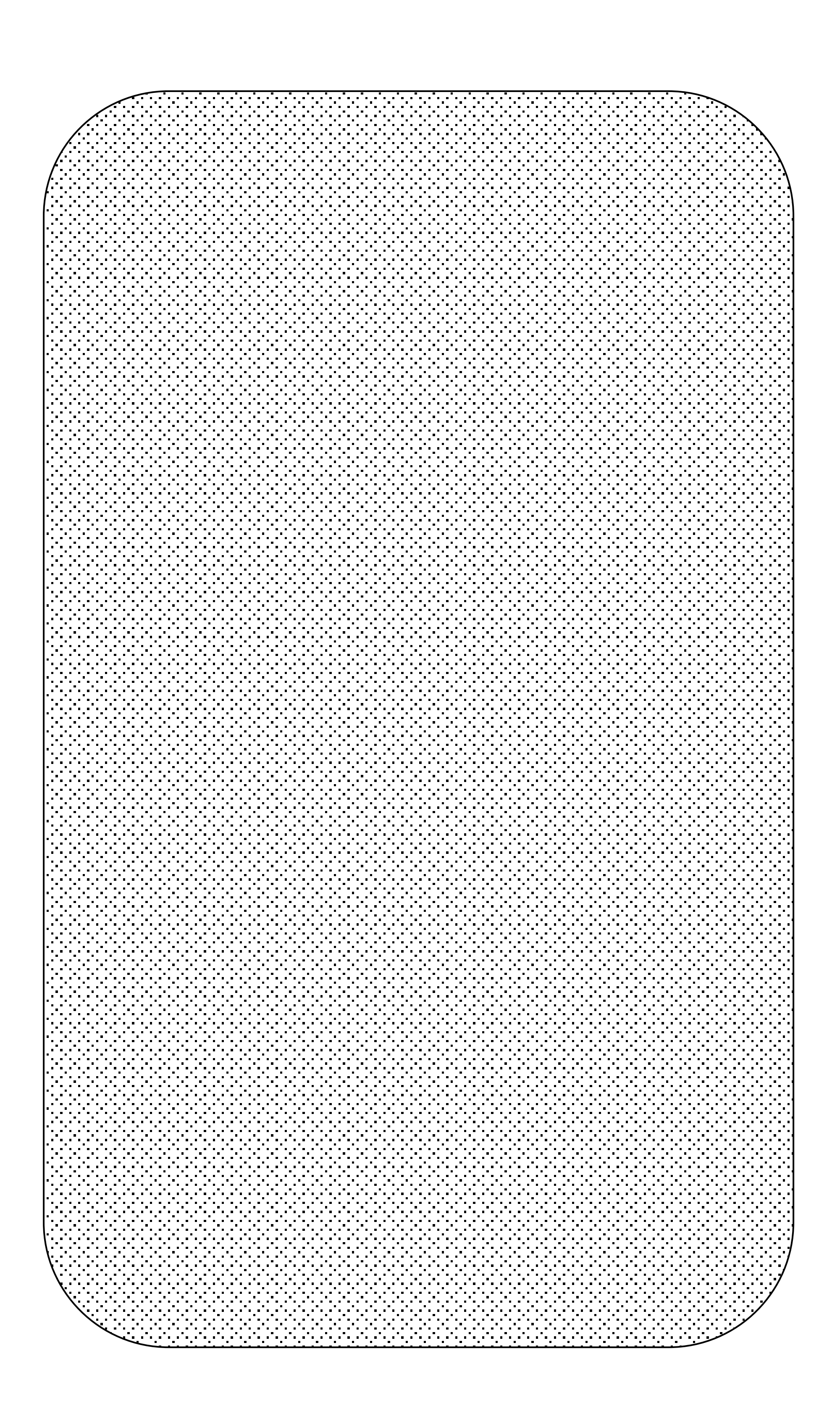
كتبه

علوي بن عبدالله بن حسين العيدروس

الأحد الثاني من شهر ربيع الثاني ١٤٣٥هـ

الموافق : الثاني من شهر فبراير ٢٠١٤م

تريم الغنّاء صانها الله من كل سوء



الكلام عن معنى أمهات المؤمنين

الكثير من الأمة يسمع أن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم هن أمهات المؤمنين، وكثيراً ما قرأ قوله تعالى ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾ {الأحزاب: ٦}، غير أن الكثير ممن يقرأ ذلك لا يعلم معنى الأمومة المقصودة في هذه الآية؛ لذلك أحببنا بيان ذلك قبل الخوض في ذكر سيرتهن وما ورد عنهن وأخبارهن في بيوت النبوة وما نستفيد من أخبار كل واحدة منهن، إذ كل واحدة منهن مدرسة كاملة للحياة، فنقول:

ذكر أهل العلم أن معنى الأمومة هنا هو التعظيم كالأم بمعنى أننا يجب أولاً أن نعظم أمهات المؤمنين كما نعظم أمهاتنا؛ بل أكثر من ذلك، وذلك واجب على كل مسلم؛ لأن الله تعالى أمرنا أن نكون بارين بآبائنا وأمهاتنا، فمن هنا وجب التعظيم والتوقير، ووجب أن نعرف لكل واحدة منهن منزلتها عند الله، وأن الله تعالى قد اختارها لتكون زوجة لأشرف مخلوق، فيجب أن نفقه هذا الاختيار وهذه المنزلة التي أنزلهن الله إياها، وأن نستشعر أنهن أمهاتنا وأن كل واحدة بالنسبة لي هي أم، فما واجبي تجاه أمي.

كذلك ذكر أهل العلم أن الأمومة هنا من باب تحريم النكاح، أي أنه يحرم على كل واحد من الأمة أن يتزوج بإحدى زوجاته صلى الله عليه

وسلم بعد انتقاله، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ {الأحزاب: ٥٣}.

ويترتب على هذه الأمومة أحكام كثيرة تخالف أحكام الأمومة من النسب فمنها:

١. أنه لا يجوز النظر إليها ولا الخلوة بها، فلا يقول الشخص: مادامت هذه أمي.. فيحل لي النظر إليها والخلوة بها، فهذا غير صحيح؛ ولهذا قال المولى سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ {الأحزاب: ٥٣}، فهي أم للمؤمن من حيث تحريم النكاح، ومن حيث وجوب التعظيم فقط، لا من حيث النظر إليها ولا الخلوة بها.

٢. كذلك بناتهن لا يعتبرن أخوات للمؤمنين، وكذا أخواتهن وإخوانهن لا يقال فيهم خالات للمؤمنين وأخوالهم، فيجب هنا أن نميز بن الأمومة التي تكون من النسب وبين الأمومة التي نتحدث عنها، فبناتهن لا يحرم نكاحهن على المؤمنين، ولا أخواتهن كذلك،

نعم الكل يدخل ضمن قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ {الحجرات: ١٠}، ولكن هي أخوة في الدين فقط، فلا يجوز النظر إليهن ولا الخلوة بهن، ويجوز نكاحهن، فقد تزوج الزبير رضي الله عنها من أسماء بنت أبي بكر الصديق وهي أخت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ولم يقل هي خالة المؤمنين، وتزوج كذلك العباس أم الفضل أخت أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها، كما أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه تزوج بفاطمة البتول الزهراء عليها رضوان الله، وتزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه بأم كلثوم ثم برقية بنات المصطفى صلى الله عليه وسلم، وبنات أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

٣. كذلك يقال لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين أي الرجال والنساء من المؤمنين، وقال بعضهم أنهن أمهات للرجال من المؤمنين دون النساء، واستدلوا بما روي عن مسروق أن امرأة قالت لعائشة رضي الله تعالى عنها -: يا أماه، فقالت: لست لك بأم إنما أم رجالكم.

لكن رُدَّ على هذا بأن المراد بذلك من باب النكاح فقط، أي: نحن أمهات رجالكم لا يجوز لرجالكم نكاحنا بعد انتقال النبي صلى الله عليه وسلم؛ وإلا فإن القرآن الكريم يذكر في أكثر من موضع لفظ المؤمنين ويقصد بذلك المؤمنين والمؤمنات أي جنس الرجال والنساء سوا، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ {الحجرات: ١٠} أراد بها المؤمنين والمؤمنات، وغيرها من الآيات الكثيرة، فإن في القرآن إذا جاء لفظ المؤمنين أو المسلمين ولم يتبعه سبحانه بلفظ المؤمنات أو المسلمات دلَّ ذلك على أن اللفظ شامل للجنسين؛ لأننا نجد في القرآن في بعض المواضع أن الله سبحانه وتعالى يذكر المؤمنين ثم يعقب ذلك بذكر المؤمنات؛ فيدل ذلك على اختلاف الجنسين كما في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ { التوبة: ٧٢ }،وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ {الأحزاب: ٥٨}، وقوله تعالى: ﴿ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ {الأحزاب: ٧٣}، وقوله تعالى: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ {الفتح: ٥}، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ {الحديد: ١٢}، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ {البروج: ١٠} .

ثم أن أهل العلم قد ذكروا وجوب التعظيم لهذه الأمومة، فلو قلنا أنهن أمهات للرجال فقط.. فسيكون وجوب التعظيم لهن على الرجال دون النساء؛ لأنهن أمهات الرجال، وهذا بعيد، فإن التعظيم واجب على الرجال والنساء معاً.

وهل يعتبر النبي صلى الله عليه وسلم أب للمؤمنين؟

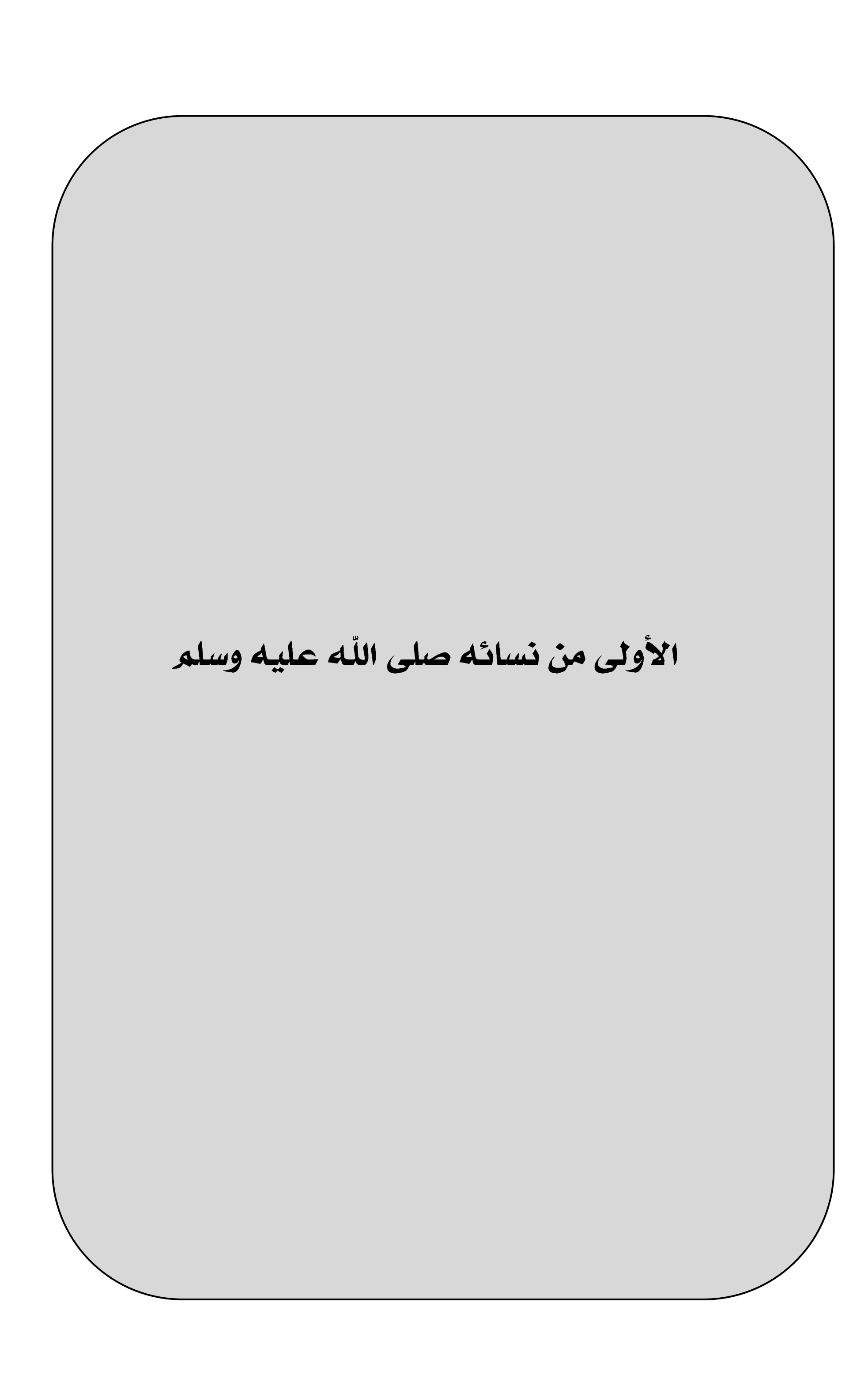
ربما يتوارد هذا السؤال على أذهان البعض، وهو: مادام أزواجه صلى الله عليه وسلم أمهات للمؤمنين فهل يكون هو صلى الله عليه وسلم أب للمؤمنين؟ وإن قلنا أنه أب للمؤمنين.. كيف يكون كذلك وقد قال الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ {الأحزاب: ٤٠}؟

فالجواب هو: نعم أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أب للمؤمنين، وقد ورد زيادة في القراءات كقراءة بن مسعود وأُبي عند قوله تعالى ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ {الأحزاب: ٦}، زاد قوله (وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ)، كما ذكر ذلك الطبري وغيره من أهل التفسير عند تفسير هذه الآية، فهذا يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أب للمؤمنين وهو أرحم وأشف أبٍ في الوجود صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

أما مفهوم قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ {الأحزاب: ٤٠}.. فالمراد أن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس أباً لأحد بذاته من رجالكم إنما هو أب لجميع المؤمنين؛ وكذلك أن الآية إنما نزلت لترد وتبطل التبني في الإسلام، حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد تبنى زيد بن الحارث حتى كان يدعى زيد بن محمد، فأبطل الله ذلك بالآية﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ {الأحزاب: ٤٠}، أي: ليس هو أبٌ لأحد بذاته من رجالكم حتى تنسبوه إليه – كما سنبين ذلك عند ذكر أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها وأرضاها.

وقد توفي النبي صلى الله عليه وسلم عن تسع زوجات، وتوفيت زوجتان في حياته، وسوف نترجم لهن جميعاً بإذن الله تعالى.

وقد آن وقت الشروع في المقصود، فنقول مستعينين بالملك المعبود:


الأولى من نسائه صلى اللّه عليه وسلم

أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

إسمها رضي الله عنها:

هي أم المؤمنين السيدة الطاهرة العفيفة العظيمة خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ.

وهي أول امرأة دخلت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم؛ بل وأشرفهن وأفضلهن عليها رضوان الله، ولم يتزوج سول الله صلى الله عليه وسلم غيرها حتى انتقلت إلى باريها.

إسم أمها رضي الله عنها:

وَأُمّهَا: فَاطِمَةُ بِنْتُ زَائِدَةَ بْنِ الْأَصَمّ (واسمه جندب) بْنِ رَوَاحَةَ بْنِ حَجَرِ بْنِ عَبْدِ بْنِ مَعِيصِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ . وَأُمّ فَاطِمَةَ هَالَةُ بِنْتُ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مُنْقِذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَعِيصِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ . وَأُمّ هَالَةَ قِلَابَةُ بِنْتُ سَعِيدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْصِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ.

فهي رضي الله عنها تجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في قصي من جهة أبيها، وفي لؤي من جهة أمها، فهي قرشية أباً وأماً.

مولدها رضي الله عنها:

ولدت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها قبل عام الفيل بخمسة عشر سنة كما ذكر ابن سعد في الطبقات وغيره، أي ما يقارب سنة ثمان وستين قبل الهجرة.

شرفها رضي الله عنها:

كانت أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها وأرضاها تسمى بالطاهرة في الجاهلة والإسلام، وَفِي سِيَرِ التَّيْمِيِّ . أَنَّهَا كَانَتْ تُسَمَّى: سَيِّدَةَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ.

وهي أول امرأة دخلت حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبيت النبوة، وهي أول امرأة صارت أماً للمؤمنين.

وهي أو ل من أسلم على الإطلاق باتفاق أهل السير، وقد حكى الإمام الثعلبي اتفاق العلماء على ذلك، وإنما اختلافهم في أول من أسلم بعدها، فعن محمد بن كعب القرظي قال: أول من أسلم من هذه الأمة خديجة. أخرجه البيهقي.

و عن بن شهاب قال: بلغنا أن خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه و سلم كانت أول من آمن بالله ورسوله وماتت قبل أن تفرض **الصلاة**. أخرجه الحاكم وابن أبي شيبة.

و عن قتادة بن دعامة قال: توفيت خديجة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين وهي أول من آمن بالنبي صلى الله عليه و سلم من النساء والرجال.

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير.

نشأت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها في بيت مجد وعز وشرف، وقد تزوجت مرتين قبل زواجها من النبي صلى الله عليه وسلم:

المرة الأولى: تزوجها رجل مخزومي وهو عُتَيّق بْنِ عَابِدِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ، وولدت له بنتاً أسموها (هنداً)، وقد تزوج هنداً فيما بعد صَيْفِيّ بْنُ أَبِي رِفَاعَةَ، فهي أم محمد بن صيفي المخزومي، وفي سيرة ابن هشام أنها ولدت له أيضا (عبدالله).

والمرة الثانية: تزوجها رجل تميمي، وهو أبو هَالَةَ (واسمه هند) بْنِ مَالِكٍ أَحَدِ بَنِي أُسَيّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ حَلِيفِ بَنِي عَبْدِ الدّارِ، فولدت له ولداً اسمه (هالة)، وولداً اسمه (هند) أيضاً فهو هند بن هند، وكان يقول: أنا أكرم الناس أباً وأماً وأخاً وأختاً، أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه

زوج أمه، وأمي خديجة، وأخي القاسم، وأختي فاطمة، قتل هند هذا مع عليّ يوم الجمل رضي الله تعالى عنه.

وفي سيرة ابن هشام أنها أيضاً ولدت له بنتا اسمها (زينب).

ثم تأيمت رضي الله عنها من زوجها الثاني أي توفي عنها، فبقيت تتطلع إليها نفوس سادة مكة؛ بل وسادة القبائل، وخطبها العظماء والكبراء والأمجاد، غير أنها رفضت الجميع.

زواجه منها صلى اللّه عليه وسلم:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :((وَكَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ امْرَأَةً تَاجِرَةً ذَاتُ شَرَفٍ وَمَالٍ تَسْتَأْجِرُ الرِّجَالَ فِي مَالِهَا، وَتُضَارِبُهُمْ إيّاهُ بِشَيْءٍ تَجْعَلُهُ لَهُمْ وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَوْمًا تُجّارًا)) اهـ.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شاع صيته بين الناس بالأمانة والعفة والصدق، وذلك قبل أن يبعث صلى الله عليه وسلم حتى كان يسمى بالصادق الأمين عند أعدائه قبل أحبابه، فعَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ مَوْلَاهُ أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ يَبْنِي الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَالَ: وَلِي حَجَرٌ أَنَا نَحَتُّهُ بِيَدَيَّ أَعْبُدُهُ مِنْ دُونِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَأَجِيءُ بِاللَّبَنِ الْخَاثِرِ الَّذِي أَنْفَسُهُ عَلَى نَفْسِي فَأَصُبُّهُ عَلَيْهِ، فَيَجِيءُ الْكَلْبُ فَيَلْحَسُهُ ثُمَّ يَشْغَرُ فَيَبُولُ، فَبَنَيْنَا حَتَّى

بَلَغْنَا مَوْضِعَ الْحَجَرِ وَمَا يَرَى الْحَجَرَ أَحَدٌ فَإِذَا هُوَ وَسْطَ حِجَارَتِنَا مِثْلَ رَأْسِ الرَّجُلِ يَكَادُ يَتَرَاءَى مِنْهُ وَجْهُ الرَّجُلِ، فَقَالَ: بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ نَحْنُ نَضَعُهُ، وَقَالَ آخَرُونَ: نَحْنُ نَضَعُهُ، فَقَالُوا: اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ حَكَمًا، قَالُوا: أَوَّلَ رَجُلٍ يَطْلُعُ مِنْ الْفَجِّ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: أَتَاكُمْ الْأَمِينُ، فَقَالُوا لَهُ، فَوَضَعَهُ فِي ثَوْبٍ ثُمَّ دَعَا بُطُونَهُمْ فَأَخَذُوا بِنَوَاحِيهِ مَعَهُ فَوَضَعَهُ هُوَ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أخرجه الإمام أحمد.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمّ إنّ الْقَبَائِلَ مِنْ قُرَيْشٍ جَمَعَتْ الْحِجَارَةَ لِبِنَائِهَا، كُلّ قَبِيلَةٍ تَجْمَعُ عَلَى حِدَةٍ ثُمّ بَنَوْهَا، حَتّى بَلَغَ الْبُنْيَانُ مَوْضِعَ الرّكْنِ فَاخْتَصَمُوا فِيهِ كُلّ قَبِيلَةٍ تُرِيدُ أَنْ تَرْفَعَهُ إلَى مَوْضِعِهِ دُونَ الْأُخْرَى، حَتّى تَحَاوَرُوا وَتَحَالَفُوا ؛ وَأَعَدّوا لِلْقِتَالِ فَقَرّبَتْ بَنُو عَبْدِ الدّارِ جَفْنَةً مَمْلُوءَةً دمًا، ثُمّ تَعَاقَدُوا هُمْ وَبَنُو عَدِيّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ عَلَى الْمَوْتِ وَأَدْخَلُوا أَيْدِيَهُمْ فِي ذَلِكَ الدّمِ فِي تِلْكَ الْجَفْنَةِ فَسُمّوا: لَعَقَةَ الدّمِ، فَمَكَثَتْ قُرَيْشٌ عَلَى ذَلِكَ أَرْبَعَ لَيَالٍ أَوْ خَمْسًا، ثُمّ إنّهُمْ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ وَتَشَاوَرُوا وَتَنَاصَفُوا، فَزَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الرّوَايَةِ أَنّ أَبَا أُمَيّةَ بْنَ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ، وَكَانَ عَامَئِذٍ أَسَنّ قُرَيْشٍ كُلّهَا، قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ - فِيمَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ - أَوّلَ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَاب هَذَا الْمَسْجِدِ يَقْضِي بَيْنَكُمْ فِيهِ، فَفَعَلُوا: فَكَانَ أَوّلُ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم فَلَمّا رَأَوْهُ قَالُوا: هَذَا الْأَمِينُ

رَضِينَا، هَذَا مُحَمَّدٌ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلُمَّ إِلَيَّ ثَوْبًا ، فَأُتِيَ بِهِ فَأَخَذَ الرِّكْنَ فَوَضَعَهُ فِيهِ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ:((لِتَأْخُذْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنْ الثَّوْبِ ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا))، فَفَعَلُوا، حَتَّى إِذَا بَلَغُوا مَوْضِعَهُ.. وَضَعَهُ هُوَ بِيَدِهِ ثُمَّ بَنَى عَلَيْهِ. انتهى كلام ابن إسحاق.

ولما بلغ أم المؤمنين خديجة ما بلغها من صدقه صلى الله عليه وسلم وأمانته وصدق حديثة وكرم أخلاقه.. بعثت إليه فعرضت له أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي التجَّار مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبل صلى الله عليه وسلم عرضها وخرج مع غلامها ميسرة إلى الشام، وفي الطريق نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يستريح بالقرب من صومعة راهب من الرهبان يقال له نَسْطُور، فلما رآه الراهب.. سأل ميسرة: من هذا الرجل الذي يجلس تحت الشجرة؟ فقال ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي، ثم واصلا رحلتهما إلى الشام وباع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضاعته، واشترى ما يريد شرائه، ثم عادا إلى مكة المكرمة، وكان ميسرة يلاحظ النبي صلى الله عليه وسلم في الطريق، فكان يرى غمامة سائرة فوقه صلى الله عليه وسلم تظلله من حرارة الشمس، وفي بعض

الروايات أنه لما اشتدت حرارة الشمس رأى ميسرة ملكين فوق النبي صلى الله عليه وسلم يُظِلّانِهِ من حرارتها.

ولما وصلا إلى مكة أخبر ميسرةُ خديجةَ رضي الله عنها بقول الراهب له وعما كان يراه من إظلال الملكين له صلى الله عليه وسلم، وما كان يراه كل يوم من عجائب حول هذا الرجل صلى الله عليه وسلم، وقد رأت هي رضوان الله عليها بعينها الغمامة وهي تظلله عند قدومه إليها صلى الله عليه وسلم.

وكانت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها امرأة حازمة شريفة لبيبة، وكانت رضي الله عنها وأرضاها أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً، وأكثرهن مالا، وكانت ذات صون وحياء، كانت تتحرج مما كانت عليه قريش وقبائل العرب من عبادة الأصنام والأوثان، لما عرفت من ابن عمها ورقة بن نوفل أنها لا تضر ولا تنفع، وأنها تخالف الحنيفية الأولى التي كان عليها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، كما تخالف ما ورد في التوراة والإنجيل من التوحيد الخالص لله، فقد كانت ترقب مع ابن عمها ورقة بن نوفل ظهور نبي آخر الزمان الذي بشرت به التوراة والإنجيل.

وكان كل واحد من سادات قومها حريصاً على الزواج منها، كما أسلفنا، وقد عرفت أن محمداً صلى الله عليه وسم لا يسجد لصنم ولا

يتقرب إلى وثن قط، ولا يعبد ما يعبد أهل مكة، ولا يشرب خمراً، ولا يقارف مجوناً ولا عبثاً، وقد كانت في سرها تساءل: هل محمد هو نبي آخر الزمان؟

وتمر عليها الأيام بطيئة وهي في تساؤلاتها، وقد علمت أن المتحنثين جميعاً يلهجون بعلامات مبعثه، وبقيت في آمالها الباسمة، فلقد ساقت إليه الأقدار رجلاً عظيماً، وهي في أشد الحاجة إلى أنيس مثله بعد أن مرت عليها سنوات في العزوبة بعد وفاة زوجها، ولكن كيف السبيل للوصول إليه صلى الله عليه وسلم.

وكانت لها صديقة تدعى نفيسة بنت مُنيَّةَ، فلمحت شرودها وحيرتها، فأرادت أن تخفف عن صديقتها ما تجده، فسألتها عما يدور في دهنها، فتحرَّجت أم المؤمنين خديجة في بداية الأمر عن أن تحدثها وتفضح مشاعرها، فلما راجعتها وألحت عليها.. دار الحديث بينهما عن محمد صلى الله عليه وسلم وسبب عزوفه عن الزواج، ولماذا لم يتقدم لخطبتها كما فهل أشراف مكة.

فقال لها نفيسة: أوَ يرضيك أن يتقدم إليك محمد بن عبدالله خاطباً؟ فسكتت رضي الله عنها وأرضاها، ولكنه صمت أبلغ من كلام، فقد

تكلمت ملامح وجهها من حمرة الحياء الظاهرة في وجهها، والتي تعبر عن أمنيتها الغالية، فقالت لها نفيسة: يا ابنة العم سيكون لك ما تريدين.

ثم انطلقت نفيسة تطلب النبي صلى الله عليه وسلم حتى وجدته وعنده عمار بن ياسر رضي الله عنه وأرضاه، فأخذت تتحدث معه وفي أثناء حديثها سألته عن سبب انصرافه عن الزواج – وهو أفضل وأجمل شباب مكة وابن سادتها من آل هاشم، فأجابها صلى الله عليه وسلم.. ما عندي ما أتزوج به.. فقالت له: فإذا كفيت ذلك ودعيت إلى الشرف والجمال؟ فقال لها صلى الله عليه وسلم: ومن هذه؟، فقالت له: خديجة بنت خويلد سيدة نساء قريش.

إنها المرأة التي عمل في تجارتها وعرف شرفها ونسبها ونبلها وفضلها، وأن الكبراء من أهل مكة وغيرهم يتطلعون إلى اتخاذها زوجة لهم، وقد رغبت عنهم وردتهم جميعاً، وها هي الآن تعرض نفسها عليه صلى الله وسلم وبارك عليه.

فقد أخرج ابن سعد في الطبقات عن نفيسة بنت منية قالت: كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي امرأة حازمة، جلدة، شريفة، مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير، وهي يومئذ أوسط قريش

نسباً، وأعظمهم شرفاً، وأكثرهم مالاً وكل قومها كان حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك، قد طلبوها وبذلوا لها الأموال، فأرسلتني دسيساً إلى محمد بعد أن رجع في عيرها من الشام، فقلت يا محمد: ما يمنعك أن تزوج؟ فقال: ما بيدي ما أتزوج به، قلت: فإن كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال فمن هي؟ قلت: خديجة، قال: وكيف لي بذلك؟ قالت قلت: علي، قال: فأنا أفعل؛ فذهبت فأخبرتها، فأرسلت إليه أن أئت لساعة كذا وكذا.

فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمامه عن الأمر، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً، وسارعوا إلى تحقيق ما طلب، فقد اجتمع حمزة والعباس وأبو طالب وذهبوا معه صلى الله عليه وسلم إلى بيت خديجة رضي الله عنها وأرضاها خاطبين ومعهم رؤساء مضر.

ووصلوا إلى بيت خديجة رضي الله عنها، وقام أبو طالب خطيباً.. وكان مما قال:((الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضيء(١) معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه، وجعل لنا بيتا محجوجا، وحرما آمنا، وجعلنا الحكام على الناس.

---

(١) الضئضئ: هو المعدن والأصل.

ثم إنَّ ابن أخي هذا محمد بن عبدالله لا يوزن به رجل إلا رجحه، وإن كان في المال قلاًّ.. فإن المال ظلٌّ زائل وحال حائل وعارية مسترجعة، ومحمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل)).

فقال عمها عمرو بن أسد:(هو الْفَحْل لَا يُقْدَع أَنْفه)، أي: لا يضرب أنفه لكونه كريماً، لأن غير الكريم إذا أراد ركوب الناقة الكريمة يضرب أنفه ليرتدع، وفي لسان العرب: قال ابن الأَثير يقال قَدَعْتُ الفحل وهو أَن يكون غير كريم فإِذا أَراد ركوب الناقة الكريمة ضُرِبَ أَنفه بالرمح أَو غيره حتى يرتدع ويَنْكَفَّ ويروى بالراء، أي يقرع، أي كريم يروم كريمة فلا سبيل إلى التعرض له دونها وصده عنها وهو أشرف أكفائها.

وقد اختلف أهل السير في من زوجها رضي الله عنها: فقال بعضهم أنه أبوها خويلد بن أسد، كما ذكر ذلك الإمام النبهاني في كتابه (الأنوار المحمدية)، وابن هشام في سيرته،وكذلك ابن إسحاق في سيرته، والسهيلي في (الروض الأنف)، قال في السيرة الحلبية:((وعن الزهريّ أن المزوّج لها أبوها خويلد بن أسد)) اهـ.

وقال آخرون أنه زوجها عمها عَمْرُو بْنُ أَسَدٍ، قال الإمام أبو الفرج عبدالرحمن بن علي الشهير بابن الجوزي:((وقد روي أن أباها زوَّجها، وليس بصحيح لأن أباها مات قبل الفجار)) اهـ.

وقال أيضاً:((وَذَكَرَ غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنّ خُوَيْلِدًا كَانَ إِذْ ذَاكَ قَدْ أُهْلِكَ وَأَنّ الّذِي أَنْكَحَ خَدِيجَةَ رضي اللهُ عَنْهَا - هُوَ عَمّهَا عَمْرُو بْنُ أَسَدٍ)) اهـ.

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن عمها عمرو بن أسد زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن أباها مات قبل الفجار. أخرجه ابن سعد في الطبقات.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أيضاً قال: زوَّج عمرو بن أسد بن عبد العزى بن قصي خديجة بنت خويلد النبي صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ شيخ كبير لم يبق لأسد لصلبه يومئذ غيره، ولم يلد عمرو بن أسد شيئاً. أخرجه ابن سعد في الطبقات.

وقيل أن الذي زوجها هو أَخُوهَا عَمْرُو بْنُ خُوَيْلِدٍ.

واختلف أهل السير أيضا في صداقها، فقال الإمام النبهاني في (الانوار المحمدية):((وكان الصداق ثنتى عشرة أوقية ذهبا ونشا، والأوقية أربعون درهما والنش نصف أوقية)) اهـ.

وقال ابن هشام في سيرته:((وَأَصْدَقَهَا رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عِشْرِينَ بَكْرَةً)) اهـ.

وكان عمرها عندما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة، وكان عمره صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة، وقيل:كان ابْنَ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وقيل: ابْنَ إحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً، فعلى الأول الصحيح أنها كانت تكبره بخمسة عشر سنة؛ لأنها ولدت قبل عام الفيل بخمسة عشر سنة كما أسلفنا، وفي زواجه صلى الله عليه وسلم من امرأة تكبره بخمسة عشر سنة حكمة عظيمة وهي: أنها رضي الله عنها وأرضاها كانت له زوجة وأماً حنونة، يلجأ إليها فتخفف عنه الضيق والهم وما يشعر به عند مضايقة أهل مكة له، فكلما عاد إليها زودته رضي الله عنها بكل ما يحتاجه من صبر وشجعته ووقفت بجانبه، حتى عندما جاء أمر الله ووحيه ودبَّ الخوف في الحبيب صلى الله عليه وسلم رجع إليها فخففت عنه، ففي حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين ذكرت بداية نزول الوحي عليه وفيه:((**رَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ – وفي رواية في البخاري: يَرْجُفُ فُؤَادُهُ – حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ. قَالَ لِخَدِيجَةَ: أَيْ خَدِيجَةُ مَا لِي لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ .قَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا أَبْشِرْ فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، فَوَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ**

نَوْفَلٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ وَيَكْتُبُ مِنْ الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ الله أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ. قَالَ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى، فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ: وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا ذَكَرَ حَرْفًا. قَالَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ. قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا أُوذِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ حَيًّا أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا)) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

قال ابن إسحاق:(وآمنت خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره.

وكانت أول من آمن بالله ورسوله، وصدقت بما جاء منه.

فخفف الله بذلك عن رسوله، لا يسمع شيئا يكرهه من رد عليه، وتكذيب له فيحزنه ذلك، إلا فرج الله عنه بها، إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس، رضي الله عنها وأرضاها) اهـ.

فقد كانت رضي الله عنها وأرضاها تروِّحُ عن قلبه الهموم وتخفف عنه الأحزان بما أعطاها الله من كياسة وفطنة ورفق ولين.

أولادها رضي الله عنها:

جميع أولاد النبي صلى الله عليه وسلم هم من أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وأرضاها، فقد ولدت له أولاً القاسم، ثم زينب، ثم رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة الزهراء، ثم بعد البعثة ولدت له عبدالله وهو الذي يسمى بالطيب والطاهر عليهم رضوان الله جميعاً.

توفي القاسم وقد بلغ من العمر سنتين، أي: في حياة أبويه، وكان أول من مات من أولاده صلى الله عليه وسلم، ثم مات بعده عبدالله في حياة أبويه كذلك، فهذان الاثنان ماتا في حياة أمهما رضي الله عنهم أجمعين.

وقد تزوجت بنتاها رقية وأم كلثوم في البداية على عتبة وعتيبة ابنا أبي لهب عم النبي صلى الله عليه وسلم، أي أن العقد قد تم لكن لم يدخلا بهن أبداً، وبعد أن صدع النبي صلى الله عليه وسلم بدعوته.. أمرهما أبوهما أبو لهب وأمهما أم جميل أن يفارقا بنتي النبي صلى الله عليه وسلم إغاظة له صلى الله عليه وسلم، وحتى يشغلاه بأهله وبيته عن الدعوة ومهامها، وقيل: أنه لم يتم زواج أصلاً بل كانت خطبة فقط.

فدائها وصبرها رضي الله عنها:

مع كل هذه الأوصاف العظيمة التي ذكرناها في هذه المرأة إلا أنها لم تسلم رضي الله عنها من أذية الكفار وشرورهم؛ بل أخذت نصيبها من ذلك ليرتفع قدرها عند الله وليظهر صدقها وصبرها، فقد دخلت مع المسلمين إلى شعب أبي طالب حين حاصر كفار مكة النبيَّ صلى الله عليه وسلم وبني هاشم وبني المطلب، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْغَدِ يَوْمَ النَّحْرِ وَهُوَ بِمِنًى:((**نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ يَعْنِي ذَلِكَ الْمُحَصَّبَ**)) وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا وَكِنَانَةَ تَحَالَفَتْ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَوْ بَنِي الْمُطَّلِبِ أَنْ لَا يُنَاكِحُوهُمْ وَلَا يُبَايِعُوهُمْ حَتَّى يُسْلِمُوا إِلَيْهِمْ النَّبِيَّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

وحوصر بنو هاشم وبنو المطلب في الشعب وقاطعتهم قريش حتى أجهدهم الجوع، وأهلكهم العطش، ولم يَفُتْ أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها أن تشارك النبي صلى الله عليه وسلم محنته القاسية، فوقفت إلى جواره تجوع كما يجوع المسلمون، وتظمأ كما يظمأ المسلمون، وتقاسي الشدة والعناء، وهي سليلة المجد وصاحبة الغِناء ولا عهد لها بهذا الشقاء، ولم

يسبق لها مثل هذا التحمل والصبر، وقد كانت كبيرة في السن حيث قاربت الستين من عمرها أو تزيد عليها قليلاً، ولكنها أبت إلا أن تصبر وتنصر الحبيب صلى الله عليه وسلم مهما كانت التضحية والعناء، ولقد دام هذا الحصار ثلاث سنين كانت في أثنائها من أقوى الناس إيماناً، وأشدهم عزما، وأقربهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأكثرهم إعانة له صلى الله عليه وسلم.

ولقد ساق الله تعالى أم المؤمنين خديجة هدية للنبي صلى الله عليه وسلم، وواساه بأجمل المواساة، حين تأخر عليه الوحي فظن أنه لن يعود وأن الله قد ودعه وقلاه، فذكر الله تعالى في جملة ما ذكر من نعمه عليه فضلَ خديجة رضي الله عنها التي أغنته بمالها عن طلب المعاش، وهيأت له الظروف ليتفرغ لدعوة الأمة وتأدية الرسالة بأكمل وجه، فقال الله تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ {الضحى: ١ – ٨}.

إذا كان الأمر كذلك فكيف لا تكون أم المؤمنين خديجة أحب أزواجه إليه، ويبقى ذكرها في قلبه وعلى لسانه صلى الله عليه وسلم، ويخصها بالمنزلة

العالية، فهي أول زوجة في حياته، وصبرت صبراً عظيماً، وضحت من أجله صلى الله عليه وسلم، وواسته في محنته وكربته.

وقد جاءها جبريل بالبشرى من الملك الجليل، وهي بشارة عظيمة فازت بها المرأة العظيمة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عَنْهُ قَالَ:أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ. أخرجه البخاري ومسلم واحمد.

و عَنْ عَبْدِ الله بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**أُمِرْتُ أَنْ أُبَشِّرَ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ**)). أخرجه الإمام أحمد.

وعَنْ أمِ المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ:مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ لِرَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ لِكَثْرَةِ ذِكْرِ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهَا وَثَنَائِهِ عَلَيْهَا وَقَدْ أُوحِيَ إِلَى رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ لَهَا فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ. أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

فلما أخبرها النبي صلى الله عليه وسلم بالبشارة التي جاء بها جبريل عليه السلام.. قالت:(الله هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام وعليك السلام ورحمة الله وبركاته) أخرجه النسائي واللفظ له والطبراني.

وانظروا إلى أدب هذه الطاهرة وذوقها وكمال عقلها حينما قالت:(الله هو السلام)، ولم تقل:(على الله السلام)؛ لأن الله تعالى لا يرد عليه السلام كما يرد على المخلوقين؛ ولأن (السلام) اسم من أسمائه تعالى، وهو أيضاً دعاء بالسلامة، وكلاهما لا يصلح أن يرد بهما على الله تعالى، فجعلت مكان رد السلام.. الثناء عليه، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على وفور عقلها وكمال معرفتها بربها، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:((**لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى الله فَإِنَّ الله هُوَ السَّلَامُ**)) أخرجه البخاري ومسلم.

ثم نجدها رضي الله عنها وأرضاها غايرت بين ما يليق بالله وما يليق بغيره، فقالت:(وعلى جبريل السلام وعليك السلام ورحمة الله وبركاته).

وفاتها رضي الله عنها:

ذكرنا أنها رضي الله عنها عانت في شعب أبي طالب الشيء الكثير، ولما خرجت إلا وهي معتلة رضي الله عنها منهوكة القوى، ولم تزل بها هذه العلة تنال من جسدها وتهد كيانها وتوهن عزمها حتى لقيت ربها طاهرة مطهرة وراضية مرضية.

وعندما حانت ساعة الانتقال والرحيل كان الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى جانبها وبقربها وهي تجود بنفسها وتودع بناتها، وكانت رقية رضي الله عنها يومئذٍ بالحبشة مع زوجها عثمان رضي الله عنه، فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهها السمح النظرة الأخيرة، وهو يودع فيها الأم الحنونة، والزوجة البارة، والحبيب الشريك، ولك أخي القارئ أن تتخيل ذلك الموقف المهيب الصعب، فقد ودعها وكأنما ودع بوداعها الحياة بكل ما فيها من هنا وصفاء، وفاضت روحها الطاهرة وهو صلى الله عليه وسلم ناظر إليها وهي إليه ناظره، وكان ذلك في ليلة الحادي عشر من رمضان من السنة العاشرة بعد البعثة.

وبكى صلى الله عليه وسلم كثيرا على فراقها، ثم قام بدفنها في الحجون ونزل معها قبرها يودعها، ولم تكن صلاة الجنازة قد شرعت بعد.

ثم عاد صلى الله عليه وسلم إلى بيته ليشارك بناته الثلاث مرارة الحزن والفراق، وتمر عليهم الليلة الأولى دون وجود صاحبة البيت فما أقساها من ليلة مرت بهم.

وبكاها صلى الله عليه وسلم كما لم يبك أحداً أبداً، فهي الأم والزوجة والصديقة، وسمي عام فراقها بعام الحزن، فقد كانت له عوناً وسنداً.

مكانتها في قلبه صلى الله عليه وسلم:

أم المؤمنين خديجة هي أول من آمن به ووقف معه وصدقه، وهي أول زوجة في حياته، وهي أم أولاده؛ لذلك كانت لها مكانة عالية في قلبه صلى الله عليه وسلم، لم ينسها يوماً؛ بل لا يزال في ذكرها حتى بعد انتقالها مكرما سيرتها، ومكرما كل من كان له صلة بخديجة رضي الله عنها، حتى الذبيحة إذا ذبحها يدفع منها إلى صديقات أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وأرضاها، وهذا من الوفاء العظيم الذي كان يتمتع به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ:مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَلَقَدْ هَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِثَلَاثِ سِنِينَ لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا، وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ فِي الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ ثُمَّ يُهْدِي فِي خُلَّتِهَا مِنْهَا. أخرجه البخاري ومسلم.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أيضاً قَالَتْ:كَانَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ، قَالَتْ: فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ قَدْ أَبْدَلَكَ الله عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، قَالَ:((**مَا أَبْدَلَنِي الله عَزَّ وَجَلَّ خَيْراً مِنْهَا قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ**

وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ وَرَزَقَنِي الله عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ)) أخرجه الإمام أحمد.

وفي رواية عنها رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: لَقَدْ أَعْقَبَكَ الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ امْرَأَةٍ قَالَ عَفَّانُ مِنْ عَجُوزَةٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ مِنْ نِسَاءِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ، قَالَتْ: فَتَمَعَّرَ وَجْهُهُ تَمَعُّراً مَا كُنْتُ أَرَاهُ إِلَّا عِنْدَ نُزُولِ الْوَحْيِ أَوْ عِنْدَ الْمُخِيلَةِ حَتَّى يَنْظُرَ أَرَحْمَةٌ أَمْ عَذَابٌ. أخرجه الإمام أحمد.

وفي رواية عنها: ذَكَرَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا خَدِيجَةَ فَأَطْنَبَ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهَا فَأَدْرَكَنِي مَا يُدْرِكُ النِّسَاءَ مِنْ الْغَيْرَةِ، فَقُلْتُ: لَقَدْ أَعْقَبَكَ الله يَا رَسُولَ الله مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ، قَالَتْ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَغَيُّرًا لَمْ أَرَهُ تَغَيَّرَ عِنْدَ شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا عِنْدَ نُزُولِ الْوَحْيِ أَوْ عِنْدَ الْمُخِيلَةِ حَتَّى يَعْلَمَ رَحْمَةٌ أَوْ عَذَابٌ. أخرجه الإمام أحمد.

وفي رواية عنها أيضاً قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ فَيَقُولُ: أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ، قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**((إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا))** أخرجه مسلم.

و قَالَتْ رضي الله عنها: مَا غِرْتُ لِلنَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ لِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ إِيَّاهَا وَمَا رَأَيْتُهَا قَطُّ. أخرجه مسلم.

وعنها رضي الله عنها قَالَتْ: إِنْ كُنَّا لَنَذْبَحُ الشَّاةَ فَيَبْعَثُ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَعْضَائِهَا إِلَى صَدَائِقِ خَدِيجَةَ. أخرجه الإمام أحمد.

وعنها رضي الله عنها قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ: ((**إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ**)). أخرجه البخاري.

وجاءت مرة أخت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وكان اسمها هالة، ففرح بها النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان صوتها شبيه بصوت أختها أم المؤمنين خديجة، فعَنْ عَائِشَةَ رضي اللهُ عَنْهَا قَالَتْ اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاعَ لِذَلِكَ، فَقَالَ: ((**اللهمَّ هَالَةَ**))، قَالَتْ فَغِرْتُ فَقُلْتُ مَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ قَدْ أَبْدَلَكَ الله خَيْرًا مِنْهَا. أخرجه البخاري.

وفي رواية عند مسلم: اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاحَ لِذَلِكَ فَقَالَ:((**اللهمَّ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ**)) فَغِرْتُ فَقُلْتُ وَمَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ فَأَبْدَلَكَ الله خَيْرًا مِنْهَا.

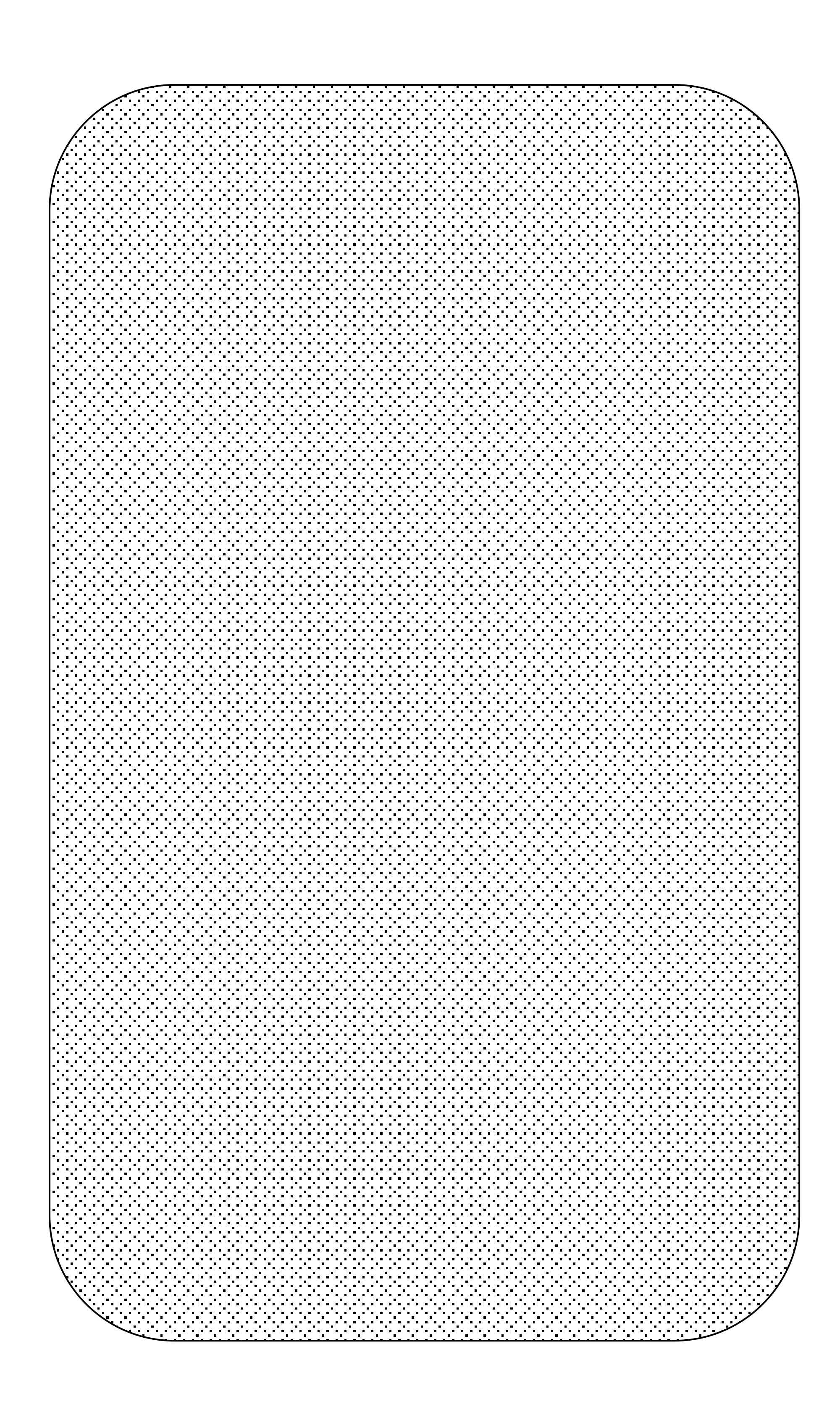
وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنها قَالَ:خَطَّ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ، قَالَ:((**تَدْرُونَ مَا هَذَا**))، فَقَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ**)) رضي اللهُ عَنْهُنَّ أَجْمَعِينَ. أخرجه الإمام أحمد.

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي اللهُ عَنْهُ قَالَ:قَالَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((خَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ وَخَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ)) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

فرحم الله أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ورضي عنها وأرضاها وجمعنا بها في أعلى فراديس الجنان آمين اللهم آمين.



ألثانية من نسائه صلى اللّه عليه وسلم



أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها وأرضاها

إسمها رضي الله عنها:

هي أم المؤمنين العفيفة الطاهرة سودة بنت زَمْعَةَ بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل - ويقال بن حسيل - بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر.

إسم أمها:

وأمها: الشموس بنت قيس بن زيد بن عمر.. من بني عدي بن النجار أخواله صلى الله عليه وسلم، أي أخوال جده عبدالمطلب، وأخوال الأب والجد يعتبرون أخوالاً له؛ لأن الخال هو أخو من أولدتك أو أولدت من أولدك وإن علا.

زواجه صلى الله عليه وسلم منها:

كانت رضي الله عنها متزوجة من ابن عمها (السّكْرَانُ بـن عَمْـرِو بْـنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ وُدّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِسْلِ بْـنِ عَـامِر)، وقـد أسـلم بعد ما أسلمت هي رضي الله عنهما.

وقد لاقت مع زوجها من قريش أنواع الأذى، ولكنهما تحملا وصبرا، وقد هاجرت إلى الحبشة الهجرة الثانية مع زوجها، فكانوا ثمانية نفر من الرجال من بني قومها، وصحب ثلاثة منهم زوجاتهم،وهؤلاء الثمانية إضافة إلى زوجها هم: أخوي زوجها سَلِيطُ وَحَاطِبُ ابني عَمْرِو بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ وُدّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِسْلِ بْنِ عَامِر، وابن أخيه عَبْدُ اللهِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرو بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ وُدّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْـنِ حِسْلِ بْنِ عَامِرٍ، وأخو السيدة سودة مَالِكُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْـنِ عَبْدِ شَمْسِ بْـنِ عَبْدِ وُدّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِسْلِ بْنِ عَامِرٍ مَعَهُ امْرَأَتُهُ عَمْرَةُ بِنْتُ السّعْدِيّ بْنِ وَقْدَانَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ وُدّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِسْلِ بْـنِ عَـامِرٍ، وَأَبُو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رُهْمِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى بْنِ أَبِي قَيْسِ بْـنِ عَبْدِ وُدّ بْـنِ نَصْرِ بْـنِ مَالِكِ بْنِ حِسْلِ بْنِ عَامِرٍ، وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ أُمّ كُلْثُومِ بِنْتِ سُهَيْلِ بْـنِ عَمْـرِو بْـنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ وُدّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِسْلِ بْنِ عَـامِرٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْـنُ

مَخْرَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ أَبِي قَيْسِ بْنِ عَبْدِ وُدّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِسْلِ بْنِ عَامِرٍ، وَسَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ، حَلِيفٌ لَهُمْ.

توجهوا جميعا يكابدون الصعاب ويركبون البحار لصلوا إلى الحبشة، وهناك تذوق السيدة سودة مرارة الغربة والعيش في بلد يختلف أناسه عنهم شكلا ولغة ودينا.

تمر الأيام ويأتي الخبر إلى الحبشة أن كثيرا من أهل مكة دخلوا الإسلام، فقرر بعض من في الحبشة العودة إلى مكة ليكونوا إلى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنهم سودة وزوجها.

وبينما كانوا على مشارف مكة.. وصلتهم الأخبار بأن من آمن هم قلة، وأن قريشا قد ضاعفت تعذيبهم، فقرر بعض الذين قدموا العودة إلى الحبشة، وقرر آخرون المواصلة إلى مكة ليكونوا بجوار إخوانهم ومنهم السكران بن بن عمرو وزوجته سودة بنت زمعة؛ ليذوقوا أنواع التعذيب مع إخوانهم المسلمين، وما أن تستقر الأسرة حتى يختار الله زوجها السكران إلى جواره، تاركا لها خمسة صبية صغار لا حول لهم ولا قوة، وبهذا أضيف إلى محنتها محنة أخرى، فقد كان زوجها رفيق دربها ومخفف آلامها، وها هو اليوم يتركها وحيدة غير أنها كانت صابرة محتسبة لربها، فلجأت إلى بيت والدها لتتحمل مسؤوليتها في تربية أولادها.

وتمر عليها الأيام وهي صابرة تتجرع مرارة الوحدة ومرارة التعذيب من قريش، وكان العمر يتقدم بها، وشعرت أن السنين قد أثقلتها، وأنها لم تعد صالحة للزواج حيث بلغت من العمر على ما ذكروا ست وستين سنة،

وفي ليلة من الليالي رأت السيدة سودة رؤية أدخلت السرور على قلبها فقد رأت فيما يراه النائم قمراً ينقض عليها من السماء وهي مضطجعة.

فكانت هذه الرؤية سبب السرور في قلبها واستبشارها بالخير، غير أنها لم تكن تتوقع أن تكون أما للمؤمنين ولم يخطر ذلك على بالها.

واستمرت في صبرها وتربية أولادها، وفي تلك الفترة وقعت أحداث، من أهمها وفاة أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم ووفاة زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وكانتا هاتين الحادثتين قد وقعت في أيام معدودة، فانفجرت مشاعر الحزن في قلب الحبيب صلى الله عليه وسلم حتى سمي ذلك العام بعام الحزن.

وكان الصحابة عليهم رضوان الله تعال يرون آثار الحزن على وجهه صلى الله عليه وسلم وودوا لو يستطيعوا إخراجه من حزنه ومن وحدته التي هو فيها، وكانوا يودون لو يتزوج لعل ذلك يخرجه من حزنه الذي هو فيه بسبب فراق أحبابه.

وفي ليلة كان الحبيب صلى الله وسلم يتجرع مرارة الحزن وتمر به ذكريات زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، ويقلب نظره في بناته الأيتام الجالسات بجواره وعليهن آثار الحزن مثله، وكانت رقية وأم كلثوم قد طلقتا من عتبة بن أبي لهب زوج رقية، و من أخيه عتيبة بن أبي لهب، بعد أن نزل قوله تعالى ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾ {المسد: ١} وقد أمرهما أبوهما أبو لهب بمفارقتهما ففعلا ولم يكونا دخلا بهما كما ذكرنا، كل ذلك كان مؤثرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم غير أنه سيد المحتسبين لله وإمام المتوكلين عليه، في تلك الساعات كان الصحابة رضوان الله عليهم يفكرون في حاجته صلى الله عليه وسلم للزواج غير أنه لم يكن أحد ليتجرأ على مفاتحته صلى الله عليه وسلم حول الأمر، تقديرا لذكرى الطاهرة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

وكانت هناك امرأة فاضلة من الصحابيات وهي خولة بنت حكيم زوجة الصحابي الصادق عثمان بن مظعون رضي الله عنه، وكانا من أوائل من هاجر إلى الحبشة ومن أوائل العائدين منها ليقفا بثبات بجانب إخوانهم من أهل الإيمان.

كانت خولة رضي الله عنها تعلم مقدار ما يعانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم تطق صبرا بل توجهت مباشرة إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم، وأخذت تتحدث معه حول السيدة خديجة رضي الله عنها وأطالت الحديث معه لتسري عنه، ثم عرجت في حديثها إلى أمور الحياة والبيت وحاجته صلى الله عليه وسلم لمن يعتني ببناته، ثم وجهت إليه سؤالاً بكل شجاعة :

قَالَتْ يَا رَسُولَ الله أَلَا تَزَوَّجُ؟ قَالَ: مَنْ؟ قَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكْرًا وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا، قَالَ: فَمَنْ الْبِكْرُ؟ قَالَتْ: ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْكَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: وَمَنْ الثَّيِّبُ؟ قَالَتْ: سَوْدَةُ ابْنَت زَمْعَةَ قَدْ آمَنَتْ بِكَ وَاتَّبَعَتْكَ عَلَى مَا تَقُولُ.

وهنا تأثر رسول الرحمة صلى الله عليه وسلم حينما ذكرت له سودة، تلك المؤمنة الصابرة المحتسبة التي لاقت في سبيل الإسلام ما لاقت من عذاب المشركين، والتي تغربت وعانت من الغربة وذاقت مرارة الوحشة، وشعر الحبيب صلى الله عليه وسلم بعطف شديد لهذه المرأة المسنة التي بلغت السادسة والستين من عمرها.

فقَالَ:((**فَاذْهَبِي فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ**)) أخرجه الإمام أحمد

فخرجت إلى دار الصديق وسيأتي الحديث إن شاء الله تعالى عن ذلك عند ذكر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

ثُمَّ خَرَجَتْ، فَدَخَلَتْ عَلَى سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ، فَقَالَتْ: مَاذَا أَدْخَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكِ مِنْ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟ قَالَتْ: مَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْطُبُكِ عَلَيْهِ، قَالَتْ: وَدِدْتُ، ادْخُلِي إِلَى أَبِي فَاذْكُرِي ذَاكَ لَهُ- وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ أَدْرَكَهُ السِّنُّ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ الْحَجِّ- فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَحَيَّتْهُ بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ فَقَالَتْ: خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ. قَالَ: فَمَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله أَخْطُبُ عَلَيْهِ سَوْدَةَ. قَالَ: كُفْءٌ كَرِيمٌ، مَاذَا تَقُولُ صَاحِبَتُكِ؟ قَالَتْ: تُحِبُّ ذَاكَ، قَالَ: ادْعُهَا لِي، فَدَعَيْتُهَا، قَالَ: أَيْ بُنَيَّةُ إِنَّ هَذِهِ تَزْعُمْ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ أَرْسَلَ يَخْطُبُكِ، وَهُوَ كُفْءٌ كَرِيمٌ أَتُحِبِّينَ أَنْ أُزَوِّجَكِ بِهِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: ادْعِيهِ لِي، فَجَاءَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ، فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ.

وقد أصدقها أربعمائة درهم.

ودهش الناس في مكة وتعجبوا من هذا الزواج، وقالوا متسائلين:

أرملة مسنّة وغير ذات جمال تخلف سيدة قريش؟

لكن الحبيب صلى الله عليه وسلم كان له مقصد عظيم، فقد كان الزواج لجبر الكسر ورحمة الحزين وتخفيف الآلام على امرأة صبرت من

أجل الدين، وفقدت زوجها، وصبرت عل وحدتها، ولربما أستغل كفار مكة ذلك وحاولوا إرجاعها عن دينها .

ولم تكن السيدة سودة تتوقع أن تدخل بيت النبوة وأن تكون زوجا لأكرم رسول وأعظم مخلوق، وأن تكون أماً للمؤمنين. ولكن ذلك حصل، وانتقلت سيدتنا سودة إلى بيته صلى الله عليه وسلم، ووجدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الاحترام والإكرام.

عاشت السيدة سودة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنوات زوجة وحيدة لم يتزوج معها أحداً طوال هذه المدة.

حالها مع النبي صلى الله عليه وسلم:

وكانت رضي الله عنها تعرف منذ اللحظة الأولى التي اجتمعت فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم أنها لن تخلف السيدة خديجة بنت خويلد في نفسه أو قلبه، وأن زواجه منها هو البر والرحمة وجبران الخاطر.

لهذا لم تفكر -وهي الفاضلة الطاهرة- مثل النساء الأخريات ذوات الرغبات البشرية؛ بل كان يكفيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفعها إلى منزلة أم المؤمنين، وزوجة سيد المرسلين أشرف الخلق أجمعين.

وقد كانت السيدة سودة عليها رضوان الله امرأة طيبة القلب خفيفة الدم ضخمة الجسم، ولهذا عرفها سيدنا عمر بن الخطاب ضي الله عنه عندما خرجت في الليل، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها:أَنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّ يَخْرُجْنَ بِاللَّيْلِ إِذَا تَبَرَّزْنَ إِلَى الْمَنَاصِعِ وَهُوَ صَعِيدٌ أَفْيَحُ، فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: احْجُبْ نِسَاءَكَ، فَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُ، فَخَرَجَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنْ اللَّيَالِي عِشَاءً -وَكَانَتْ امْرَأَةً طَوِيلَةً- فَنَادَاهَا عُمَرُ أَلَا قَدْ عَرَفْنَاكِ يَا سَوْدَةُ؛ حِرْصًا عَلَى أَنْ يَنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنْزَلَ الله آيَةَ الْحِجَابِ.أخرجه البخاري ومسلم.

وكانت رضي الله عنها بطيئة الخطى، حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضاحكها إذا رآها تمشي على حالتها تلك.

وقد كان بطئها هذا وثقلها سببا في التيسير على الأمة في كثير من أعمال الحج، كالنفر من مزدلفة والرمي قبل الفجر والإفاضة إلى مكة، فعَنْ عَائِشَةَ رضي اللهُ عَنْهَا قَالَتْ:نَزَلْنَا الْمُزْدَلِفَةَ، فَاسْتَأْذَنَتْ النَّبِيَّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوْدَةُ أَنْ تَدْفَعَ قَبْلَ حَطْمَةِ النَّاسِ -وَكَانَتْ امْرَأَةً بَطِيئَةً- فَأَذِنَ لَهَا، فَدَفَعَتْ قَبْلَ حَطْمَةِ النَّاسِ، وَأَقَمْنَا حَتَّى أَصْبَحْنَا نَحْنُ، ثُمَّ دَفَعْنَا بِدَفْعِهِ،

فَلَأَنْ أَكُونَ اسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا اسْتَأْذَنَتْ سَوْدَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَفْرُوحٍ بِهِ. أخرجه البخاري.

وفي رواية لمسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَتْ سَوْدَةُ امْرَأَةً ضَخْمَةً ثَبِطَةً، فَاسْتَأْذَنَتْ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُفِيضَ مِنْ جَمْعٍ بِلَيْلٍ، فَأَذِنَ لَهَا، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَيْتَنِي كُنْتُ اسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا اسْتَأْذَنَتْهُ سَوْدَةُ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ لَا تُفِيضُ إِلَّا مَعَ الْإِمَامِ.

وفي رواية لمسلم أيضاً عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ اسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا اسْتَأْذَنَتْهُ سَوْدَةُ فَأُصَلِّي الصُّبْحَ بِمِنًى فَأَرْمِي الْجَمْرَةَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ النَّاسُ، فَقِيلَ لِعَائِشَةَ: فَكَانَتْ سَوْدَةُ اسْتَأْذَنَتْهُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ إِنَّهَا كَانَتْ امْرَأَةً ثَقِيلَةً ثَبِطَةً، فَاسْتَأْذَنَتْ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَذِنَ لَهَا.

وقد رعت السيدة سودة بيت النبوة بخير رعاية واعتنت ببناته صلى الله عليه وسلم وكأنهن بناتها، وعطفت عليهن وخدمتهن وأدخلت السرور إلى قلبهن وقلب أبيهن صلى الله عليه وسلم بقدر المستطاع بخفة دمها ومرحها.

فطنتها وذكاؤها رضي الله عنها:

وحينما قدمت عائشة رضي الله عنها إلى بيت النبوة في المدينة وقد عقد بها في مكة، قيل: قبل زواجه بالسيدة سودة، وقيل: بعد زواجه بها، فحينما قدمت عائشة رضي الله عنها وبقية زوجاته صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهن.. أدركت السيدة سودة أنهن أكثر شبابا وجمالا وخفة منها، ومع كل ذلك رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل في القسط بينهن، إلا أنها بحس المرأة المجربة المدركة أدركت أن هواه صلى الله عليه وسلم مع غيرها،وقد أثقلها العمر، فخافت أن يطلقها صلى الله عليه وسلم، وقد كره كذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رسول الرحمة والعدل أن لا يكون عادلا بين نسائه، وكره أن يكون سببا لما سيلحق هذه المرأة الطيبة الحنونة من ظلم أو شعور لحرمان عاطفي، وفكر طويلا مشفقا عليها، لذلك قرر أن يسرّحها كما جاء في بعض الروايات ليعفيها من وضع أحس أنه يؤذيها وربما يجرح قلبها.

وكانت من عادته صلى الله عليه وسلم أن يبيت ليلة في بيت كل واحدة من نسائه على التوالي حتى يعدل بينهن.

فلما علمت السيدة سودة عزمه صلى الله عليه وسلم على طلاقها أدركت بأن كل شيء سينهار وأنها ستفقد منزلة عظيمة عند الله ورسوله فبادرته قائلة له:

يا رسول الله أمسكني ووالله ما بي إلى الأزواج حرص، ولكني أحب أن يبعثني الله تعالى يوم القيامة زوجا لك، وأهب ليلتي لعائشة وإني لا أريد ما تريد النساء؛ لأنها تعلم مقدار السيدة عائشة عنده صلى الله عليه وسلم، فعَنْ عَائِشَةَ رضي اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ وَكَانَ يَقْسِمُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا غَيْرَ أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبْتَغِي بِذَلِكَ رِضَا رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أخرجه البخاري.

وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها سماحتها وكرمها فأثر ذلك فيه، ووافقها صلى الله عليه وسلم أول الأمر، وجعل ليلتها لعائشة حتى يشعرها أنه قبل هبتها، ثم قسم لها ليلتها مثل بقية أزواجه بعد حين ليشعرها بأنه لا يجفوها ولا يهملها.

وفي ذلك نزل قوله تعالى ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ

ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ ﴾ {النساء: ١٢٨}.

فما أعظمها من امرأة بهذا الكرم والأخلاق والتعلق بالحبيب صلى الله عليه وسلم.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدرها ويضاحكها ويباسطها كبقية نسائه صلى الله عليه وسلم، فقد روى النسائي وأبو بكر الشافعي وأبو يعلى بسند حسن عن عائشة رضي الله تعالى عنها - قالت: زارتنا سودة يوما، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينها فأتيت بحريرة أو قال خَزِيرَة ،[1] فقلت لها: كلي، فأبت، فقلت لتأكلين وإلا لطخت وجهك، فأبت، فأخذت من القصعة شيئا، فلطخت به وجهها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع رجله من حجرها، وقال الطخي وجهها فَأَخَذَتْ شيئا من القصعة فلطخت به وجهي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فمر عمر فنادى، يا عبد الله يا عبد الله فظن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيدخل فقال: قوما فاغسلا وجوهكما قالت عائشة: فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) الخَزِيرَة بِالْهَاءِ، قَالَ اِبْن قُتَيْبَة: الْخَزِيرَة: لَحْم يُقَطَّع صِغَارًا ثُمَّ يُصَبّ عَلَيْهِ مَاء كَثِير، فَإِذَا نَضِجَ ذُرَّ عَلَيْهِ دَقِيق، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا لَحْم فَهِيَ عَصِيدَة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل في القسمة بين نسائه وكانت كل واحدة منهن لا تريد أن تهب ليلتها لغيرها، فأراد الله إخبارهن أن القسمة منه صلى الله عليه وسلم إنما هي بمحض الفضل والعدل منه صلى الله عليه وسلم وليس هي بواجبة عليه فأنزل قوله ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ {الأحزاب: ٥١}.

وكان ممن آوى: عائشة وأم سلمة وزينب وحفصة، فكان يقسم من نفسه وماله منهن سواء، **وكان ممن أرجى**: سودة وجويرية وأم حبيبة وميمونة وصفية، فكان يقسم لهن ما شاء، وكان أراد أن يفارقهن فقلن له: اقسم لنا من نفسك ما شئت ودعنا نكون على حالنا. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه.

وفاتها رضي الله عنها:

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عاشت السيدة سودة مدة من الزمن حيث طال بها العمر إلى أواخر زمن الخليفة العادل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فتوفيت في سنة أربع وخمسين من الهجرة (٥٤هـ)، وقيل: خمس وخمسين (٥٥هـ)، رضي الله عنها وأرضاها.

وقد ظلت السيدة عائشة عليها رضوان الله تعالى تذكرها بخير وتؤثرها بجميل الوفاء وكانت تقول عنها: مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ فِي مِسْلَاخِهَا مِنْ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ. أخرجه مسلم.

والمراد بـ(الْمِسْلَاخ) بِكَسْرِ الْمِيم وَبِالْخَاءِ الْمُعْجَمَة هُوَ الْجِلْد، وَمَعْنَاهُ أَنْ أَكُون أَنَا هِيَ، كما ذكر ذلك الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم.

فرحمها الله رحمة الأبرار وجمعنا بها في دار القرار مع النبي المختار آمين اللهم آمين



ألثالثة من نسائه صلى اللّه عليه وسلم

السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها

إسمها رضي الله عنها:

هي أم المؤمنين العفيفة الطاهرة السيدة عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر.

واسم أبي بكر .. عبدالله واسم أبيه عثمان ويكنى بأبي قحافه.

إسم أمها:

وأمها وأمُّ شقيقها عبد الرحمن: أم رومان- قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم:((وَهِيَ بِضَمِّ الرَّاء وَإِسْكَان الْوَاو، وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُور، وَلَمْ يَذْكُر الْجُمْهُور غَيْره . وَحَكَى اِبْن عَبْد الْبَرّ فِي الِاسْتِيعَاب ضَمّ الرَّاء وَفَتْحهَا، وَرَجَّحَ الْفَتْح وَلَيْسَ هُوَ بِرَاجِحٍ)) اهـ.

وأم رومان هي زينب بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أُذَيْنَةَ بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة.

الصحابية الجليلة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلى امْرَأَةٍ مِنَ الْحُوْرِ الْعِيْنِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أُمِّ رُوْمَان**)) أخرجه أبو نعيم وابن سعد.

وقال صلى الله عليه وسلم عند موتها:(**اللهم لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك**).

قصة زواجها رضي الله عنها:

قد تقدم بنا الحديث الذي رواه أَبو سَلَمَةَ وَيَحْيَى، عند ذكر أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها، وما كان من خول بنت حكيم وقد ذكرنا أنها جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو حزين وتحدثت معه في أمر الحياة والبيت وبناته، ثم فاجأته بالسؤال:

يَا رَسُولَ الله أَلَا تَزَوَّجُ قَالَ مَنْ قَالَتْ إِنْ شِئْتَ بِكْرًا وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا قَالَ فَمَنْ الْبِكْرُ قَالَتْ ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْكَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قَالَ وَمَنْ الثَّيِّبُ قَالَتْ سَوْدَةُ ابْنَةُ زَمْعَةَ قَدْ آمَنَتْ بِكَ وَاتَّبَعَتْكَ عَلَى مَا تَقُولُ، قَالَ:((**فَاذْهَبِي فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ**)) فَدَخَلَتْ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَتْ يَا أُمَّ رُومَانَ مَاذَا أَدْخَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ مِنْ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ قَالَتْ وَمَا ذَاكَ قَالَتْ أَرْسَلَنِي رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ قَالَتْ انْتَظِرِي

أَبَا بَكْرٍ حَتَّى يَأْتِيَ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَتْ يَا أَبَا بَكْرٍ مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ قَالَ وَمَا ذَاكَ قَالَتْ أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ قَالَ وَهَلْ تَصْلُحُ لَهُ إِنَّمَا هِيَ ابْنَةُ أَخِيهِ فَرَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَتْ لَهُ ذَلِكَ قَالَ ارْجِعِي إِلَيْهِ فَقُولِي لَهُ أَنَا أَخُوكَ وَأَنْتَ أَخِي فِي الْإِسْلَامِ وَابْنَتُكَ تَصْلُحُ لِي فَرَجَعَتْ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ قَالَ انْتَظِرِي وَخَرَجَ قَالَتْ أُمُّ رُومَانَ إِنَّ مُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ قَدْ كَانَ ذَكَرَهَا عَلَى ابْنِهِ – جُبَيْرٍ – فَوَاللهِ مَا وَعَدَ مَوْعِدًا قَطُّ فَأَخْلَفَهُ لِأَبِي بَكْرٍ فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ وَعِنْدَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ الْفَتَى فَقَالَتْ– مباشرة – يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ لَعَلَّكَ مُصْبٍ صَاحِبَنَا مُدْخِلُهُ فِي دِينِكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ إِنْ تَزَوَّجَ إِلَيْكَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ: آقَوْلَ هَذِهِ تَقُولُ، قَالَ إِنَّهَا تَقُولُ ذَلِكَ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَقَدْ أَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مِنْ عِدَتِهِ الَّتِي وَعَدَهُ، فَرَجَعَ فَقَالَ لِخَوْلَةَ: ادْعِي لِي رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَتْهُ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ وَعَائِشَةُ يَوْمَئِذٍ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ)) أخرجه الإمام أحمد.

. وفي رواية في البخاري عَنْ عَائِشَةَ رضي اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**رَأَيْتُكِ فِي الْمَنَامِ يَجِيءُ بِكِ الْمَلَكُ**– أي جبريل – **فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ**– والسَرَقَةَ بفتح السين والراء والقاف وَهِيَ

قطعة القماش الْأبيض مِنْ الْحَرِير - **فَقَالَ لِي: هَذِهِ امْرَأَتُكَ فَكَشَفْتُ عَنْ وَجْهِكِ الثَّوْبَ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ فَقُلْتُ إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ الله يُمْضِهِ))**.

وفي رواية للبخاري أيضاً عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ إِذَا رَجُلٌ يَحْمِلُكِ فِي سَرَقَةِ حَرِيرٍ فَيَقُولُ هَذِهِ امْرَأَتُكَ فَأَكْشِفُهَا فَإِذَا هِيَ أَنْتِ فَأَقُولُ إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ الله يُمْضِهِ))**.

وفي رواية الإمام مسلم: ((**أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ جَاءَنِي بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ فَيَقُولُ هَذِهِ امْرَأَتُكَ فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكِ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ فَأَقُولُ إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ الله يُمْضِهِ))**.

وفي رواية للترمذي قال: ((**أَنَّ جِبْرِيلَ جَاءَ بِصُورَتِهَا فِي خِرْقَةِ حَرِيرٍ خَضْرَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّ هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ))**

قَالَتْ عَائِشَةُ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ فِي السُّنْحِ قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ بَيْتَنَا وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ الْأَنْصَارِ وَنِسَاءٌ، فَجَاءَتْنِي أُمِّي وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ بَيْنَ عَذْقَيْنِ تَرْجَحُ بِي فَأَنْزَلَتْنِي مِنْ الْأُرْجُوحَةِ وَلِي جُمَيْمَةٌ فَفَرَقَتْهَا،- وَ (جُمَيْمَة) تَصْغِير (جُمَّة)

وَهِيَ: الشَّعْر النَّازِل إِلَى الْأُذُنَيْنِ وَنَحْوهمَا أَيْ صَارَ إِلَى هَذَا الْحَدّ بَعْد أَنْ كَانَ قَدْ ذَهَبَ بِالْمَرَضِ، ويقال للشعر إذا سقط عن المنكبين جمة وإذا كان إلى شحمة الأذنين وفرة - وَمَسَحَتْ وَجْهِي بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ ثُمَّ أَقْبَلَتْ تَقُودُنِي حَتَّى وَقَفَتْ بِي عِنْدَ الْبَابِ وَإِنِّي لَأَنْهَجُ- أي: أنفخ من التعب - حَتَّى سَكَنَ مِنْ نَفْسِي- هُوَ بِفَتْحِ الْفَاء هَذِهِ كَلِمَة يَقُولهَا الْمَبْهُور حَتَّى يَتَرَاجَع إِلَى حَال سُكُونه- ، ثُمَّ دَخَلَتْ بِي فَإِذَا رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرٍ فِي بَيْتِنَا وَعِنْدَهُ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَأَجْلَسَتْنِي فِي حِجْرِهِ، ثُمَّ قَالَتْ: هَؤُلَاءِ أَهْلُكِ فَبَارَكَ الله لَكَ فِيهِمْ وَبَارَكَ لَهُمْ فِيكِ فَوَثَبَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَخَرَجُوا وَبَنَى بِي رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِنَا مَا نُحِرَتْ عَلَيَّ جَزُورٌ وَلَا ذُبِحَتْ عَلَيَّ شَاةٌ حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بِجَفْنَةٍ كَانَ يُرْسِلُ بِهَا إِلَى رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَارَ إِلَى نِسَائِهِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ. أخرجه الإمام أحمد.

عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رضي اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ فَوُعِكْتُ فَتَمَرَّقَ شَعَرِي فَوَفَى جُمَيْمَةً - أي كمل- فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ وَمَعِي صَوَاحِبُ لِي فَصَرَخَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا لَا أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفَتْنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ وَإِنِّي لَأُنْهَجُ حَتَّى سَكَنَ بَعْض

نَفَسِي ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ فَقُلْنَ عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ- أي: الحَظّ فالطائر يُطْلَق عَلَى الحَظّ مِنْ الخَيْر وَالشَّرّ، وَالْمُرَاد هُنَا عَلَى أَفْضَل حَظّ وَبَرَكَة- فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضُحًى فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ. أخرجه البخاري ومسلم.

رد شبهة الزواج:

وللأمانة العلمية أخذت ذلك وراجعته واستفدته من بحث الدكتور محمد عمارة أستاذ الفقه بكلية الدراسات الإسلامية "جامعة الأزهر".

يحاول البعض أن يشكك في زواج النبي صلى الله عليه وسلم بالسيدة عائشة في هذا السن الذي يراه صغيراً فيقوم البعض بعمل مقارنة بينها وبين سن أختها أسمها -بقصد ردِّ ما قاله أهل العلم- حيث يقول:

ذكرت المصادر أن أسماء بنت أبي بكر توفيت سنة ٧٣هـ في سنة مقتل ابنها عبدالله بن الزبير من قبل الحجاج بن يوسف، وأن عمرها حين موتها ١٠٠ سنة، فبطرح سنها من سنة وفاتها (١٠٠- ٧٣= ٢٧) فالناتج ٢٧ وهو سنها وقت الهجرة أي: أن عمرها عند البعثة ١٤ سنة، ثم يقول أن

المصادر التاريخية تثبت أن بينها وبين أختها عائشة عشر سنوات مما يدل على أن عمر عائشة عند البعثة أربع (٤) سنوات، فيكون عمرها عند الهجرة إذا أضفنا سنوات الدعوة في مكة وهي (١٣) عام هو: سبعة عشر (١٧) سنة ودخل بها رسول الله وعمرها ثمانية عشرة سنة؛ لأنه دخل بها بعد الهجرة، وهذا هو الكذب والتدليس بعينه حيث أن المصادر قالت أن بينها وبين أختها بضع عشرة سنة، والبضع كما هو معلوم من الثلاثة إلى التسعة، قال في سير أعلام النبلاء أيضًا، وكذا تاريخ الإسلام:((وكانت -أي أسماء- أسن من عائشة ببضع عشرة سنة)).

فإذا كانت كتب التاريخ تؤكد أن وفاة أسماء كان سنة ٧٣ هـ وتوفيت وعمرها ١٠٠ سنة، وأن أسماء هاجرت وعمرها ٢٧ سنة وهذا يعني أنها حينما أسلمت كان عمرها ١٤ سنة بطرح مدة الدعوة المكية ١٣ من مجموع السن ٢٧-١٣ = ١٤، والثابت أنها كانت أكبر من عائشة ببضع عشرة سنة على الراجح كما ذكر ذلك الذهبي وغيره، فتكون عائشة قد ولدت في السنة الخامسة من البعثة، أي في الإسلام وليس قبل الإسلام، فهذا ما يتفق مع ما ذكره البخاري في باب بدئ الوحي.

وربما استدل كذلك بحديث السيدة عائشة رضي الله عنها وهو:((لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول

الله طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا قبل هجرة الحبشة))، فيستدل هنا بأنها كانت تعقل في هذا السن، أي: أنها كبيرة في السن وقت هجرة الحبشة، مما يدل على أنها وُلِدَتْ قَبْلَ البعثة، وما يذكره أهل السنة والجماعة من أنها كانت بداية الدعوة صغيرة جدا فهذا غير صحيح (هذا مراده)، وهذا كذب وتدليس في الرواية وتحريف مما يدل على جهل المستدل، حيث أن الرواية لم تكن هكذا؛ بل الصواب أنها قالت: ((لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفَيْ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا **قِبَلَ** الْحَبَشَةِ)) أخرجه البخاري، أي: جهة الحبشة، وهناك فارق كبير في المعنيين بين قَبْلَ وقِبَلَ، فالحديث يبين أن أبا بكر لما أوذي واشتد إيذاء قريش له خرج نحو الحبشة مهاجرًا وكان خروجه هذا قريبًا من هجرة المدينة يعني في أواخر الدعوة المكية، فلقيه ابن الدغنة فأجاره، والهجرة لم تنقطع إلى الحبشة إلا بهجرة المدينة، ويؤكد هذا المعنى ما جاء في الحديث نفسه، ففي تكملة الحديث في البخاري:((حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الْغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَخْرَجَنِي قَوْمِي فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ فَأَعْبُدَ رَبِّي قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ إِنَّ مِثْلَكَ لَا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ فَإِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ

وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ وَأَنَا لَكَ جَارٌ فَارْجِعْ فَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبِلَادِكَ فَارْتَحَلَ ابْنُ الدَّغِنَةِ فَرَجَعَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ فَطَافَ فِي أَشْرَافِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلَا يُخْرَجُ أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يُكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَيَصِلُ الرَّحِمَ وَيَحْمِلُ الْكَلَّ وَيَقْرِي الضَّيْفَ وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ فَأَنْفَذَتْ قُرَيْشٌ جِوَارَ ابْنِ الدَّغِنَةِ وَآمَنُوا أَبَا بَكْرٍ وَقَالُوا لِابْنِ الدَّغِنَةِ مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَلْيُصَلِّ وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ وَلَا يُؤْذِينَا بِذَلِكَ وَلَا يَسْتَعْلِنْ بِهِ فَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا قَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ فَطَفِقَ أَبُو بَكْرٍ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِالصَّلَاةِ وَلَا الْقِرَاءَةِ فِي غَيْرِ دَارِهِ ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ وَبَرَزَ فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَتَقَصَّفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ يَعْجَبُونَ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً لَا يَمْلِكُ دَمْعَهُ حِينَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا لَهُ إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ وَإِنَّهُ جَاوَزَ ذَلِكَ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ وَأَعْلَنَ الصَّلَاةَ وَالْقِرَاءَةَ وَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا فَأْتِهِ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ ذَلِكَ فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ فَإِنَّا كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الِاسْتِعْلَانَ قَالَتْ عَائِشَةُ فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ

فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ وَإِمَّا أَنْ تَرُدَّ إِلَيَّ ذِمَّتِي فَإِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللهِ وَرَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ رَأَيْتُ سَبْخَةً ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ وَهُمَا الْحَرَّتَانِ فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ حِينَ ذَكَرَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْضُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رِسْلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ هَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ قَالَ نَعَمْ فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَصْحَبَهُ وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ))، فتبين بهذا بطلان الإستدلال.

ويستدل كذلك المخالف بأن السيدة فاطمة ولدت في سنة بناء الكعبة وعمر النبي ٣٥ سنة وأن بينها وبين عائشة خمس سنوات بمعنى أن عمره صلى الله عليه وسلم عند ولادة عائشة ٤٠ عاماً أي في السنة الأولى من البعثة، مما يدل على أن عمر عائشة عند الهجرة كان يساوي عدد سنوات الدعوة الإسلامية في مكة وهي (١٣) سنة وليس (٩) سنوات. ويذكر أن هذا ما قاله الإمام ابن حجر وهو شارح البخاري.

وهذه أيضا مغالطة واضحة لأنه :

أولاً: لم يتنبه أنه تناقض حين جعل بينها وبين السيدة فاطمة خمس سنوات وجعل ولادتها أي السيدة عائشة في السنة الأولى من البعثة، بينما عند مقارنة سنها بسن أختها أسماء جعلها في السنة الرابعة قبل البعثة، وهذا تناقض واضح يجعل الاستدلالين يتساقطان.

ثانيا:في ترجمة السيدة فاطمة قال الذهبي (سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٢٩): ((مولدها قبل البعثة بقليل)) اهـ.

ثالثاً: إذا ما نظرنا إلى سن زواج النبي -صلَّى الله عليه وسَلَّم- من عائشة وكان قبل الهجرة ببضعة عشر شهرًا، وقيل بعامين كما سيأتي معنا إن شاء الله تعالى، أضف إلى هذا السن عمر عائشة حينها وكان ست سنوات، فيكون المجموع ٢ + ٦ = ٨ اطرح هذا من مدة الدعوة المكية ١٣ - ٨ = ٥، فإن هذا يعني أنها ولدت في السنة الخامسة من البعثة.

ويؤكد هذا المعنى ما ذكره ابن الأثير في أسد الغابة (٧/ ٢١٦) إذ ذكر أن النبي -صلَّى الله عليه وسَلَّم- زوج عليًّا من فاطمة بعد أن تزوج النبي -صلَّى الله عليه وسَلَّم- عائشة بأربعة أشهر ونصف، وكان سنها يوم تزويجها أي السيدة فاطمة خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، وهذا يعني أنه بنى بها في السنة الثانية من الهجرة، فإذا ما اعتبرنا السن المذكور لفاطمة تبين

لنا أنها ولدت قبل البعثة بقليل كما ذكر الذهبي وغيره، وليس بخمس سنوات كما ذكر المخالف حيث ذكر أن ولادتها كانت وعمره صلى الله عليه وسلم خمس وثلاثين سنة، لأن هذا هو سنه عند بناء الكعبة وينقل ذلك عن ابن حجر، والصحيح ما ذكرنا ؛ بل أن الشيخ ابن حجر لم يقل هذا، بإنما نقل أقوالاً، وهذا الذي نقله المخالف هو قول من هذه الأقوال، حيث أن ابن حجر رجح بعد ذكر هذه الأقوال أن مولدها أي السيدة فاطمة رضي الله عنها كان قبل البعثة بقليل، قال في الإصابة :(واختلف في سنة مولدها فروى الواقدي عن طريق أبي جعفر الباقر قال: قال العباس: ولدت فاطمة والكعبة تبنى والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بن خمس وثلاثين سنة وبهذا جزم المدائني.

ونقل أبو عمر عن عبيد الله بن محمد بن سليمان بن جعفر الهاشمي أنها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وكان مولدها قبل البعثة بقليل نحو سنة أو أكثر وهي أسن من عائشة بنحو خمس سنين وتزوجها علي أوائل المحرم سنة اثنتين بعد عائشة بأربعة أشهر وقيل غير ذلك)) اهـ

ويستدل كذلك المخالف بقوله أن ابن كثير قال عن الذين سبقوا بإسلامهم: (ومن النساء أسماء بنت أبي بكر وعائشة وهي صغيرة فكان إسلام هؤلاء في ثلاث سنين ورسول الله يدعو في خفية، ثم أمر الله رسوله

بإظهار الدعوة)، ثم يقول: وبالطبع هذه الرواية تدل على أن عائشة قد أسلمت قبل أن يعلن الرسول الدعوة في عام ٤ من البعثة.

وهذا من التدليس والكذب أيضاً حيث أن هذا الكلام لم يقله ابن كثير ولا يوجد أصلا في كتابه.

ويستدل كذلك عن الطبري:بأنه جزم بيقين أن كل أولاد أبي بكر قد ولدوا في الجاهلية، أي قبل البعثة مما يؤكد أن السيدة عائشة لم تولد في الإسلام، وهذا هو الجهل بالنصوص وعدم فهمها مما يبين أن صاحب النقل جاهل يريد مقارعة العلماء والأئمة، فالطبري عليه رحمة الله كان يتحدث عن زوجات أبي بكر لا عن أولاده، حيث قسم الطبري في تاريخه أزواجه اللاتي تزوجهن؛ فمنهن من تزوجهن في الجاهلية وولدن له، ومنهن من تزوجهن في الإسلام، ثم سمى أولاد أبي بكر من زوجتيه اللتين تزوجهما قبل الإسلام وقال: (فكل هؤلاء الأربعة من أولاده ولدوا من زوجتيه اللتين سميناهما في الجاهلية)، فالمخالف ظن بجهله أن مراده ولدوا في الجاهلية، بينما الحديث عن الزوجتين فالحديث عن الأزواج وليس عن الأولاد، بل الطبري نفسه في تاريخه يجزم بأن النبي بنى بها بعد الهجرة وكان عمرها تسع سنين.

ثم إن النساء في جزيرة العرب كانت أجسامهن تنموا مع صغر السن بسبب طبيعة الجزيرة فربما كانت البنت صغيرة في السن إلا أن جسمها يكون كبيرا متماسكا كما شهد بذلك بعض الباحثين الغرب الذين زاروا

جزيرة العرب حيث كان معترضا على سن زواج السيدة عائشة عليها رضوان الله ثم بعد الزيارة أقر بذلك.

وكل ذلك يسقط عندما نعلم أن صاحبة الشأن هي التي تتحدث عن نفسها، وتخبرنا بسنة زواجها ومتى بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما جاء في الروايات التي ترويها السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها بنفسها فمنها: قولها: (تَزَوَّجَنِي رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا ابْنَةُ سِتِّ سِنِينَ بِمَكَّةَ مُتَوَفَّى خَدِيجَةَ وَدَخَلَ بِي وَأَنَا ابْنَةُ تِسْعِ سِنِينَ بِالْمَدِينَةِ). أخرجه مسلم وأحمد.

وقولها: (تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ فَوُعِكْتُ فَتَمَرَّقَ شَعَرِي فَوَفَى جُمَيْمَةً فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ وَمَعِي صَوَاحِبُ لِي فَصَرَخَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا لَا أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفَتْنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ وَإِنِّي لَأُنْهِجُ حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفَسِي. ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ فَقُلْنَ عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضُحًى فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ)) أخرجه البخاري ومسلم.

وقد ذكر سن زواجها جميع أصحاب السنن وغيرهم وليس البخاري فقط؛ بل أخرج ذلك البخاري ومسلم واحمد والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه والإمام مالك وابن أبي شيبة وعبدالرزاق والدارمي والحاكم والدار قطني والطبراني وأبو يعلى وأبو سعيد وأبو عوانة والحميدي وأبو إسحاق ابن راهويه، فهل كل هؤلاء مخطئون غير متثبتين؟! فإن كان كذلك.. فعلى الدنيا السلام، وهل وصل إلينا الدين والشرع إلا عن طريقهم، فالشك فيهم شك في الدين وهدم له والعياذ بالله تعالى.

وجاء في الأحاديث الصحيحة بيان ذلك عن غيرها فمنها:

ما تقدم من رواية الإمام أحمد في ذكر خطبتها وخطبة سودة بنت زمعة.

ومنها: عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:(تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ قَبْلَ مَخْرَجِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ فَلَبِثَ سَنَتَيْنِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ وَنَكَحَ عَائِشَةَ وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ ثُمَّ بَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ) أخرجه البخاري.

وعَنْ عُرْوَةَ قال:(تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَةَ وَهِيَ بِنْتُ سِتٍّ سِنِينَ وَبَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ وَمَكَثَتْ عِنْدَهُ تِسْعًا) أخرجه البخاري.

وكان زواجه صلى الله عليه وسلم منها عليها رضوان الله في شوال على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجره إلى المدينة.

فما أن استقر برسول الله صلى الله عليه وسلم المقام في مهاجره حتى بعث مولاه زيد بن حارثة ومولاه الآخر أبا رافع ليحضرا بناته صلى الله

عليه وسلم، وقد أرسل معهما أبوبكر رضي الله عنها إلى ولده عبدالله ليصطحب زوجته أم رومان وابنتيه أسماء وعائشة ويحضروا جميع إلى المدينة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسس مسجده وبنى بيوته حوله.

وما كان بيت السيدة عائشة عليها رضوان الله تعالى سوى حجرة من الحجرات التي شيِّدت حول المسجد من اللَبِن وسعف النخل، ووضع فيه فراش من جلد حشوه ليف، ليس بينه وبين الأرض إلا الحصير، وعلى فتحة الباب أسدل ستار من شعر.

من هنا بدأت السيدة عائشة رضي الله عنها حياة جديدة في كنف أكرم زوج وأحن زوج وأبره وأرحمه،فقد كان صلى الله عليه وسلم يلاطفها ويلاعبها، وكانت تصنع الدمى وتلعب بهن، فعنها رضي اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَدِمَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَوْ خَيْبَرَ وَفِي سَهْوَتِهَا[١] سِتْرٌ فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَبٍ فَقَالَ:((**مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ**))، قَالَتْ: بَنَاتِي، وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ،[٢] فَقَالَ:((**مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسْطَهُنَّ**))، قَالَتْ فَرَسٌ، قَالَ:((**وَمَا هَذَا الَّذِي**

---

(١) بِفَتْحِ السِّين الْمُهْمَلَة أَيْ صِفَتهَا قُدَّام الْبَيْت وَقِيلَ بَيْت صَغِير مُنْحَدِر فِي الْأَرْض قَلِيلًا شَبِيه بِالْمُخْدَعِ، وَقِيلَ هُوَ شَبِيه بِالرَّفّ وَالطَّاق يُوضَع فِيهِ الشَّيْء، كَذَا فِي النِّهَايَة.

(٢) بِكَسْرِ الرَّاء جَمْع رُقْعَة وَهِيَ الْخِرْقَة وَمَا يُكْتَب عَلَيْهِ.

عَلَيْه))، قَالَتْ: جَنَاحَانِ، قَالَ:((**فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ**)) قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَةٌ، قَالَتْ. فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ.أخرجه أبو داود والنسائي.

فانظروا إلى هذا التلطف وهذه الرحمة منه صلى الله عليه وسلم والتواضع والتنزِّل.

وكانت رضي الله عنها وأرضاها تكنى بابن أختها أسماء عبدالله بن الزبير، فعنها رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**أَلَا تَكْتَنِينَ**))، قَالَتْ: بِمَنْ أَكْتَنِي، قَالَ:((**اكْتَنِي بِابْنِكِ عَبْدِ الله يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ**)) فَكَانَتْ تُكَنَّى بِأُمِّ عَبْدِ الله. أخرجه الإمام أحمد.

وكانت السيدة عائشة عليها رضوان الله لا تحس في بداية أمرها ضيقاً بوجود زوجة أخرى سبقتها عند النبي صلى الله عليه وسلم وهي سودة بنت زمعة، ولكن لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسائه الأخريات بدأت تحس بالغيرة وأنهن يأخذن من نصيبها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان نصيبا لها قبل مجيئهن وبعد مجيئهن شاركنها فيه صلى الله عليه وسلم، ولكنها كانت تعرف مكانتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد فازت منه بوفير المحبة فعنها رضي الله عنها قال:كَانَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ بَيْنَ نِسَائِهِ فَيَعْدِلُ، قَالَ عَفَّانُ – وهو

أحد رجال السند في الحديث – وَيَقُولُ صلى الله عليه وسلم:((**هَذِهِ قِسْمَتِي ثُمَّ يَقُولُ اللهمَّ هَذَا فِعْلِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ**)) أخرجه الإمام أحمد.

وفي رواية عنها رضي الله عنها قالت: أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْسِمُ بَيْنَ نِسَائِهِ فَيَعْدِلُ، وَيَقُولُ:((**اللهمَّ هَذِهِ قِسْمَتِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ**)) أخرجه الترمذي وابن أبي شيبة والدارمي.

والمراد بقوله (فيما أملك) أي: أي أقدر عليه، (فلا تلمني) أي: لا تعاتبني ولا تؤاخذني، (فيما تملك ولا أملك) أي من زيادة المحبة والميل . فقد كان يحب السيدة عائشة رضي الله عنها كثيراً، فعن عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رضي اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ،قال: فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: ((**عَائِشَةُ**))، فَقُلْتُ: مِنْ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ:((**أَبُوهَا**)) أخرجه البخاري ومسلم.

وقد ضمت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها إليها من نسائه صلى الله عليه وسلم السيدة سودة والسيدة حفصة والسيدة صفية في مواجهة أم المؤمنين السيدة أم سلمة وبقية الزوجات عليهن رضوان الله، فكن هؤلاء يناصرنها ويدعمن موقفها، وهذا أمر طبيعي جعله الله في النساء، وهو جبلة فيهن فلا حرج من وجوده، وكان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يعرف كيف يتصرف مع المواقف ويمتص منهن الغضب والغيرة دون إثارة المشاكل؛ لأنه يعلم أن هذا الأمر لا يملكنه وهو طبيعة جعلها الله في البشر منذ أن خلقهم فلا يستطيع أحد تغييرها مطلقاً؛ بل شأنه التهذيب منها وحسن التعامل معها كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قصة المغافير:

عُرِفت السيدة عائشة عليها رضوان الله بالغيرة كما قلنا، وهو أمر طبيعي جدا في المرأة تجاه زوجها، وقد حدث أمر نسجته السيدة عائشة عليها رضوان الله مع نصيراتها حفصة وسودة عليهن رضوان الله، وذلك حين رأت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأخر في طوافه اليومي على بيوت نسائه، إذ كان يلبث عند أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش أطول مما يجلس عند غيرها، وذلك لأنها كانت تسقيه عسلا، فدبرت القضية مع نصيراتها كما جاء في البخاري وغيره، فعن عَائِشَةَ رضي اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ أَنَّ أَيَّتَنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْتَقُلْ إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ - والمغافير نبات كريه الرائحة - فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ:((**لَا بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا**

عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَلَنْ أَعُودَ لَهُ)) فنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ {التحريم: ١} إلى قوله: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ {التحريم: ٤}

لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ، ﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ ﴾ {التحريم: ٣}

لِقَوْلِهِ بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا)) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وأبي داؤد.

وقيل: لغير ذلك وسيأتي إن شاء الله تعالى.

وعَنْها رضي اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ الْعَسَلَ وَالْحَلْوَاءَ وَكَانَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ الْعَصْرِ دَخَلَ عَلَى نِسَائِهِ فَيَدْنُو مِنْ إِحْدَاهُنَّ فَدَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ فَاحْتَبَسَ أَكْثَرَ مَا كَانَ يَحْتَبِسُ فَغِرْتُ فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ فَقِيلَ لِي أَهْدَتْ لَهَا امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهَا عُكَّةً مِنْ عَسَلٍ فَسَقَتْ النَّبِيَّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ شَرْبَةً فَقُلْتُ أَمَا وَالله لَنَحْتَالَنَّ لَهُ فَقُلْتُ لِسَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ إِنَّهُ سَيَدْنُو مِنْكِ فَإِذَا دَنَا مِنْكِ فَقُولِي أَكَلْتَ مَغَافِيرَ فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكِ لَا فَقُولِي لَهُ مَا هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي أَجِدُ مِنْكَ- وَكَانَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ أَنْ يُوجَدَ مِنْهُ الرِّيحُ - فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكِ سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ فَقُولِي لَهُ جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ وَسَأَقُولُ ذَلِكِ وَقُولِي أَنْتِ يَا

صَفِيَّةُ ذَاكِ- والعرفط بضمتين هو شجر الطلح وله صمغ يقال له مغافير رائحته كريهة أي رَعَتْ نحله وأكلت من نبات العرفط- قَالَتْ تَقُولُ سَوْدَةُ فَوَالله مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَأَرَدْتُ أَنْ أُبَادِيَهُ بِمَا أَمَرْتِنِي بِهِ فَرَقًا مِنْكِ – أي خوفا منك يا عائشة – فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا قَالَتْ لَهُ سَوْدَةُ يَا رَسُولَ الله أَكَلْتَ مَغَافِيرَ قَالَ لَا قَالَتْ فَمَا هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي أَجِدُ مِنْكَ قَالَ سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ فَقَالَتْ جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ فَلَمَّا دَارَ إِلَيَّ قُلْتُ لَهُ نَحْوَ ذَلِكَ فَلَمَّا دَارَ إِلَى صَفِيَّةَ قَالَتْ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَلَمَّا دَارَ إِلَى حَفْصَةَ قَالَتْ يَا رَسُولَ الله أَلَا أَسْقِيكَ مِنْهُ قَالَ لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ قَالَتْ تَقُولُ سَوْدَةُ وَالله لَقَدْ حَرَمْنَاهُ قُلْتُ لَهَا اسْكُتِي. أخرجه البخاري ومسلم.

وورد أن سبب نزول آية التحريم هو: أن أم المؤمنين حفصة عليها رضوان الله تعالى وجدت مارية مع النبي صلى الله عليه وسلم حيث جاءت مارية لأمر وكان رسول الله في بيتها أي السيدة حفصة،وكان يوم السيدة عائشة عليها رضوان الله، فغضبت حفصة وقالت: أفي بيتي يا رسول الله، حتى استرضاها بأن حرّم مارية على نفسه واستكتمها الأمر، فأخبرت أمُّ المؤمنين حفصةُ أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنهن كما سيأتي عند ذكر أم المؤمنين حفصة إن شاء الله تعالى، فقالت له السيدة عائشة رضي الله عنها:(أما يومي فتعرس فيه بالقبطية ويسلم لنسائك سائر ايامهن)، فأنبأه

الله به وفرض له تحلة يمينه، فهجرهن النبي صلى الله عليه وسلم شهرا كاملا بعد أن زجرهن المولى وعاتبهن بالطلاق قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ﴾ {التحريم: ١ – ٥}.

من هذا يتبين لنا أن مثل هذه الإشكالات كانت في بيوت الحبيب صلى الله عليه وسلم، وكان صلى الله عليه وسلم يعرف كيف يتعامل معها، ونجد اليوم أن البعض ربما كره الحياة لوجود ما هو أقل من ذلك في بيته من مشاكل، فليتذكر أمثال هذه القصص وليتأسّى بالحبيب صلى الله عليه وسلم، فقد مرّ بما هو أشد من ذلك كما سيتبين لنا عند ذكر بقية نسائه صلى الله عليه وسلم، ولكنه كان يعلم أنه يتعامل مع بشر وليس مع ملائكة، وأن هذه الأمور جعلها الله فيهم جبلة فلابد من حصولها ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ

خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ {الفتح: ٢٣}، فلنتعلم من هذه الأخبار حسن التعامل مع الزوجات؛ لأن مدرسة النبوة مدرسة تربية وتقويم للاعوجاج، ولنأخذ من هذه المواقف العبر والعِظة، فليس المقصود من ذكرها التسلية بل الاعتبار والإِذّكَار، والإقتداء وفقه المواقف وحسن التعامل، وحسن القيام بالأسر المباركة، وإنشاء بيئة مصطفوية وأسرة نبوية مقتدية في أفعالها وأقوالها بحبيبها محمد صلى الله عليه وسلم.

حادثة الإفك:

إن أعداء الإسلام وأعداء الحبيب صلى الله عليه وسلم لا يزالون يتربصون به ويبحثون عما يؤذية مهما كان الثمن ومهما كانت الوسيلة للوصول إلى غايتهم، فقد اتهموه في بداية الدعوة بأنه مجنون كما حكى ذلك المولى تعالى في علاه حيث قال: ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ٣٦ ﴾ {الصافات: ٣٦}، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ١٤ ﴾ {الدخان: ١٤}، فأجاب الله عليهم ودافع عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: ﴿ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ٢٩ ﴾ {الطور: ٢٩}، وقال تعلى ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ ﴾ {القلم: ٢}، وقال تعالى: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢ ﴾ {التكوير: ٢٢}، ثم اتهموه صلى الله عليه وسلم بأنه

ساحر قال تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾ {ص: ٤}، فدافع الله عنه فقال: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ {الذاريات: ٥٢}، ولم يفتأ أعدائه صلى الله عليه وسلم من اتهامه وأذيته، ومن ذلك ما حاكه أهل الإفك في حق الشريفة الطاهرة العفيفة أم المؤمنين السيدة عائشة عليها رضوان الله حيث اتهموها في شرفها، وكان المقصود من كل ذلك هو اتهام شرفه صلى الله عليه وسلم، ولكن الله خيّب آمالهم وردهم خائبين. ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ {غافر: ٥١}، وقصة الإفك هي كما وردت في البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم من أهل الحديث:

كَانَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ سَهْمِي فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجٍ وَأُنْزَلُ فِيهِ فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنْ الْمَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ فَلَمَسْتُ صَدْرِي

فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ أَظْفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ فَأَقْبَلَ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ لِي فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَثْقُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ وَإِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنْ الطَّعَامِ فَلَمْ يَسْتَنْكِرْ الْقَوْمُ حِينَ رَفَعُوهُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ فَاحْتَمَلُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ فَجِئْتُ مَنْزِلَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونَنِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَنِمْتُ وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ يَدَهَا فَرَكِبْتُهَا فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرِّسِينَ – أي نازلين؛ لأن التعريس بمعنى نزول المسافر – فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الْإِفْكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكِ وَيَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَرَى مِنْ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرَضُ إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ كَيْفَ تِيكُمْ لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى نَقَهْتُ فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ – بن أُثَاثَةَ – قِبَلَ الْمَنَاصِعِ – وهي

مَوَاضِع خَارِج الْمَدِينَة وَهُوَ صَعِيد أَفْيَح، أَيْ أَرْض مُتَّسَعَة - مُتَبَرَّزُنَا لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأُوَلِ فِي الْبَرِّيَّةِ أَوْ فِي التَّنَزُّهِ فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُهْمٍ نَمْشِي فَعَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا - و المرط بكسر الميم كساء من صوف -قاله الداودي، وقال ابن فارس ملحفة يؤتزر بها، وقال الهروي: المروط الأكسية - فَقَالَتْ تَعِسَ مِسْطَحٌ فَقُلْتُ لَهَا بِئْسَ مَا قُلْتِ أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَتْ يَا هَنْتَاهْ - أي يا هذه - أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ فَقَالَ كَيْفَ تِيكُمْ فَقُلْتُ ائْذَنْ لِي إِلَى أَبَوَيَّ قَالَتْ وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا فَأَذِنَ لِي رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ فَقَالَتْ يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَى نَفْسِكِ الشَّأْنَ فَوَالله لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا فَقُلْتُ سُبْحَانَ الله وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا قَالَتْ فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ- أي لا ينقطع - وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ أَصْبَحْتُ فَدَعَا رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنْ الْوُدِّ لَهُمْ فَقَالَ أُسَامَةُ أَهْلُكَ يَا رَسُولَ

اللهِ وَلَا نَعْلَمُ وَاللهِ إِلَّا خَيْرًا وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ لَمْ يُضَيِّقْ اللهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ وَسَلْ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيرَةَ فَقَالَ يَا بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ فَقَالَتْ بَرِيرَةُ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا أي أعيبه عليها - قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ الْعَجِينِ فَتَأْتِي الدَّاجِنُ – أي الشاة التي تألف البيت ولا تخرج إلى المرعى -فَتَأْكُلُهُ فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ- أي من يقوم بعذره فيما رمى أهلي به من المكروه ومن يقوم بعذري إذا عاقبته على سوء ما صدر منه كما قاله النووي - فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا وَاللهِ أَعْذُرُكَ مِنْهُ إِنْ كَانَ مِنْ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنْ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنْ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَقَالَ كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ وَاللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنْ الْمُنَافِقِينَ فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا وَرَسُولُ اللهِ صلى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَنَزَلَ فَخَفَّضَهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ وَبَكَيْتُ يَوْمِي لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا حَتَّى أَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي قَالَتْ فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي إِذْ اسْتَأْذَنَتْ امْرَأَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَلَسَ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمِ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ قَالَتْ فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ الله وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي الله وَتُوبِي إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ الله عَلَيْهِ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً وَقُلْتُ لِأَبِي أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَالله مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لِأُمِّي أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا قَالَ قَالَتْ وَالله مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنْ الْقُرْآنِ فَقُلْتُ إِنِّي وَالله لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَالله يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَالله يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي وَالله مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا

إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ {يوسف: ١٨}

ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي الله وَلَكِنْ وَالله مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا وَلَأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي الله فَوَالله مَا رَامَ مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنْ الْبُرَحَاءِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنْ الْعَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَضْحَكُ فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي يَا عَائِشَةُ احْمَدِي الله فَقَدْ بَرَّأَكِ الله فَقَالَتْ لِي أُمِّي قُومِي إِلَى رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لَا وَالله لَا أَقُومُ إِلَيْهِ وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا الله فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم

بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ {النور: ١١ – ٢٠}، فَلَمَّا أَنْزَلَ الله هَذَا فِي بَرَاءَتِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي اللهُ عَنْهُ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَالله لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى

﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ {النور: ٢٢} فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بَلَى وَالله إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ الله لِي فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ وَكَانَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي فَقَالَ يَا زَيْنَبُ مَا عَلِمْتِ مَا رَأَيْتِ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ الله أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي وَالله مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا قَالَتْ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي – أي تضاهيني بمعنى أنها منافسة لي – فَعَصَمَهَا الله بِالْوَرَعِ.

وفي رواية:

عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: سَأَلْتُ أُمَّ رُومَانَ وَهِيَ أُمُّ عَائِشَةَ عَمَّا قِيلَ فِيهَا مَا قِيلَ، قَالَتْ: بَيْنَمَا أَنَا مَعَ عَائِشَةَ جَالِسَتَانِ إِذْ وَلَجَتْ عَلَيْنَا امْرَأَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ وَهِيَ تَقُولُ فَعَلَ الله بِفُلَانٍ وَفَعَلَ قَالَتْ فَقُلْتُ لِمَ قَالَتْ إِنَّهُ نَمَى ذِكْرَ الْحَدِيثِ – ويضبطه بعض أهل الحديث بتشديد الميم نمّى الحديث أي رفع الخبر، ف بالتخفيف إذا بلغه على وجه الإصلاح، وبالتشديد: إذا بلغه على وجه الإفساد، كما في دليل الفالحين – فَقَالَتْ عَائِشَةُ أَيُّ حَدِيثٍ فَأَخْبَرَتْهَا قَالَتْ فَسَمِعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ نَعَمْ فَخَرَّتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا فَمَا أَفَاقَتْ إِلَّا وَعَلَيْهَا حُمَّى بِنَافِضٍ فَجَاءَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا لِهَذِهِ قُلْتُ حُمَّى أَخَذَتْهَا مِنْ أَجْلِ حَدِيثٍ تُحُدِّثَ بِهِ فَقَعَدَتْ فَقَالَتْ وَالله لَئِنْ حَلَفْتُ لَا تُصَدِّقُونِي وَلَئِنْ اعْتَذَرْتُ لَا تَعْذِرُونِي فَمَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ يَعْقُوبَ وَبَنِيهِ فَالله الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ الله مَا أَنْزَلَ فَأَخْبَرَهَا فَقَالَتْ بِحَمْدِ الله لَا بِحَمْدِ أَحَدٍ.

أخرجه البخاري.

وبعد نزول الآيات المباركات في براءة المبرأة العفيفة أم المؤمنين عائشة عليها رضوان الله.. قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بجلد من رماها كما

ورد في الصحيح، حيث ذكر نزول الآيات ببراءة السيدة عائشة عليها رضوان الله وفيه ((**فَجَلَدَ الزَّامِينَ**)) أخرجه البخاري.

وعَنْ السيدة عَائِشَةَ رضي اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَ عُذْرِي قَامَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَذَكَرَ ذَاكَ وَتَلَا -تَعْنِي الْقُرْآنَ- فَلَمَّا نَزَلَ بِالرَّجُلَيْنِ وَالْمَرْأَةِ فَضُرِبُوا حَدَّهُمْ. أخرجه الإمام أحمد وأبو داود.

وقد سمى أبو داود في روايته الذين جلدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال في سننه بعذ ذكر هذه الرواية: حَدَّثَنَا النُّفَيْلِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَقَ بِهَذَا الْحَدِيثِ لَمْ يَذْكُرْ عَائِشَةَ قَالَ: فَأَمَرَ بِرَجُلَيْنِ وَامْرَأَةٍ مِمَّنْ تَكَلَّمَ بِالْفَاحِشَةِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ وَمِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ، قَالَ النُّفَيْلِيُّ: وَيَقُولُونَ الْمَرْأَةُ حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ.

موقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

لم يقع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في عرض السيدة عائشة مطلقا، وقد جاء في البخاري: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ أَمْلَى عَلَيَّ هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ مِنْ حِفْظِهِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ قَالَ لِي الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَبَلَغَكَ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ فِيمَنْ قَذَفَ عَائِشَةَ قُلْتُ لَا وَلَكِنْ قَدْ أَخْبَرَنِي رَجُلَانِ مِنْ قَوْمِكَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّ

عَائِشَةَ رضي اللهُ عَنْهَا قَالَتْ لَهُمَا:كَانَ عَلِيٌّ مُسَلِّمًا فِي شَأْنِهَا، فَرَاجَعُوهُ -أي راجعوا الزهري، وقيل أن المراجعة وقعت مع هشام بن يوسف- فَلَمْ يَرْجِعْ، وَقَالَ مُسَلِّمًا بِلَا شَكٍّ فِيهِ. وقوله فلم يرجع أي لم يجب بغير ذلك.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح عن قوله (وكان علي مسلما في شأنها):(ثم اختلفوا، فلبعضهم بسكون السين وكسر اللام أي لم يقل فيها شيئا فسَلِم، ولبعضهم بالتشديد، أي: وقف لم يثبت ولم ينكر) اهـ.

وقال الحافظ كذلك:(وكأن بعض من لا خير فيه من الناصبة تقرب إلى بني أمية بهذه الكذبة، فحرفوا قول عائشة إلى غير وجهه لعلمهم بانحرافهم عن علي، فظنوا صحتها حتى بين الزهري للوليد أن الحق خلاف ذلك فجزاه الله تعالى خيراً) اهـ.

وقد جاء عن الزهري أن هشام بن عبد الملك كان يعتقد ذلك أيضا، فأخرج يعقوب بن شيبة في مسنده عن الحسن بن علي الحلواني عن الشافعي قال: حدثنا عمي، قال: دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك، فقال له: يا سليمان الذي تولى كبره من هو، قال عبد الله بن أبي، قال كذبت هو علي، قال: أمير المؤمنين أعلم بما يقول، فدخل الزهري، فقال: يا بن شهاب من الذي تولى كبره، قال: ابن أبي، قال: كذبت هو علي، فقال: أنا أكذب لا أبالك، والله لو نادى مناد من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت

حدثني عروة وسعيد وعبيد الله وعلقمة عن عائشة أن الذي تولى كبره عبد الله بن أبي، هكذا في الفتح.

أما قول سيدنا علي- كما ورد في الأحاديث الصحيحة حينما شاوره رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر السيدة عائشة عليها رضوان الله- : (والنساء سواها كثر).. فقد قال الحافظ ابن حجر مبيننا سبب ذلك القول وإظهار عذر سيدنا علي كرم الله وجهه:(وهذا الكلام الذي قاله علي حمله عليه ترجيح جانبا النبي صلى الله عليه و سلم لما رأى عنده من القلق بسبب القول الذي قيل، وكان صلى الله عليه و سلم شديد الغيرة، فرأى عليٌ أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها، فيمكن رجعتها، ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما، وقال الثوري: رأى ذلك هو المصلحة في حق النبي صلى الله عليه و سلم، واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة؛ لإرادة راحة خاطره صلى الله عليه سلم، وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: لم يجزم علي بالإشارة بفراقها؛ لأنه عقب ذلك بقوله وسل الجارية تصدقك، ففوض الأمر في ذلك إلى نظر النبي صلى الله عليه و سلم، فكأنه قال: إن أردت تعجيل الراحة ففارقها، وأن أردت خلاف ذلك فابحث عن حقيقة الأمر إلى أن تطلع على براءتها؛ لأنه كان يتحقق أن بريرة لا تخبره إلا بما علمته، وهي لم

تعلم من عائشة إلا البراءة المحضة) اهـ، فكان في قوله (وسل الجارية تصدقك) أكبر دليل على الذي ذكرنا من أن سيدنا علي كرم الله وجهه أراد من رسول الله صلى الله عليه وسلم البحث عن الحقيقة، ولم يرد طلاقها؛ إنما قال ذلك لتعجيل الراحة لرسول الله؛ لأنه لا يطيق أن يرى حبيبه صلى الله عليه وسلم على هذه الحالة، فعقب بسؤال الجارية؛ لأن الكلام الأول يريد به راحته، ثم يقول سل الجارية لعلم سيدنا علي أن الجارية لن تكذب، وأنها لا تعلم عن عائشة رضي الله عنها إلا كل خير.

والعلة في اختصاص سيدنا علي وسيدنا أسامة رضي الله عنهما بالمشاورة أن عليا كان عنده كالولد؛ لأنه رباه من حال صغره، ثم لم يفارقه؛ بل وازداد اتصاله بتزويج فاطمة، فلذلك كان مخصوصا بالمشاورة فيما يتعلق بأهله؛ لمزيد اطلاعه على أحواله أكثر من غيره، وأما أسامة فهو كعلي في طول الملازمة ومزيد الاختصاص والمحبة، ولذلك كانوا يطلقون عليه أنه حب رسول الله صلى الله عليه و سلم، وخصه دون أبيه وأمه لكونه كان شابا كعلي وإن كان علي أسن منه؛ وذلك أن للشاب من صفاء الذهن ما ليس لغيره؛ ولأنه أكثر جرأة على الجواب بما يظهر له من المسن؛ لأن المسن غالبا يحسب العاقبة، فربما أخفى ما يظهر له رعاية للقائل تارة والمسؤول عنه تارة أخرى.

وينبغي كمال الأدب مع أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعدم إثارة العداوة لهم ولا الشكوك حولهم؛ فإن في ذلك إيلام لقلبه صلى الله عليه وسلم وإساءة أدب معه؛ وهو الذي حذرنا من ذلك؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**)) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

أما ما جرى بين أم المؤمنين السيدة عائشة وسيدنا علي بن أبي طالب.. فهو أثر فتنة حاكها أعداء الدين، كان كل من الصحابة مجتهد، وللمجتهد المصيب أجران، وللمخطئ منهم أجر، فقد كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تطالب بقتلة عثمان رضي الله عنه وأن يُقتص منهم، بينما كان يرى سيدنا علي كرم الله وجهه أن توطيد أمر الحكم أهم وأولى حتى لا يتفلّت الأمر على المسلمين، وكان ينتظر من أولياء عثمان أن يتحاكموا إليه، فإذا ثبت على أحد بعينه أنه ممن قتل عثمان.. إقتص منه، ولم يكن هذا من سيدنا علي كرم الله وجهه رضاء بقتل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه كما يقول بعض الجهلة، والدليل على ذلك ما ورد عن أبي حفص قال: سمع علي يوم الجمل صوتا تلقاء أم المؤمنين، فقال: انظروا ما يقولون، فرجعوا، فقالوا: يهتفون بقتلة عثمان، فقال: اللهم أحلل بقتلة عثمان خزيا. أخرجه ابن أبي شيبة.

وورد أن سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عندما علم أن أم المؤمنين تلعن قتلة عثمان.. قال:(لعن الله قتلة عثمان في السهل والجبل والبر والبحر) أخرجه ابن أبي شيبة.

ولكنها فتنة قد أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعَنْ أَبِي رَافِعٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ:((**إِنَّهُ سَيَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَائِشَةَ أَمْرٌ، قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَنَا؟! قَالَ نَعَمْ، قَالَ: فَأَنَا أَشْقَاهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ لَا، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَارْدُدْهَا إِلَى مَأْمَنِهَا**)) أخرجه الإمام أحمد والطبراني والبزار.

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمَّ المؤمنين السيدة عائشة بما سيكون، فعن قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: لَمَّا أَقْبَلَتْ عَائِشَةُ بَلَغَتْ مِيَاهَ بَنِي عَامِرٍ لَيْلًا نَبَحَتْ الْكِلَابُ. قَالَتْ: أَيُّ مَاءٍ هَذَا؟ قَالُوا مَاءُ الْحَوْأَبِ، قَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي إِلَّا أَنِّي رَاجِعَةٌ، فَقَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهَا: بَلْ تَقْدَمِينَ فَيَرَاكِ الْمُسْلِمُونَ فَيُصْلِحُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَنَا ذَاتَ يَوْمٍ: ((**كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوْأَبِ**)) أخرجه الإمام أحمد.

وعنه أيضا أي: عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: لَمَّا أَتَتْ عَلَى الْحَوْأَبِ سَمِعَتْ نُبَاحَ الْكِلَابِ، فَقَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي إِلَّا

رَاجِعَةٌ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَنَا:((**أَيَّتُكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوْأَبِ**)) فَقَالَ لَهَا الزُّبَيْرُ: تَرْجِعِينَ؟! عَسَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُصْلِحَ بِكِ بَيْنَ النَّاسِ. أخرجه الإمام أحمد.

وعن بن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:((**أيتكن صاحبة الجمل الأَدْبَبِ يقتل حولها قتلى كثيرة تنجو بعد ما كادت**)) أخرجه ابن أبي شيبة.

وفي رواية: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لنسائه:((**أيتكن صاحبة الجمل الأدبب تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثيرة وتنجو من بعد ما كادت**)) أخرجه البزار.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: ذكر النبي صلى الله عليه و سلم خروج بعض أمهات المؤمنين، فضحكت عائشة رضي الله عنها، فقال :((**انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت، ثم التفت إلى علي فقال: إن وليت من أمرها شيئا فارفق بها**)) أخرجه الحاكم في المستدرك.

وقد تذكّرت السيدة عائشة رضي الله عنها كل ذلك عند نباح الكلاب عليها عند ماء الحوأب؛ غير أنهم غرروا عليها حيث أحضروا خمسين رجلاً شهدوا أن هذا ليس بماء الحوأب، وأن المخبر لها كذاب.

قال الشعبي: وهي أول شهادة زورت في الإسلام.

وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم للسيد عائشة بأنها من اهل الجنة مع خروجها هذا، فعن الحسن البصري قال: سمعت جنديا يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**كيف أنتم بأقوام يدخل قادتهم الجنة ويدخل أتباعهم النار، قالوا: يا رسول الله وان عملوا بمثل أعمالهم، فقال: وان علموا بمثل أعمالهم، قالوا: وأنى يكون ذلك يا رسول الله، قال: يدخل قادتهم الجنة بما سبق لهم، ويدخل الأتباع النار بما أحدثوا**)) أخرجه الطبراني.

وعن حذيفة بن اليمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**يكون لأصحابي بعدي زلة يغفرها الله لهم بصحبتهم، وسيتأسى بهم قوم بعدهم يكبهم الله على مناخرهم في النار**)) أخرجه الطبراني.

وعن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((**ليدخلن أمير فتنة الجنة، وليدخلن من معه النار**)) أخرجه البزار.

وعن أبى بكرة قال قيل ما منعك أن لا تكون؟ قلت يوم الجمل؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((**يخرج قوم هلكى لا يفلحون قائدهم امرأة قائدهم في الجنة**)) أخرجه البزار والبهقي.

ولم يرض أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب أن يسب أحدٌ من أتباعه أحداً من الفريق الآخر، ولم يحكم بكفرهم قط، بل لم يرض بالحكم

عليهم بالنفاق، فعن أبى البختري قال: سئل علي عن أهل الجمل: قيل أمشركون هم؟ قال: من الشرك فروا، قيل أمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا، قيل فما هم؟ قال: إخواننا بغوا علينا. أخرجه البيهقي وابن أبي شيبة.

فأنظر إلى قوله (إخواننا) مما يدل على رقي الخلاف الذي كان بينهم عليهم رضوان الله تعالى.

وقد نهى سيدنا علي كرم الله وجهه عن التدفيف على الجريح وقتل المدبر منهم في تلك المعركة عليه رضوان الله، لأنه لم يكن مقصوده قتهلم بل ردعهم، ولهذا قال مروان بن الحكم لسيدنا علي بن الحسين بن علي حينما دخل عليه في المدينة: ما رأيت أحدا أحسن غلبة من أبيك علي بن أبي طالب، ألا أحدثك عن غلبته إيانا يوم الجمل ؟ قلت: - أي علي بن الحسين - الأمير أعلم، قال: لما التقينا يوم الجمل توافقنا، ثم حمل بعضنا على بعض، فلم ينشب أهل البصرة أن انهزموا، فصرخ صارخ لعلي: لا يُقتل مدبر، ولا يذفف على جريح، ومن أغلق عليه باب داره فهو آمن، ومن طرح السلاح آمن، قال مروان: وقد كنت دخلت دار فلان، ثم أرسلت إلى حسن و حسين ابني علي، و عبد الله بن عباس، و عبد الله بن جعفر فكلموه

قال: هو آمن فليتوجه حيث شاء، فقلت لا والله ما تطيب نفسي حتى أبايعه فبايعته، ثم قال: اذهب حيث شئت. أخرجه البيهقي.

و عن أبي البختري قال: لما انهزم أهل الجمل.. قال علي: لا يطلبن عبد خارجا من العسكر، وما كان من دابة أو سلاح فهو لكم، وليس لكم أم ولد، والمواريث على فرائض الله، وأي امرأة قتل زوجها فلتعتد أربعة أشهر وعشرا، قالوا: يا أمير المؤمنين تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا نساؤهم؟ قال فخاصموه، فقال: كذلك السيرة في أهل القبلة، قال: فهاتوا سهامكم واقرعوا على عائشة فهي رأس الأمر وقائدهم؟! قال: ففرقوا، وقالوا: نستغفر الله، قال: فخصمهم علي. أخرجه ابن أبي شيبة.

وقال عمار لعلي يوم الجمل: ما ترى في سبي الذرية؟ قال: فقال: إنما قَاتَلْنَا مَنْ قَاتَلَنَا، قال: لو قلت غير هذا خالفناك. أخرجه ابن أبي شيبة.

وقد ذكر في السيرة الحلبية أن سيدنا علي كرم الله وجهه قد صلى على القتلى من الفريقين.

إكرام سيدنا علي لها رضي اللّه عنهم أجمعين:

أما إكرامه لأم المؤمنين عائشة عليها رضوان الله فحدث عنه ولا حرج، فعندما انتهت المعركة وأدخلت السيدة عائشة إلى البصرة.. أقبل سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على بغلته متوجهاً لعائشة رضي الله عنها، فلما دخل عليها سلم عليها وقعد عندها، ثم جهزها بكل شيء ينبغي لها، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وأمرهن بلبس العمائم وتقليد السيوف، ثم قال لهن: لا تعلمنها بأنكن نسوة وتلثمن مثل الرجال، وكن حولها من بعيد ولا تقربنها، وقال لأخيها محمد: تجهز معها. وفي رواية جهز معها أخاها عبد الرحمن في جماعة من شيوخ الصحابة، فلما كان يوم خروجها جاء إليها علي كرم الله وجهه ووقف الناس وخرجت فودعها وودعتهم، وقالت: يا بني والله ما كان بيني وبين علي في القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه على معتبتي عليه عندي لمن الأخيار، فقال علي: أيها الناس صدقت والله وبرت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، وذهب معها نحو سبعة أميال: ثم ذهبت إلى مكة حتى حجت، ثم رجعت إلى المدينة وعلمت عند

وصولها إلى مكة أن هؤلاء الرجال حولها نساء، فإنهن كشفن عن وجوههن وعرفنها الحال، فشكرت وقالت: والله لا يزداد ابن أبي طالب إلا كرماً.

والحكمة من إرسال النساء معها ملثمات وكأنهن رجال هي أنه لو رسال نساء ظاهرات لتعرض لها أهل الفتنة في الطريق وقتلوها واتهموا سيدنا علي بقتلها، وكذلك لو علمت أن اللاتي حولها هن نساء لما أمنت، فلذلك جعلها تظن أنهم رجال فتطمئن نفسها، وأمرهن بالابتعاد عنها حتى لا تشك فيهن لو اقتربن منها كثيرا، وهذا يرد على من اتهم سيدنا علي كرم الله وجهه أنه لم يحترم أم المؤمنين عائشة وأرسلها مع رجال، فمن كان معها هن نساء لويسوا برجال، ثم أنه قد أرسل معها محرمها وهو اخوها عبدالرحمن فو كان من معها رجال لم يكن في الأمر شي لوجود أخيها معها.

وبهذا يتبين لنا أنهم كانوا مجتهدين، ولم يكونوا ناقمين على بعضهم البعض، فرضي الله عنهم أجمعين، وجمعنا بهم في أعلى فراديس الجنان مع سيدنا وسيدهم محمد سيد الإنس والجان. آمين اللهم آمين.

ونعلم من كل ذلك أن أم المؤمنين السيدة عائشة عليها رضوان الله قد قاست كثيراً، وخاضت السياسة والحروب عليها رضوان الله.

علمها وفقهها رضوان الله عليها:

أما علمها فقد وعت من بيت النبوة الشيء الكثير، وتعلمت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جعلها مرجعا لكبار الصحابة في كثيرٍ من أمور الدين، فقد كانت متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فوعت عنه ما يؤهلها لذلك، وقد كانت بمثابة الواسطة بين النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أن النساء كنَّ يسألنها لتسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصارت بذلك مرجعا في الفقه والحديث، فعن هشام عن أبيه قال:(ما رأيت أحدا أعلم بفريضة ولا أعلم بفقه ولا بشعر من عائشة) أخرجه ابن أبي شيبة.

وعن عن هشام بن عروة أيضاً عن أبيه قال :(ما رأيت أحدا أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بفقه، ولا بطب، ولا بشعر، ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة رضي الله تعالى عنها -) أخرجه الطبراني والحاكم.

وقال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيا في العامة.

وقال الزهريُّ: لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل. أخرجه الطبراني.

وفيها يقول حسان يمدحها ويعتذر إليها كما جاء في البخاري والطبراني:

حَصَانٌ رَزَانٌ [1] مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثَى [2] مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

خليلة خير الناس دينا ومنصبا نبي الهدى والمكرمات الفواضل

عَقيله [3] أصل من لؤى بن غالب كرام المساعي مجدها غير زائل

مهذبة قد طيب الله خيمها فطهرها من كل سوء وباطل

فإن كان ما جاء عني قلته فلا رفعت سوطي إلى أناملي

وإن الذي قد قيل ليس بلائط بك الدهر بل قول امرئ غير ماحل

وكيف وودي ما حييت ونصرتي لآل رسول الله زين المحافل

له رتب عال على الناس فضلها تقاصر عنها سورة المتطاول

وكان مسروق إذا حدث عن عائشة يقول: حدثتني الصادقة ابنة الصديق البرية المبرأة بكذا وكذا. ذكره الشعبي عن مسروق.

---

(١) أي: عفيفة رزينة.

(٢) الغرث الجوع وهو إستعارة عن كفها عن الغيبة.

(٣) أي: كريمة.

وقال مسروق: رأيت مشيخة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأكابر يسألونها عن الفرائض. أخرجه الطبراني.

وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا. أخرجه الترمذي.

وروي أيضا عن القاسم بن محمد، قال: كانت عائشة رضي الله تعالى عنها – قد اشتغلت بالفتوى زمن أبي بكر وعمر وعثمان وهلم جرا إلى أن ماتت.

وعن عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن أبيه قال: ما رأيت أحداً أروى لشعر من عروة، فقيل له ما أرواك يا أبا عبد الله قال: وما روايتي من رواية عائشة ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً.

وقد كان عروة يقول للسيدة عائشة: يَا أُمَّتَاهُ لَا أَعْجَبُ مِنْ فَهْمِكِ أَقُولُ زَوْجَةُ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَلَا أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكِ بِالشِّعْرِ وَأَيَّامِ النَّاسِ، أَقُولُ ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ، وَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ أَوْ وَمِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ، وَلَكِنْ أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكِ بِالطِّبِّ كَيْفَ هُو؟ وَمِنْ أَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فَضَرَبَتْ عَلَى مَنْكِبِهِ، وَقَالَتْ:((أَيْ عُرَيَّةُ – وهو لقب تدليل لعروة – إِنَّ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْقَمُ عِنْدَ آخِرِ عُمْرِهِ أَوْ فِي آخِرِ

عُمْرِهِ فَكَانَتْ تَقْدَمُ عَلَيْهِ وُفُودُ الْعَرَبِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ فَتَنْعَتُ لَهُ الْأَنْعَاتَ – أي: تصف له الدواء – وَكُنْتُ أُعَالِجُهَا لَهُ فَمِنْ ثَمَّ)) أخرجه الإمام أحمد، أي من ثمَّ علمت الطب.

وروى لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف حديث ومائتا حديث وعشرة أحاديث، اتفق البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، ومسلم بثمانية وسبعين، وروى عنها خلق كثير من الصحابة، والتابعين – رضوان الله تعالى عليهم أجمعين –.

فضلها وما ورد فيها رضي الله عنها:

لو لم يرد في سيدتناعائشة رضي الله عنها إلا قوله صلى الله عليه وسلم:((**إِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**))

أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى، وأخرجه أحمد عن أنس كما أخرجه عن أبي موسى أيضا..

لكفاها فخرا ومنزلة ومقاما، ولوجب على الأمة أن تعرف فضلها ومكانته العالية، فإنه قوله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾ {النجم: ٤}، فكيف وقد ورد فيها الكثير.

فعنها رضي الله عنها، أنها قالت :(يا رسول الله، من أزواجك في الجنة ؟)) قال: « **أما إنك منهن** »، قالت: (فخُيِّلَ إليَّ أن ذاك أنه لم يتزوج بكرا غيري) أخرجه الحاكم والطبراني وابن حبان.

وعن عائشة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فاطمة، قالت: فتكلمت أنا، فقال: «**أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة ؟** »، قلت: بلى والله، قال: «**فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة** » أخرجه ابن حبان والحاكم.

وقد قال صلى الله عليه وسلم:((**عائشة زوجتى فى الجنة**)) أخرجه ابن أبي شيبة.

وعنها رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم :((**إنه ليهون علي الموت أني أريتك زوجتي في الجنة**)) أخرجه الطبراني.

ورواه ابن عساكر بلفظ:((**ما أبالي بالموت، وقد علمت أنك زوجتي في الجنة**)).

وعَنْها رضي الله عنها عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((**إِنَّهُ لَيُهَوِّنُ عَلَيَّ أَنِّي رَأَيْتُ بَيَاضَ كَفِّ عَائِشَةَ فِي الْجَنَّةِ**)) أخرجه الإمام أحمد.

وفي رواية عن مصعب بن إسحاق بن طلحة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:((**قد أريت عائشة في الجنة ليهون علي بذلك موتي كأني أرى كفها**)) أخرجه ابن أبي شيبة.

وعَنْ عَمْرِو بْنِ غَالِبٍ أَنَّ رَجُلًا نَالَ مِنْ عَائِشَةَ عِنْدَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ فَقَالَ: (**أَغْرِبْ مَقْبُوحًا مَنْبُوحًا أَتُؤْذِي حَبِيبَةَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**) أخرجه الترمذي والحاكم.

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصها بالدعوات المباركات، فعنها رضي الله عنها قالت: لما رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم طيب نفس، قلت: يا رسول الله، ادع الله لي، فقال: «**اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر، ما أسرت وما أعلنت** »، فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك، قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **أيسرك دعائي ؟** »، فقالت: وما لي لا يسرني دعاؤك، فقال صلى الله عليه وسلم: « **والله إنها لدعائي لأمتي في كل صلاة** » أخرجه ابن حبان والبزار.

وقد علمها وأرشدها إلى الدعوات الطيبة التي انتفعت بها الأمة بعدها، فعنها رضي الله عنها قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنِّي عَلِمْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا كُنْتُ أَدْعُو بِهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَوْ مَا كُنْتُ أَسْأَلُهُ، قَالَ: ((**قُولِي اللهمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**)) أخرجه الإمام أحمد والترمذي والنسائي.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلاطفها ويتنزل لها لصغر سنها، وربما صدرت منها بعض الكلمات.. فما كان يغضب منها رسول الله

صلى الله عليه وسلم بل كان يمازحها ويلاطفها، فمن ذلك ما أخرجه ابن عساكر عنها رضي الله تعالى عنها - أنه كان بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام، فقال لها:((**من ترضين بيني وبينك ؟ أترضين بعمر بن الخطاب ؟**)) قالت: لا، عمر فظ غليظ، قال صلى الله عليه وسلم - :((**أترضين بأبيك بيني وبينك**)) ؟ قالت: نعم، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:((**إن هذه من أمرها كذا ومن أمرها كذا**)) قالت: فقلت: اتق الله، ولا تقل إلا حقا ! قالت: فرفع أبو بكر يده فرشم أنفي، وقال: أنت لا أم لك يابنة أم رومان تقولين الحق أنت وأبوك ولا يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتذر منخري كأنهما عزلاوان – وَالْعَزْلَاء بِالْمُدِّ هُوَ الْمُشَعَّب الْأَسْفَل لِلْمَزَادَةِ الَّذِي يُفْرَغ مِنْهُ الْمَاء - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم -:((**إنَّا لم ندعك لهذا**)) ! قالت: ثم قام إلى جريدة في البيت فجعل يضربني بها، فوليت هاربة منه فلزقت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم -:((**أقسمت عليك لما خرجت، فإنا لم ندعك لهذا**))، فلما خرج قمت فتنحيت رسول الله صلى الله عليه وسلم - ، فقال:((**ادني**)) فأبيت أن أفعل، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها:((**لقد كنت من قبل شديدة اللصوق لي بظهري**)).

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعَ عَائِشَةَ وَهِيَ رَافِعَةٌ صَوْتَهَا عَلَى رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ:((يَا ابْنَةَ أُمِّ رُومَانَ وَتَنَاوَلَهَا أَتَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَى رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)) قَالَ: فَحَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ جَعَلَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهَايَتَرَضَّاهَا:((**أَلَا تَرَيْنَ أَنِّي قَدْ حُلْتُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَكِ**)) قَالَ: ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ يُضَاحِكُهَا، قَالَ فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ:((يَا رَسُولَ الله أَشْرِكَانِي فِي سِلْمِكُمَا كَمَا أَشْرَكْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا)) أخرجه الإمام أحمد.

وعنهارَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى**)) قَالَتْ:((فَقُلْتُ مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ))؟ فَقَالَ:((**أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً.. فَإِنَّكِ تَقُولِينَ لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى.. قُلْتِ لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ**)) قَالَتْ((:قُلْتُ أَجَلْ واللهِ يَا رَسُولَ الله مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ)) أخرجه البخاري ومسلم.

وعنها أيضاً رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا فَسَمِعْنَا لَغَطًا وَصَوْتَ صِبْيَانٍ، فَقَامَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ فَإِذَا حَبَشِيَّةٌ تَزْفِنُ وَالصِّبْيَانُ حَوْلَهَا، فَقَالَ:((**يَا عَائِشَةُ تَعَالَيْ فَانْظُرِي**)) فَجِئْتُ فَوَضَعْتُ لَحْيَيَّ عَلَى مَنْكِبِ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا مَا بَيْنَ الْمَنْكِبِ إِلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ لِي:((**أَمَا شَبِعْتِ أَمَا شَبِعْتِ**)) قَالَتْ:((فَجَعَلْتُ أَقُولُ لَا لِأَنْظُرَ مَنْزِلَتِي عِنْدَهُ إِذْ طَلَعَ عُمَرُ)) قَالَتْ:((فَارْفَضَّ النَّاسُ عَنْهَا، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ قَدْ فَرُّوا مِنْ عُمَرَ**))، قَالَتْ:((فَرَجَعْتُ)) أخرجه الترمذي.

وعنها أيضاً رضي الله عنها قَالَتْ:((خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ)) فَقَالَ لِلنَّاسِ تَقَدَّمُوا، فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ لِي:((**تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ**)) فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدُنْتُ وَنَسِيتُ خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ تَقَدَّمُوا، فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ:((**تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ**)) فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ وَهُوَ يَقُولُ:((**هَذِهِ بِتِلْكَ**)) أخرجه الإمام أحمد والنسائي.

وعَنْها رضي الله عنها:أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ يَبْتَغُونَ بِذَلِكَ مَرْضَاةَ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أخرجه مسلم وأحمد.

وعَنْ عروة قَالَ:كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي- أي: زوجاته صلى الله عليه وسلم إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ: يا أُمَّ سَلَمَةَ وَالله إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، وَإِنَّا نُرِيدُ الْخَيْرَ كَمَا تُرِيدُهُ عَائِشَةُ، فَمُرِي رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ أَوْ حَيْثُ مَا دَارَ، قَالَتْ: فَذَكَرَتْ ذَلِكَ أُمُّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ.. ذَكَرْتُ لَهُ ذَاكَ، فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ:((**يَا أُمَّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَالله مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا**)) أخرجه البخاري.

وعنها رضي الله عنها قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَعْرَفَةِ فَرَسٍ وَهُوَ يُكَلِّمُ رَجُلًا، قُلْتُ:((رَأَيْتُكَ وَاضِعًا يَدَيْكَ عَلَى مَعْرَفَةِ فَرَسِ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ وَأَنْتَ تُكَلِّمُهُ)) قَالَ:((**وَرَأَيْتِيه**))؟ قَالَتْ:((نَعَمْ)) قَالَ:((**ذَاكِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام وَهُوَ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ**)) قَالَتْ:((وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ جَزَاهُ الله خَيْرًا مِنْ صَاحِبٍ وَدَخِيلٍ، فَنِعْمَ الصَّاحِبُ وَنِعْمَ الدَّخِيلُ)) أخرجه الإمام احمد.

قَالَ سُفْيَانُ: الدَّخِيلُ الضَّيْفُ.

ولقد اشتهرت أم المؤمنين السيدة عائشة عليها رضوان الله بالكرم والزهد وكثرة الصدقة عليها رضوان الله تعالى، فعن أُمِّ ذَرَّةَ قالت: بعث بن الزبير إلى عائشة بمال في غرارتين يكون مائة ألف فدعت بطبق، وهي يومئذ صائمة، فجعلت تقسم في الناس. قال: فلما أمست قالت:((يا جارية هاتي فطري))، فقالت أم ذَرَّةَ: يا أم المؤمنين أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحما تفطرين عليه؟ فقالت:((لا تعنفيني، لو كنت ذكرتني لفعلت)) أخرجه بن سعد في الطبقات.

وعنها رضي اللهُ عَنْهَا: أَنَّهَا أَرَادَتْ أَنْ تَشْتَرِيَ بَرِيرَةَ لِلْعِتْقِ، وَأَرَادَ مَوَالِيهَا أَنْ يَشْتَرِطُوا وَلَاءَهَا، فَذَكَرَتْ عَائِشَةُ لِلنَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**اشْتَرِيهَا فَإِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ**)) قَالَتْ: وَأُتِيَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَحْمٍ فَقُلْتُ هَذَا مَا تُصُدِّقَ بِهِ عَلَى بَرِيرَةَ فَقَالَ:((**هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ**)) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

وتمضي الأيام والسنون ويذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة المكرمة لتأدية حجة الوداع، وما أن عاد إلى المدينة حتى أدركه المرض وأشتد به، فأستأذن نسائه أن يمرض في بيت عائشة عليها رضوان الله تعالى، وكان قد مرض في بيت أم المؤمنين ميمونة عليها رضوان، فعَنْ أم المؤمنين

عَائِشَةَ قَالَتْ:((لَمَّا مَرِضَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ فَاسْتَأْذَنَ نِسَاءَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي فَأَذِنَّ لَهُ)) أخرجه الإمام أحمد.

وعنها رضي الله عنها قَالَتْ:((لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ فِي أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي فَأَذِنَّ لَهُ))أخرجه الإمام أحمد.

بل كان صلى الله عليه وسلم حريصاً على أن يكون عند عائشة، فقد ورد عنها رضي الله عنها أنها قالت:((أَنَّ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْأَلُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟ يُرِيدُ يَوْمَ عَائِشَةَ فَأَذِنَ لَهُ أَزْوَاجُهُ يَكُونُ حَيْثُ شَاءَ فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ حَتَّى مَاتَ عِنْدَهَا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَاتَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ يَدُورُ عَلَيَّ فِيهِ فِي بَيْتِي، فَقَبَضَهُ الله وَإِنَّ رَأْسَهُ لَبَيْنَ نَحْرِي وَسَحْرِي وَخَالَطَ رِيقُهُ رِيقِي)) أخرجه البخاري.

وفي رواية عنها رضي الله عنها قَالَتْ:((إِنْ كَانَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَتَعَذَّرُ فِي مَرَضِهِ أَيْنَ أَنَا الْيَوْمَ أَيْنَ أَنَا غَدًا اسْتِبْطَاءً لِيَوْمِ عَائِشَةَ فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي قَبَضَهُ اللهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي وَدُفِنَ فِي بَيْتِي)) أخرجه البخاري.

فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتها وعلى حجرها وفي نوبتها وكان آخر عهدها به صلى الله عليه وسلم أن مس ريقها ريقه، فعنها رضي الله عنها قالت:((مَاتَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي وَيَوْمِي

وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي فَدَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمَعَهُ سِوَاكٌ رَطْبٌ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُ فِيهِ حَاجَةً قَالَتْ فَأَخَذْتُهُ فَمَضَغْتُهُ وَنَفَضْتُهُ وَطَيَّبْتُهُ ثُمَّ دَفَعْتُهُ إِلَيْهِ فَاسْتَنَّ كَأَحْسَنِ مَا رَأَيْتُهُ مُسْتَنًّا قَطُّ ثُمَّ ذَهَبَ يَرْفَعُهُ إِلَيَّ فَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذْتُ أَدْعُو اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِدُعَاءٍ كَانَ يَدْعُو لَهُ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام وَكَانَ هُوَ يَدْعُو بِهِ إِذَا مَرِضَ فَلَمْ يَدْعُ بِهِ فِي مَرَضِهِ ذَلِكَ فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى الرَّفِيقُ الْأَعْلَى يَعْنِي وَفَاضَتْ نَفْسُهُ، فَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا)) أخرجه الإمام أحمد، زاد البخاري:((وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ الْآخِرَةِ)).

وفي رواية البخاري:((فَاسْتَنَّ بِهِ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى صَدْرِي))، صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها.

ودفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت السيدة عائشة عليها رضوان الله تعالى، كما تقدم في رواية الإمام البخاري.

فما أعظمها من منزلة نالتها هذه الشريفة الطاهرة العفيفة، ومهما تحدثنا عنها فلن نوفي لها حقها ولا عشر معشاره، فرضي الله عنها وأرضاها وجمعنا بها في أعلى فراديس الجنان إنه كريم منان.

وفاتها رضي الله عنها وأرضاها:

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ران السكون والتأمل على السيدة عائشة عليها رضوان الله تعالى، فقد أصبحت وحيدة دون زوج أو ولد، وقد كانت تتلمس وتتحسس من أبناء إخوتها، وتفوض عليهم من حنان الأمومة والعطف الشيء الكثير الكبير، فقد أنزلت ابن أختها أسماء عبدالله بن الزبير منزلة الابن، وتكنت به كما أسلفنا، وحين مات أخوها محمد بن أبي بكر.. ضمت إليها ابنه (القاسم)، وابنته الطفلة، ولهذا ذكرها القاسم وقال:(ما رأيت والدة قطُّ أبرَّ منها).

وعاشت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنوات، فتوفي عنها وهي في الثامنة عشر من عمرها، كما تقدم عَنْ عُرْوَةَ قال:(تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَةَ وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ وَبَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ وَمَكَثَتْ عِنْدَهُ تِسْعًا) أخرجه البخاري.

وبقيت عليها رضوان الله كالبحر الزاخر يزج بالعطاء والنفع للأمة مما تلقته من بيت النبوة ومن المعين العذب الصافي حتى انتقلت إلى جوار ربها ونبيها صلى الله عليه وسلم، فأسلمت روحها الطاهرة لباريها، وكان ذلك ليلة الثلاثاء لسبع عشرة مضين من رمضان سنة سبع وخمسين من

الهجرة. ذكره المدائني عن سفيان بن عيينة عن هشام بن عروة عن أبيه، وقيل وثمانية وخمسين كما رواه ابن أبي خيثمة عن عيينة وجزم به المدائني، وقد بلغت السادسة والستين من عمرها.

وروي أيضا عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أنها قالت يوم ماتت عائشة: اليوم مات أحب شخص كان في الدنيا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قالت: استغفر الله ما خلا أباها. أخرجه الطبراني.

وأمرت أن تدفن ليلاً فدفنت بعد الوتر بالبقيع وصلى عليها الصحابي الجليل أبو هريرة، وقيل: سعيد بن زيد، فشُيعت جنازتها في الليل إلى البقيع تحت أنوار المشاعل المصنوعة من جريدٍ مغموس في الزيت، وكان الناس وراء الجنازة باكين، فلم تُرَ ليلة في المدينة أكثر ناساً من تلك الليلة، وقيل أنه نزل في قبرها خمسة: عبد الله وعروة ابنا الزبير والقاسم بن محمد وعبد الله ابن محمد بن أبي بكر وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر.

فرحمها الله رحمة الأبرار ورضي عنها وجمعنا بها في أعلى فراديس الجنان مع النبي العدنان آمين اللهم آمين.



الرابعة من نسائه صلى اللّه عليه وسلم



أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنها

إسمها رضي الله عنها:

هي أم المؤمنين العفيفة الطاهرة حفصة بنت عمر بن نُفَيْلِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى بْنِ رِيَاحِ ، -وقيل: بن رباح- بْنِ عَبْدِ الله بْنِ قُرْطِ بْنِ رَزَاحِ ، وقيل: بن رباح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر.

إسم أمها رضي الله عنها:

وأمها: زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، أخت عثمان وعبيد الله وقُدامة والسائب بني مظعون الجمحي.

مولدها رضي الله عنها:

ولدت أم المؤمنين السيدة حفصة عليها رضوان الله قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنين، أي سنة خمس قبل البعثة وعمره صلى الله عليه وسلم خمسة وثلاثون عاماً (٣٥)، في الوقت الذي كانت فيه قريش تبني الكعبة، كما ذكر ذلك ابن سعد في الطبقات، وذكره في سبل الهدى والرشاد.

زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم:

كانت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها قبل زواجه من النبي صلى الله عليه وسلم زوجا لخُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ القرشي، وكان قد هاجر إلى الحبشة وحضر مع النبي صلى الله عليه وسلم بدراً، وأصيب فيها بجروح فلما عاد إلى المدينة.. مات متأثرا بجراحه تلك، وقيل: أن ذلك كان في غزوة أحد، والصحيح الأول، فحزن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنها لموت زوج ابنته المهاجر المجاهد، وحزن كذلك لترمل ابنته الشابة الصغيرة في هذا العمر، وأصابه الغم الشديد، فقد كانت في العشرين من عمرها، وكان في كل يوم يلمح شباب ابنته يذوي وصباها يخبو، وكان الحزن يزداد به كلما دخل البيت ولمح الحزن والأسى على وجه ابنته، وعرف أن الأيام تمضي عليها ثقيلة بطيئة بلا زوج ولا ولد.

فقرر عليه رضوان الله تعالى بعد تفكير عميق أن يخلصها من وحدتها وحزنها، ويعيد لها متعة الحياة، ويزرع البهجة والسرور في قلبها، فقرر أن يخطب لها، فوقع اختياره على سيدنا عثمان بن عفان عليه رضوان الله وخصوصا أنه حزين لفراق زوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم، فعرض عليه ابنته حفصه، فقال له عثمان عليه رضوان الله أمهلني وقتاً، ثم

لقيه بعد أيام فقال له: لقد بدى لي أن لا أتزوج يومي هذا، ففوجيء بهذا الرفض، وأخذ يفكر مرة أخرى فوقع اختياره على سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فعرضها عليه، فلم يجبه أبوبكر رضي الله عنهاوظل صامتاً، ففوجئ بن الخطاب عليه رضوان الله بهذا الصمت، وشعر أن كبريائه قد أهينت، فقد فهم من صمت الصديق الرفض، وهو الذي جاء بنفسه ليعرضها عليه، وما مرت إلا أيام قلائل حتى خطبها النبي صلى الله عليه وسلم، فعن عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ رضي اللهُ عَنْهُمَا يُحَدِّثُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ

ذَكَرَهَا فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا. أخرجه البخاري.

وفي رواية ابن عساكر..أَنَّ عُمَرَ رضي اللهُ عَنْهُ انْطَلَقَ إِلَى رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَكَا إِلَيْهِ عُثْمَانَ وَأَخْبَرَهُ بِعَرْضِهِ حَفْصَةَ عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :((**يَتَزَوَّجُ حَفْصَةَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْ عُثْمَانَ، وَيَتَزَوَّجُ عُثْمَانُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْ حَفْصَةَ**))، فزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته السيدة أم كلثوم عليها رضوان الله لعثمان رضي الله عنها، وتزوج هو صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين السيدة حفصة عليها رضوان الله تعالى.

وكان زواجه منها في شعبان على رأس ثلاثين شهرا من مهاجره بعد غزوة بدر .

دخلت السيدة حفصة بيت النبوة، وبدأت حياة جديدة مع زوج لم تشهد الأرض أفضل ولا أحسن ولا أكرم ولا أرحم منه صلى الله عليه وسلم، فصارت أماً للمؤمنين، وكان قد تزوج قبلها بأم المؤمنين السيدة سودة بنت زمعه، وأم المؤمنين السيدة عائشة عليهن رضوان الله تعالى، وكانت السيدة حفصة تشعر أنها كفء لعائشة، فلم تكن كبيرة بسن أم المؤمنين سودة بنت زمعة؛ بل كانت لا تزال شابة صغيرة، ولما تزوج النبي

صلى الله عليه وسلم ببقية نسائه.. كانت السيدة حفصة في صف السيدة عائشة وفي حزبها كما أسلفنا.

وبسبب الغيرة التي كانت موجودة بينهن حصلت قصة المغافير وقصة مارية كما تقدم.

وقد كان حمل السيدة مارية عليها رضوان الله من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثار غيرة زوجاته عليهن رضوان الله .

وقد قيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد طلقها حينما أفشت سره بخصوص مارية لعائشة كما سبق الكلام عنه عن ذكر أم المؤمنين عائشة عليها رضوان الله، فَعَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَّقَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ثُمَّ رَاجَعَهَا. أخرجه الإمام أحمد.

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَّقَ حَفْصَةَ ثُمَّ رَاجَعَهَا. أخرجه أبي داود والنسائي وابن ماجه.

وقد جاء أمر مراجعتها من الله تعالى في علاه، فعن قيس بن زيد: أن النبي صلى الله عليه و سلم طلق حفصة بنت عمر فدخل عليها خالاها قدامة و عثمان ابنا مظعون فبكت، و قالت :((و الله ما طلقني عن شبع))، و جاء النبي صلى الله عليه و سلم فقال:((**قال لي جبريل عليه السلام راجع حفصة فإنها صوامة قوامة و إنها زوجتك في الجنة**)) أخرجه الحاكم والطبراني.

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال :((لما طلق رسول الله صلى الله عليه و سلم حفصة أتاه جبريل فقال: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وأنها زوجتك في الجنة)) أخرجه البزار.

وقد أثَّر طلاقها على أبيها سيدنا عمر بن الخطاب عليه رضوان الله فقال والألم يعتصر فؤاده حينما سمع خبر طلاقها وقد حثا على رأسه التراب:((مَا يَعْبَأُ الله بِعُمَرَ وَابْنَتِهِ بَعْدَ هَذَا))، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ مِنْ الْغَدِ عَلَى رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ:((إنَّ الله يَأْمُرُك أَنْ تُرَاجِعَ حَفْصَةَ رَحْمَةً لِعُمَرَ)) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير.

ونفى بعض أهل العلم طلاقها، غير أن الصحيح الثابت أنه صلى الله عليه وسلم هجر نسائه شهرا، فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ:لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُ عَنْ الْمَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّتَيْنِ قَالَ الله لَهُمَا﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا ﴾ {التحريم: ٤}،فَحَجَجْتُ مَعَه، فَعَدَلَ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالْإِدَاوَةِ، فَتَبَرَّزَ حَتَّى جَاءَ فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ الْإِدَاوَةِ فَتَوَضَّأَ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ الْمَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّتَانِ قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا ﴾ {التحريم: ٤}، فَقَالَ: وَا عَجَبِي لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ،

عَائِشَةُ وَحَفْصَة، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرُ الْحَدِيثَ يَسُوقُهُ فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ وَجَارٌ لِي مِنْ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ، وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ مِنْ خَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ الْأَمْرِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَهُ، وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الْأَنْصَارِ.. إِذَا هُمْ قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ، فَصِحْتُ عَلَى امْرَأَتِي فَرَاجَعَتْنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي، فَقَالَتْ: وَلِمَ تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ فَوَاللهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيُرَاجِعْنَهُ، وَإِنَّ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ، فَأَفْزَعَنِي فَقُلْتُ: خَابَتْ مَنْ فَعَلَ مِنْهُنَّ بِعَظِيمٍ، ثُمَّ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ: أَيْ: حَفْصَةُ أَتُغَاضِبُ إِحْدَاكُنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: خَابَتْ وَخَسِرَتْ، أَفَتَأْمَنُ أَنْ يَغْضَبَ اللهُ لِغَضَبِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَهْلِكِينَ، لَا تَسْتَكْثِرِي عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا تُرَاجِعِيهِ فِي شَيْءٍ وَلَا تَهْجُرِيهِ وَاسْأَلِينِي مَا بَدَا لَكِ، وَلَا يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِيَ أَوْضَأَ مِنْكِ وَأَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ عَائِشَةَ، وَكُنَّا تَحَدَّثْنَا أَنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ النِّعَالَ لِغَزْوِنَا فَنَزَلَ صَاحِبِي يَوْمَ نَوْبَتِهِ فَرَجَعَ عِشَاءً فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا وَقَالَ: أَنَائِمٌ هُوَ؟ فَفَزِعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ وَقَالَ:

حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ أَجَاءَتْ غَسَّانُ؟ قَالَ: لَا بَلْ أَعْظَمُ مِنْهُ وَأَطْوَلُ، طَلَّقَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ، قَالَ: قَدْ خَابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ هَذَا يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ، فَجَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي فَصَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ مَشْرُبَةً(١) لَهُ فَاعْتَزَلَ فِيهَا، فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَإِذَا هِيَ تَبْكِي قُلْتُ مَا يُبْكِيكِ أَوَلَمْ أَكُنْ حَذَّرْتُكِ، أَطَلَّقَكُنَّ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَتْ: لَا أَدْرِي، هُوَ ذَا فِي الْمَشْرُبَةِ، فَخَرَجْتُ فَجِئْتُ الْمِنْبَرَ فَإِذَا حَوْلَهُ رَهْطٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ، فَجَلَسْتُ مَعَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ الْمَشْرُبَةَ الَّتِي هُوَ فِيهَا فَقُلْتُ لِغُلَامٍ لَهُ أَسْوَدَ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَدَخَلَ فَكَلَّمَ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ، فَانْصَرَفْتُ حَتَّى جَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمِنْبَرِ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ فَجِئْتُ فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَجَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمِنْبَرِ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ الْغُلَامَ فَقُلْتُ اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ فَلَمَّا وَلَّيْتُ مُنْصَرِفًا.. فَإِذَا الْغُلَامُ يَدْعُونِي قَالَ: أَذِنَ لَكَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ، مُتَّكِئٌ عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ: طَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟ فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيَّ فَقَالَ: لَا،

---

(١) والمَشْرُبَةُ: هي الغرفة المرتفعة، وكانت دَرَجَتُهَا مِنْ جُذُوعٍ كما في البخاري وأحمد وغيرهم.

ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ أَسْتَأْنِسُ: يَا رَسُولَ الله لَوْ رَأَيْتَنِي وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى قَوْمٍ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَذَكَرَهُ فَتبَسَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قُلْتُ: لَوْ رَأَيْتَنِي وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ لَا يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِيَ أَوْضَأَ مِنْكِ وَأَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُرِيدُ عَائِشَةَ -، فتبَسَّمَ أُخْرَى، فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ، ثُمَّ رَفَعْتُ بَصَرِي فِي بَيْتِهِ فَوَالله مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ غَيْرَ أَهَبَةٍ ثَلَاثَةٍ، فَقُلْتُ: ادْعُ الله فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ، فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ وَأُعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ الله، وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ أَوَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟! أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله اسْتَغْفِرْ لِي، فَاعْتَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْحَدِيثِ حِينَ أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ إِلَى عَائِشَةَ، وَكَانَ قَدْ قَالَ مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا مِنْ شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ حِينَ عَاتَبَهُ الله، فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَبَدَأَ بِهَا، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لَا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا وَإِنَّا أَصْبَحْنَا لِتِسْعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً أَعُدُّهَا عَدًّا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ، وَكَانَ ذَلِكَ الشَّهْرُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأُنْزِلَتْ آيَةُ التَّخْيِيرِ، فَبَدَأَ بِي أَوَّلَ امْرَأَةٍ، فَقَالَ: إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا، وَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ، قَالَتْ: قَدْ أَعْلَمُ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي

بِفِرَاقِكَ ثُمَّ قَالَ إِنَّ الله قَالَ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ {الأحزاب: ٢٨ – ٢٩}، قُلْتُ: أَفِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ فَإِنِّي أُرِيدُ الله وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، ثُمَّ خَيَّرَ نِسَاءَهُ فَقُلْنَ مِثْلَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ)) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

و عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ لَمْ يُؤْذَنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، قَالَ: فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ فَدَخَلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ – وفي رواية: أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسُ بِبَابِهِ جُلُوسٌ فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ فَاسْتَأْذَنَ فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ ثُمَّ أُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَدَخَلَا – فَوَجَدَ النَّبِيَّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ وَاجِمًا سَاكِتًا – والواجم هُوَ الَّذِي اِشْتَدَّ حُزْنه حَتَّى أَمْسَكَ عَنْ الْكَلَام –، قَالَ: فَقَالَ لَأَقُولَنَّ شَيْئًا أُضْحِكُ النَّبِيَّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ – أي أبوبكر، وفي رواية الإمام أحمد أن القائل هو عمر –:((يَا رَسُولَ الله لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ – وهي زوجته حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبى زهير من بنى الحارث بن الخزرج – سَأَلَتْنِي النَّفَقَةَ فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَوَجَأْتُ – أي: طعنت –

عُنُقَهَا))- وفي رواية: بِنْتَ زَيْدٍ امْرَأَةَ عُمَرَ، فَضَحِكَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وفي رواية: حَتَّى بَدَا نَوَاجِذُهُ -وَقَالَ:((**هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ**))، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، كِلَاهُمَا يَقُولُ:((تَسْأَلْنَ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ)) فَقُلْنَ وَالله لَا نَسْأَلُ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ، ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ** ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ **لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمًا** ﴾ قَالَ: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ فَقَالَ:((**يَا عَائِشَةُ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكِ أَمْرًا أُحِبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ**)) قَالَتْ وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ الله فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ. قَالَتْ: أَفِيكَ يَا رَسُولَ الله أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ بَلْ أَخْتَارُ الله وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتُ، قَالَ:((**لَا تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا إِنَّ الله لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلَا مُتَعَنِّتًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا**)) أخرجه مسلم وأحمد.

حفظها للصحف رضي اللّه عنها:

وحينما جُمعت الصحف التي فيها آيات القرآن في عهد سيدنا أبي بكر الصدق كانت بعد وفاته عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ثم أوصى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنها أن تبقى عند أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها وأرضاها، جاء في صحيح الإمام البخاري من حديث زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيَّ رضي اللهُ عَنْهُ قال:((وَكَانَتْ الصُّحُفُ الَّتِي جُمِعَ فِيهَا الْقُرْآنُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ الله ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَتَّى تَوَفَّاهُ الله ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ)).

وقد تحملت هذه السيدة الفاضلة أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها هذه الأمانة العظيمة الخطيرة، وحافظت عليها أيّما محافظة، فهي الأمينة التي لا تخون، وقد حفظت دستور الأمة، وكان لها شرف الائتمان على هذا الدستور، وبقيت الصحف عندها حتى جمعت في مصحف كامل، والفرق بين المصحف وبين الصحف أن الصحف هي: الأوراق المحررة التي جمع فيها القرآن في عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه، وكانت سورا مفرقة كل سورة مرتبة بآياتها على حدة لكن لم يرتب بعضها إثر بعض، فلما نسخت ورتب بعضها إثر بعض صارت مصحفا، ولم يكن مصحفا إلا في

عهد عثمان، حين قام بجمعه، وقد طلب من أم المؤمنين حفصة أن تعطيه الصحف وعاهدها على أن يردها بعد أن ينسخها، فكان لها شرف حفظ هذه الأمانة، فعن ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُ أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ الله بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنْ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ.. رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنْ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ سَمِعَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ قَالَ: فَقَدْتُ آيَةً مِنْ الْأَحْزَابِ حِينَ نَسَخْنَا الْمُصْحَفَ قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِهَا، فَالْتَمَسْنَاهَا فَوَجَدْنَاهَا مَعَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ ﴿مِّنَ

ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾، فَأَلْحَقْنَاهَا فِي سُورَتِهَا فِي الْمُصْحَفِ. أخرجه البخاري.

وعن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله وخارجة: أن أبا بكر كان جمع القرآن فى قراطيس، وكان قد سأل زيد بن ثابت النظر فى ذلك، فأبى حتى استعان عليه بعمر ففعل، فكانت الكتب عند أبى بكر حتى توفى ثم عند عمر حتى توفى ثم كانت عند حفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فأرسل إليها عثمان فأبت أن تدفعها حتى عاهدها ليردنها إليها، فبعثت بها إليه فنسخها عثمان هذه المصاحف، ثم ردها إليها فلم تزل عندها. قال الزهرى: أخبرنى سالم بن عبد الله أن مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها الصحف التى كتب فيها القرآن فأبت حفصة أن تعطيه إياها، فلما توفيت حفصة ورجعنا من دفنها أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسل إليه بتلك الصحف، فأرسل بها إليه عبد الله بن عمر، فأمر بها مروان فشققت، وقال مروان: إنما فعلت هذا لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالصحف فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب فى شأن هذه الصحف مرتاب، أو يقول إنه قد كان فيها شيء لم يكتب. أخرجه ابن أبي داود.

ويتبين لنا من هذا حرصها على الأمانة وحفاظها عليها رضي الله عنها وأرضاها.

وفاتها رضي اللّه عنها:

بقيت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة وشهدت خلافة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، ثم خلافة أبيها عمر رضي الله عنها، ثم خلافة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ثم خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنها، أي أنها شهدت الخلافة الراشدة جميعها، واستمرت بها الحياة حافلة بالعبادة والطاعة لربها حتى أسلمت روحها الطاهرة إلى باريها لتلحق بزوجها صلى الله عليه وسلم.

وأُختلف في سنة وفاتها، فروى أبو بكر بن أبي خيثمة أنها ماتت لما بايع الحسن معاوية، وذلك في جمادي الاولى سنة إحدى وأربعين، ويؤيد هذا ما في الإستيعاب لابن عبد البر بأنها توفيت حين بايع الحسن بن علي عليهما السلام لمعاوية وذلك في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين، وفيه كذلك: قال أبو معشر: وقال غيره: توفيت حفصة سنة خمس وأربعين، وذكر الدولابي عن أحمد بن محمد بن أيوب أن حفصة توفيت سنة سبع وعشرين.

وقال محمد بن عمر: توفيت حفصة في شعبان سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية بن أبي سفيان وهي يومئذ ابنة ستين سنة، كما في الطبقات لابن سعد، ونحوه في سبل الهدى والرشاد.

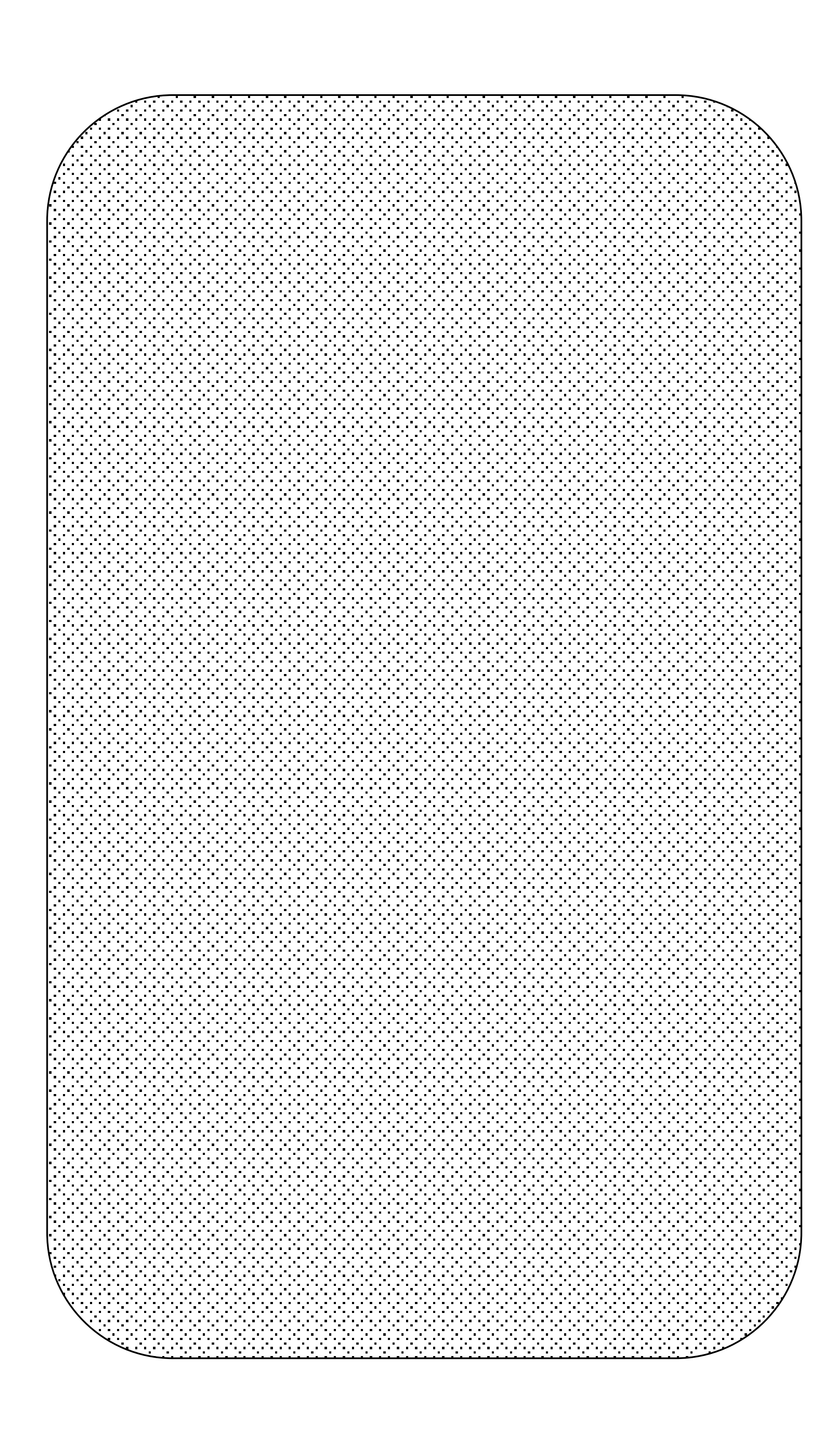
وصلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة وحمل سريرها بعض الطريق، ثم حمله أبو هريرة إلى قبرها، قال بن سعد في الطبقات:((أخبرنا محمد بن عمر، حدثني علي بن مسلم عن المقبري عن أبيه قال: رأيت مروان بين أبي هريرة وبين أبي سعيد إمام جنازة حفصة، قال ورأيت مروان حمل بين عمودي سريرها من عند دار بني حزم إلى دار المغيرة بن شعبة وحمله أبو هريرة من دار المغيرة إلى قبرها))اهـ.

ونزل في قبرها عبد الله وعاصم ابنا عمر، وسالم وعبد الله وحمزة بنو عبد الله بن عمر.

فجزاها الله عن الأمة خير الجزاء، ورحمها رحمة الأبرار، ورضي عنها، وجمعنا بها وبنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، آمين اللهم آمين.



ألخامسة من نسائه صلى اللّه عليه وسلم



أم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها وأرضاها

إسمها رضي الله عنها:

هي أم المؤمنين العفيفة الطاهرة هند – وقيل: رملة، والأول أصح– بنت أبي أمية واسمه حذيفة – وقيل: سهيل،[١] وقيل: العكس–[٢] ويلقب بـ(زاد الركب أو زاد الراكب) بن الْمُغِيرَة بْنِ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرِ بْنِ مَخْزُومِ بْنِ يَقَظَةَ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ بنِ غَالِب.

وسمي أبوها بزاد الركب لأنه كان أحد الأجواد فكان إذا سافر لم يحمل أحدٌ معه من رفقته زاداً بل هو كان يكفيهم.

وهي ابنة عم سيف الله المسلول خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله..

---

(١) كما في (الإصابة في معرفة الصحابة) للحافظ ابن حجر العسقلاني، و(تهذيب الأسماء واللغات) للإمام النووي.

(٢) كما في (صفة الصفوة) **لإمام أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي**، و(الطبقات) لابن سعد.

إسم أمها رضي الله عنها:

وأمها: عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن جذيمة- وقيل: خزيمة - بن علقمة جذل الطعان بن فراس بن غنم بن مالك بن كنانة.

ومن قال: عاتكة بنت عبد المطلب، فجعلها بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أخطأ، وإنما هي بنت زوجها، وأخواها عبد الله، وزهير ابنا عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم -.

معاناتها رضي الله عنها وصبرها:

من المعلوم أنه تزوجها قبل الرسول صلى الله عليه وسلم أبو سلمة، واسمه عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

وأبو سلمة هو أخو النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب، وهو أيضا ابن عمته صلى الله عليه وسلم، فأمه برة بنت عبدالمطلب بن هاشم، وقد استخلفه النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى غزوة العشيرة.

وقد أسلمت أم سلمة مع زوجها منذ الأيام الأولى للدعوة، فهما من السابقين الأولين في الإسلام، فقد أسلم زوجها أبو سلمة بعد عشرة فقط سبقوه إلى الإسلام.

وقد هاجر أبو سلمة وزجته أم سلمة إلى أرض الحبشة في الهجرتين جميعا، فولدت له هناك زينب بنت أبي سلمة، وولدت له بعد ذلك سلمة وعمر ودرة بني أبي سلمة، ثم عادا بعد انتهاء حصار المشركين للمسلمين في شعب أبي طالب، وكانا كذلك من أوائل المهاجرين إلى المدينة المنورة.

وقد عانت أم سلمة رضي الله عنها في إسلامها الشيء الكثير وصبرت على تلك الشدة بقلب مؤمن صادق، فمن ذلك ما حكته عن نفسها يوم هجرتها إلى المدينة حيث قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحَّل بعيراً له وحملني، وحمل معي ابنِي سلمة، ثم خرج يقود بعيره، فلما رآه رجال بني المغيرة.. قاموا إليه فقالوا: ((هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد؟)) ونزعوا خطام البعير من يده وأخذوني، فغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، وأهووا إلى سلمة وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذا نزعتموها من صاحبنا، فتجاذبوا ابني سلمة حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد ورهط أبي سلمة.

وحبسني بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجي أبو سلمة حتى لحق بالمدينة، فَفُرِّقَ بيني وبين زوجي وابني، فكنت أخرج كل غداةٍ وأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي سنةً أو قريبها، حتى مر بنا رجل من بني عمي فرأى ما في وجهي، فقال لبني المغيرة: ألا تُخْرِجُوْنَ هذه المسكينة؟

فرقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها! فقالوا: الحقي بزوجك إن شئت، وردوا علي بنو عبد الأسد عند ذلك ابني فرحلت بعيري ووضعت ابني في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة وما معي أحد من خلق الله، فكنت أبلغ من لقيت حتى إذا كنت بالتنعيم.. لقيت عثمان بن طلحة أخا بني عبد الدار فقال:((أين يا بنت أبي أمية؟)) قلت: ((أريد زوجي بالمدينة))، فقال: ((هل معك أحد))؟ فقلت: ((لا والله إلا الله وابني هذا))، فقال: ((والله مالك من مترك!)) فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يقودني، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب أراه كان أكرم منه، إذا نزل المنزل أناخ بنا، ثم تنحى إلى شجرةٍ فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري قدمه ورحله، ثم استأخر عني وقال: اركبي، فإذا ركبت واستويت على بعيري.. أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى نزلت، فلم يزل يصنع ذلك حتى قدم بنا المدينة. فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: إن زوجك في هذه القرية، وكان أبو سلمة نازلاً بها، رضي الله عنها وأرضاها.

فما أقساها من شدة تحملتها هذه الصابرة في سبيل هذا الدين العظيم ونصرة للحق وأهله.

نشأت أم سلمة في بيت مجد وسؤدد وغناء ورفاهية، فأبوها حذيفة بن المغيرة كان أحد أجواد قريش المشهورين بالكرم ؛ ولهذا لقب بزاد الراكب،

فقد كان لا يحتاج المسافر معه إلى أن يستصحب معه زاداً اكتفاء ببر حذيفة، كما تقدم،وحينما تزوجها أبو سلمة انتقلت إلى بيت زوجها وكان نظير أبيها في الغنى والمجد.

شهد أبو سلمة مع النبي صلى الله عليه وسلم بدراً وأحداً، ورُمي بها بسهم في عضده، فمكث شهرا يداويه، ثم برأ الجرح، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من مهاجره، وبعث معه مائة وخمسين رجلا إلى قطن - وهو جبل - فغاب تسعا وعشرين ليلة ثم رجع إلى المدينة فدخلها لثمان خلون من صفر سنة أربع، فانتقض جرحه، فمات منه لثمان خلون من جمادي الآخرة سنة أربع، فاعتدّت أم سلمة لموته، وحلت لعشر بقين من شوال سنة أربع.

زواجه صلى الله عليه وسلم منها:

نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عقيلة قومها وزوجة ابن عمته وأخيه من الرضاع أصبحت أرملة غريبة مهاجرة وحيدة في بلد ليس لها فيه كافل، ولها أيتام صغار يحتاجون إلى من يقوم بهم وبشأنهم، فترقب نهاية عدتها فخطبها صلى الله عليه وسلم.

فعن أُمُّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: لَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: ((غَرِيبٌ وَفِي أَرْضِ غُرْبَةٍ لَأَبْكِيَنَّهُ بُكَاءً يُتَحَدَّثُ عَنْهُ))، فَكُنْتُ قَدْ تَهَيَّأْتُ لِلْبُكَاءِ عَلَيْهِ إِذْ أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ مِنْ الصَّعِيدِ تُرِيدُ أَنْ تُسْعِدَنِي- أَيْ تُسَاعِدنِي فِي الْبُكَاء وَالنَّوْح - فَاسْتَقْبَلَهَا رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: ((**أَتُرِيدِينَ أَنْ تُدْخِلِي الشَّيْطَانَ بَيْتًا أَخْرَجَهُ الله مِنْهُ**)) مَرَّتَيْنِ، فَكَفَفْتُ عَنْ الْبُكَاءِ فَلَمْ أَبْكِ. أخرجه مسلم وأحمد.

وعَنْهَا رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**مَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَلْيَقُلْ إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللهمَّ عِنْدَكَ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي فَأْجُرْنِي فِيهَا وَأَبْدِلْنِي بِهَا خَيْرًا مِنْهَا**)) فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُهَا، فَجَعَلْتُ كُلَّمَا بَلَغْتُ وَأَبْدِلْنِي بِهَا خَيْرًا مِنْهَا قُلْتُ فِي نَفْسِي: ((وَمَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ))، ثُمَّ قُلْتُهَا فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا.. بَعَثَ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ يَخْطُبُهَا فَلَمْ تَزَوَّجْهُ. فَبَعَثَ إِلَيْهَا رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَخْطُبُهَا عَلَيْهِ، فَقَالَتْ أَخْبِرْ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي امْرَأَةٌ غَيْرَى وَأَنِّي امْرَأَةٌ مُصْبِيَةٌ – أي: ذات صبيان أرعاهم - وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِي شَاهِدًا، فَأَتَى رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ: ((**ارْجِعْ إِلَيْهَا فَقُلْ لَهَا: أَمَّا قَوْلُكِ إِنِّي امْرَأَةٌ غَيْرَى.. فَأَدْعُو الله عَزَّ وَجَلَّ فَيُذْهِبُ غَيْرَتَكِ، وَأَمَّا قَوْلُكِ إِنِّي امْرَأَةٌ مُصْبِيَةٌ.. فَسَتُكْفَيْنَ صِبْيَانَكِ، وَأَمَّا قَوْلُكِ إِنَّهُ**

لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِكِ شَاهِدًا.. فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِكِ شَاهِدٌ وَلَا غَائِبٌ يَكْرَهُ ذَلِكَ)) أخرجه الإمام احمد.

وفي الرواية الأخرى عنها رضي الله عنها قَالَتْ: أَتَانِي أَبُو سَلَمَةَ يَوْمًا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلًا فَسُرِرْتُ بِهِ قَالَ:((**لَا تُصِيبُ أَحَدًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ مُصِيبَةٌ فَيَسْتَرْجِعَ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ ثُمَّ يَقُولُ اللهمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا فُعِلَ ذَلِكَ بِهِ**)) قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ فَحَفِظْتُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ اسْتَرْجَعْتُ وَقُلْتُ:((اللهمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْنِي خَيْرًا مِنْهُ))، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي قُلْتُ مِنْ أَيْنَ لِي خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَدْبُغُ إِهَابًا لِي فَغَسَلْتُ يَدَيَّ مِنْ الْقَرَظِ وَأَذِنْتُ لَهُ، فَوَضَعْتُ لَهُ وِسَادَةَ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، فَقَعَدَ عَلَيْهَا فَخَطَبَنِي إِلَى نَفْسِي، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ مَقَالَتِهِ، قُلْتُ:((يَا رَسُولَ الله مَا بِي أَنْ لَا تَكُونَ بِكَ الرَّغْبَةُ فِيَّ وَلَكِنِّي امْرَأَةٌ فِيَّ غَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ فَأَخَافُ أَنْ تَرَى مِنِّي شَيْئًا يُعَذِّبُنِي الله بِهِ، وَأَنَا امْرَأَةٌ دَخَلْتُ فِي السِّنِّ وَأَنَا ذَاتُ عِيَالٍ))، فَقَالَ:((**أَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنْ الْغَيْرَةِ.. فَسَوْفَ يُذْهِبُهَا الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْكِ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنْ السِّنِّ.. فَقَدْ أَصَابَنِي مِثْلُ الَّذِي أَصَابَكِ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنْ الْعِيَالِ.. فَإِنَّمَا**

عِيَالُكِ عِيَالِي)) قَالَتْ فَقَدْ سَلَّمْتُ لِرَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَقَدْ أَبْدَلَنِي الله بِأَبِي سَلَمَةَ خَيْرًا مِنْهُ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أخرجه الإمام أحمد.

وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنها قد خطبها من قبل فردتها، فظن أنها ترفض رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك فغضب وعاتبها، فقد جاء في الرواية الأخرى أن أبا سلمة جاء إلى أم سلمة فقال: لقد سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي من كذا وكذا، ولا أدري ما عدل به، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إنه لا تصيب أحدا مصيبة فيسترجع عند ذلك ثم يقول: اللهم عندك أحتسب مصيبتي هذه، اللهم أخلفني منها بخير منها، إلا أعطاه الله عز وجل » قالت أم سلمة: فلما أصيب أبو سلمة، قلت: اللهم عندك أحتسب مصيبتي هذه، ولم تطب نفسي- أن أقول: اللهم أخلفني منها بخير منها، قلت: من خير من أبي سلمة ؟ أليس، وليس ؟، ثم قالت ذلك، فلما انقضت عدتها أرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبها، فقالت: مرحبا برسول الله، إن فيَّ خِلالا ثلاثا: أنا امرأة مصبية ، وأنا امرأة شديدة الغيرة، وأنا امرأة ليس ها هنا من أوليائي أحد شاهدا فيزوجني، فغضب عمر

لرسول الله صلى الله عليه وسلم أشد مما غضب لنفسه حين ردته، فأتاها عمر فقال: أنت التي تردين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ بما تردينه ؟ فقالت: يا ابن الخطاب، في كذا وكذا. أخرجه أبو يعلى.

فذكرت له أعذارها الثلاثة وهي:

١) أنها امرأة شديدة الغيرة.

٢) أنها امرأة ذات صبيان ترعاهم.

٣) أنها امرأة ليس أحداً من أوليائها في المدينة .

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على صدقها وحرصها على راحة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضوحها مع زوجها من بداية أمرها.

وروى ابن سعد في الطبقات عن زياد بن أبي مريم قال: قالت أم سلمة لأبي سلمة بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة وهي من أهل الجنة ثم لم تزوج بعده إلا جمع الله بينهما في الجنة، وكذلك إذا ماتت المرأة وبقي الرجل بعدها. فتعال أعاهدك ألا تزوج بعدي ولا أتزوج بعدك. قال: أتطيعيني؟ قلت: ما استأمرتك إلا وأنا أريد أن أطيعك. قال: فإذا مت فتزوجي. ثم قال: اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلا خيرا مني لا يحزنها ولا يؤذيها. قال فلما مات أبو سلمة قلت: من هذا الفتى الذي هو خير لي من أبي سلمة؟ فلبثت ما لبثت ثم جاء رسول الله، صلى الله عليه

وسلم، فقام على الباب فذكر الخطبة إلى بن أخيها أو إلى ابنها وإلى وليها، فقالت أم سلمة أرد على رسول الله أو أتقدم عليه بعيالي؟، قلت ثم جاء الغد فذكر الخطبة فقلت مثل ذلك، ثم قالت لوليها إن عاد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فزوج، فعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتزوجها.

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**إِذَا حَضَرْتُمْ الْمَرِيضَ أَوْ الْمَيِّتَ فَقُولُوا خَيْرًا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ**)) قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ قَالَ:((**قُولِي اللهمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَى حَسَنَةً**)) قَالَتْ: فَقُلْتُ فَأَعْقَبَنِي الله مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ مُحَمَّدًا صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أخرجه مسلم وأحمد.

فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك، وكان زواجه بها في ليالي بقين من شوال سنة أربع من الهجرة.

واختلف الرواة فيمن زوجها من النبي صلى الله عليه وسلم فروي الامام أحمد والنسائي والحاكم في المستدرك أنه عمر، وقيل زوجها ابنها سلمة أبو عمر، وعليه الأكثرون، كما في سبل الهدى والرشاد.

و قال لها صلى الله عليه وسلم: لا أنقصك مما أعطيت أختك فلانة جرتين و رحاتين ووسادة من أدم حشوها ليف، فكان رسول الله صلى الله

عليه و سلم يأتيها و هي ترضع زينب، فكانت إذا جاء النبي صلى الله عليه و سلم أخذتها فوضعتها في حجرها ترضعها قالت: فكان رسول الله صلى الله عليه و سلم حييا كريما فيرجع، ففطن لها عمار بن ياسر و كان أخا لها من الرضاعة، فأراد رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يأتيها ذات يوم فجاء عمار فدخل عليها فانتشط زينب من حجرها و قال: دعي هذه المقبوحة المشقوحة التي قد آذيت بها رسول الله صلى الله عليه و سلم، فجاء رسول الله صلى الله عليه و سلم فدخل يقلب بصره في البيت و يقول: أين زناب مالي لا أرى زناب ؟ فقالت: جاء عمار فذهب بها، فبنى رسول الله صلى الله عليه و سلم بأهله و قال: إن شئت أن أسبع لك سبعت للنساء. أخرجه الحاكم.

وعَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ تَزَوَّجَ أُمَّ سَلَمَةَ وَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ قَالَ لَهَا:((**لَيْسَ بِكِ عَلَى أَهْلِكِ هَوَانٌ إِنْ شِئْتِ سَبَّعْتُ عِنْدَكِ وَإِنْ شِئْتِ ثَلَّثْتُ ثُمَّ دُرْتُ**)) قَالَتْ:((ثَلِّثْ)) أخرجه مسلم.

قوله: على أهلك يريد به نفسه صلى الله عليه و سلم، و قوله: هوان قال النووي: معناه لا يلحقك هوان ولا يضيع من حقك شيء بل تأخذينه كاملا، أي: يقول ليس علي بك احتقار وإذلال بالنسبة إلى باقي الأزواج فلا أفعل فعلا يكون فيه هوانك؛ بل الأمر بيدك إن شئت سبعت عندك وإن

شئت ثلثت، وقوله: ودرت ظاهره أن الثلاث حق للجديدة الثيبة فإن معنى درت الدوران المعتاد، وهو القسم يوما يوما فكأنه قال لأم سلمة: وكانت ثيبة إن شئت سبعت عندك فأسبع عند بقية الأزواج للتسوية إذ لا حق لك في السبعة، وأن شئت ثلثت عندك فَتُوْفِيْ حقك ثم درت على بقية النساء يوما يوما بالسوية، ففي الرواية الأخرى أنه صلى الله عليه وسلم قال لها:((**إِنْ شِئْتِ سَبَّعْتُ لَكِ وَإِنْ سَبَّعْتُ لَكِ سَبَّعْتُ لِنِسَائِي**)) أخرجه مسلم وأحمد، وزاد أحمد:((**وَإِنْ شِئْتِ قَسَمْتُ لَكِ. قَالَتْ: لَا بَلْ اقْسِمْ لِي**)).

قال عمر رضي الله عنه: فكانت في النساء كأنها ليست منهن لا تجد من الغيرة شيئا.

وكان طعامه صلى الله عليه وسلم ليلة عرسه معها شيئاً من الشعير المطحون.

وقد رعى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيتامها حق الرعاية وأكرم مثوى أم سلمة أي إكرام، فعن أمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: بَيْنَمَا رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي يَوْمًا إِذْ قَالَتْ الْخَادِمُ إِنَّ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ بِالسُّدَّةِ قَالَتْ فَقَالَ لِي:((**قُومِي فَتَنَحَّيْ لِي عَنْ أَهْلِ بَيْتِي**)) قَالَتْ: فَقُمْتُ فَتَنَحَّيْتُ فِي الْبَيْتِ قَرِيبًا، فَدَخَلَ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَمَعَهُمَا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَهُمَا صَبِيَّانِ صَغِيرَانِ، فَأَخَذَ الصَّبِيَّيْنِ فَوَضَعَهُمَا فِي حِجْرِهِ فَقَبَّلَهُمَا، قَالَ وَاعْتَنَقَ عَلِيًّا

بِإِحْدَى يَدَيْهِ وَفَاطِمَةَ بِالْيَدِ الْأُخْرَى، فَقَبَّلَ فَاطِمَةَ وَقَبَّلَ عَلِيًّا، فَأَغْدَفَ عَلَيْهِمْ خَمِيصَةً سَوْدَاءَ فَقَالَ: ((**اللهمَّ إِلَيْكَ لَا إِلَى النَّارِ أَنَا وَأَهْلُ بَيْتِي**)) قَالَتْ: فَقُلْتُ وَأَنَا يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ: ((**وَأَنْتِ**))، أخرجه الإمام أحمد.

فكان لهذه المرأة العظيمة مقاما عظيما وفخراً مؤبداً وهبها إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان لها ثلاثة أولاد كما أسلفنا: سلمة أكبرهم، وعمر، وزينب أصغرهم، وكلهم ربوا في حجر النبي صلى الله عليه وسلم.

وزوج النبيُ صلى الله عليه وسلم سلمةَ من أمامة بنت حمزة بن عبد المطلب، وعاش في خلافة عبد الملك بن مروان، ولم تحفظ له رواية، وأما عمر رضي الله تعالى عنه فله رواية وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وله تسع سنين، وكان مولده بالحبشة، في السنة الثانية من الهجرة، واستعمله علي رضي الله تعالى عنها على فارس، والبحرين، وتوفي بالمدينة سنة ثلاث وثمانين في خلافة عبد الملك.

وأما زينب فولدت بأرض الحبشة وكان اسمها (برة) فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب، فعن مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ حَدَّثَتْنِي زَيْنَبُ بِنْتُ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: كَانَ اسْمِي بَرَّةَ فَسَمَّانِي رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

زَيْنَبَ قَالَتْ وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ وَاسْمُهَا بَرَّةُ فَسَمَّاهَا زَيْنَبَ.

أخرجه مسلم.

ودخلت زينب بنت أبي سلمة مرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل فنضح في وجهها الماء، فلم يزل ماء الشباب في وجهها رضي الله تعالى عنها حتى كبرت وعجَّزت.

روى الطبراني عنها رضي الله تعالى عنها قالت: كانت أمي إذا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل تقول أمي: اذهبي فادخلي، قالت: فدخلت: فنضح في وجهي بالماء، وقال: ارجعي، وقال العطاف: قالت أمي: فرأيت وجه زينب وهي عجوز كبيرة ما نقص من وجهها شئ.

وتزوجها عبد الله بن زمعة بن الاسود الاسدي وولدت له، وكانت من أفقه أهل زمانها.

وأم سلمة هي أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة،كما في المستدرك عند الحاكم، وقيل: بل ليلى بنت أبي حثمة زوجة عامر بن ربيعة.

وظعينة الرجل أمرأته، وأصل الظعينة الراحله اللتي يرحل ويظعن عليها، وقيل للمرأه ظعينه لأنها تظعن مع الزوج حيثما ظعن، أو لأنها تحمل على الراحله إذا ظعنت .

وكان في بداية أمرها في المدينة أن أهل المدينة لم يصدقوا أنها ابنة أبي أمية، فعن أبي بكرِ بن عبدِ الرَّحمنِ يُخْبِرُ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهَا لَمَّا قَدِمَتْ الْمَدِينَةَ أَخْبَرَتْهُمْ أَنَّهَا ابْنَةُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ فَكَذَّبُوهَا وَيَقُولُونَ مَا أَكْذَبَ الْغَرَائِبَ حَتَّى أَنْشَأَ نَاسٌ مِنْهُمْ إِلَى الْحَجِّ، فَقَالُوا مَا تَكْتُبِينَ إِلَى أَهْلِكِ فَكَتَبَتْ مَعَهُمْ، فَرَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ يُصَدِّقُونَهَا فَازْدَادَتْ عَلَيْهِمْ كَرَامَةً. أخرجه الإمام أحمد والطبراني والشافعي في مسنده.

وقد خصها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زواجها بمزيد هدية منه، فَعَنْ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ قَالَتْ: لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ سَلَمَةَ قَالَ لَهَا:((**إِنِّي قَدْ أَهْدَيْتُ إِلَى النَّجَاشِيِّ حُلَّةً وَأَوَاقِيَّ مِنْ مِسْكٍ وَلَا أَرَى النَّجَاشِيَّ إِلَّا قَدْ مَاتَ وَلَا أَرَى إِلَّا هَدِيَّتِي مَرْدُودَةً عَلَيَّ فَإِنْ رُدَّتْ عَلَيَّ فَهِيَ لَكِ**))، قَالَ: وَكَانَ كَمَا قَالَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرُدَّتْ عَلَيْهِ هَدِيَّتُهُ فَأَعْطَى كُلَّ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ أُوقِيَّةَ مِسْكٍ وَأَعْطَى أُمَّ سَلَمَةَ بَقِيَّةَ الْمِسْكِ وَالْحُلَّةَ. أخرجه الإمام أحمد.

ومع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن مقصراً مع أولادها في النفقة والتوسعة وغيرها إلا أن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها لم ترض أن تنفق على أولادها دون علم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قام بها من

الأمانة والصدق وحسن العشرة لزوجها صلى الله عليه وسلم، ورغبة في تحصيل الأجر من الله تعالى في النفقة عليهم، فعنها رضي الله عنها قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله هَلْ لِي مِنْ أَجْرٍ فِي بَنِي أَبِي سَلَمَةَ أَنْ أُنْفِقَ عَلَيْهِمْ وَلَسْتُ بِتَارِكَتِهِمْ هَكَذَا وَهَكَذَا إِنَّمَا هُمْ بَنِيَّ، قَالَ:((**نَعَمْ لَكِ أَجْرُ مَا أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ**)) أخرجه البخاري وأحمد.

وكانت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها موصوفة بالجمال البارع، والحسن الناصع، فقد أخرج بن سعدٍ من طريق عروة عن عائشة بسند فيه الواقدي قالت: لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم سلمة حزنتُ حزناً شديداً لما ذكر لنا من جمالها، فتلطفت حتى رأيتها، فرأيت والله أضعاف ما وُصِفَتْ لي في الحسن والجمال، فذكرت ذلك لحفصة فقالت: ما هي كما يقال، فتلطفت لها حفصة حتى رأتها، فقالت: قد رأيتها ولا والله ما هي كما تقولين ولا قريب وأنها لجميلة. قالت: فرأيتها بعد ذلك فكانت كما قالت حفصة ولكني كنت غيرى.

وعرفت رضي الله عنها بالعقل البالغ والرأي الصائب، وإشارتها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحديبية تدل على وفور عقلها وصواب رأيها كما سيأتي قريباً إن شاء الله تعالى.

فضلها رضي الله عنها:

عن هند بنت الحارث الفراسية رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن لعائشة مني شعبة ما نزلها أحد ،قال: فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه و سلم أم سلمة سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم فقيل: يا رسول الله صلى الله عليه و سلم ما فعلت الشعبة ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه و سلم فعلم أن أم سلمة قد نزلت عنده. أخرجه الحاكم في المستدرك.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدأها عند طوافه بزوجاته ويختم بعائشة عليهن رضوان الله، فقد روى عمر الملا عن عائشة رضي الله تعالى عنها – قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى العصر- دخل على نسائه واحدة واحدة، وكان صلى الله عليه وسلم يختم بي.

ولم لم يكن من فضل أم المؤمنين أم سلمة إلا ما كان يوم الحديبية لكفى إظهارا لفضلها وذكائها ورجاحة عقلها، ففي الحديث الطويل عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ، وفيه قَالَ مَعْمَرٌ قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا فَدَعَا النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَاتِبَ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ سُهَيْلٌ أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَالله مَا أَدْرِي مَا هُوَ وَلَكِنْ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللهمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ وَالله لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللهمَّ ثُمَّ قَالَ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله فَقَالَ سُهَيْلٌ وَالله لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ الله مَا صَدَدْنَاكَ عَنْ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله فَقَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالله إِنِّي لَرَسُولُ الله وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله قَالَ الزُّهْرِيُّ وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ الله إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ فَقَالَ سُهَيْلٌ وَالله لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنْ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَكَتَبَ فَقَالَ سُهَيْلٌ وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا قَالَ الْمُسْلِمُونَ سُبْحَانَ الله كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ سُهَيْلٌ هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ قَالَ فَوَالله إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا قَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجِزْهُ لِي قَالَ مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ قَالَ بَلَى فَافْعَلْ قَالَ مَا أَنَا بِفَاعِلٍ قَالَ

مِكْرَزٌ بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ أَيْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الله قَالَ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَأَتَيْتُ نَبِيَّ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ أَلَسْتَ نَبِيَّ الله حَقًّا قَالَ بَلَى قُلْتُ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ قَالَ بَلَى قُلْتُ فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا قَالَ إِنِّي رَسُولُ الله وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي قُلْتُ أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ قَالَ بَلَى فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ قَالَ قُلْتُ لَا قَالَ فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ قَالَ فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ الله حَقًّا قَالَ بَلَى قُلْتُ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ قَالَ بَلَى قُلْتُ فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا قَالَ أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ فَوَالله إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قُلْتُ أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ قَالَ بَلَى أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ قُلْتُ لَا قَالَ فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ قَالَ الزُّهْرِيُّ قَالَ عُمَرُ فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا قَالَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا قَالَ فَوَالله مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنْ النَّاسِ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ يَا نَبِيَّ الله أَتُحِبُّ ذَلِكَ اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ

فَيَحْلِقَكَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ﴾ {الممتحنة: ١٠} حَتَّى بَلَغَ ﴿ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾.أخرجه البخاري وأحمد.

ولم يكن امتناع الصحابة عن الحلق بقصد المخالفة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كانوا يتوقعون أنْ ينزل أمر من الله على نبيه صلى الله عليه وسلم بالجهاد وقتال أهل مكة، فكان هذا رجائهم وتمنيهم ففطنت أم سلمة لذلك، فقالت له إن فعلت أنت فعلوا مثلك، فعندما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلق عرفوا أن الأمر مقضي. ولا خبر بعد ذلك إذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تحلل مما يدل على أن الأمر مبرم، ولن ينزل ما يخالف ذلك، وإلا لأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك قبل تحلله، أما وقد تحلل فقد دل الأمر أنه مبرم.

ومما يدل على فطن وذكاء أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ما كان في مرض النبي صلى الله عليه وسلم من فهمٍ برز منها عندما تحدث النبي صلى الله عليه وسلم مع أزواجه فقال:((**إنه ليشق علي الاختلاف بينكن،**

فائذن لي أن أكون عند بعضكن)) فقالت أم سلمة: قد عرفنا من تريد، تريد عائشة، قد أذنا لك.

وكانت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها تعد من فقهاء الصحابيات.

ولقد نال الإمام الحسن البصري التابعي العظيم منها شرفا ونسبة برضاعه منها، فقد كان أبوه من أهل بيسان فسبي، فهو مولى الأنصار، ولد في خلافة عمر وحنكه عمر بيده، وكانت أمه تخدم أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، فربما غابت أمه فيبكي، فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به إلى أن تجيء أمه، فيدر عليه ثديها فيشربه.

فكانوا يقولون: فصاحته من بركة ذلك.

وكانت رضي الله عنها تحب الخير وتبادر إلى فعله، وكانت تحب فعل كل ما يفرح قلب النبي صلى الله عليه وسلم، فعَنْ سَفِينَةَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: أَعْتَقَتْنِي أُمُّ سَلَمَةَ وَاشْتَرَطَتْ عَلَيَّ أَنْ أَخْدُمَ النَّبِيَّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا عَاشَ. أخرجه الإمام أحمد.

وقد حفظت أم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها للأمة الكثير من الأحكام الشرعية بروايتها لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روت ثلاثمائة وثمانية وسبعين (٣٧٨) حديثا، اتفق البخاري، ومسلم لها

على ثلاثة عشر منها، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثلاثة عشر، عليها رضوان الله تعالى.

وفاتها رضي الله عنها:

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.. بقيت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها تعبد الله وتنظر إلى الأحداث التي تجري حولها ببصيرة ونظرة متفهمة، وكانت تبادر بالنصيحة وتدلي برأيها في الشؤون التي تتعلق بالناس وما يحافظ على استقامتهم وعدم انحرافهم.

بقيت على هذه الحالة حتى وافاها الأجل ولحقت بزوجها صلى الله عليه وسلم وهي في غاية الشوق إليه، وكان ذلك بعد عمر طويل حيث عاشت أربعا وثمانين سنة،كما في الطبقات لابن سعد، وقيل: نحوا من تسعين سنة، كما في سير أعلام النبلاء.

وكانت آخر من مات من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم كما في المستدرك عند الحاكم، **والصحيح** أن آخر من توفي منهن هي أم المؤمنين ميمونة ضي الله عنها كما سيأتي في ترجمتها وكما هو في المستدرك أيضاً، وسبب هذا الاختلاف هو اختلافهم في سنة وفاة أم المؤمنين أم سلمة رضي

الله عنها، فقد أختلف في سنة وفاتها كثيراً، فقال الواقدي: ماتت في شوال سنة تسع وخمسين، وهو بعيد لما سنذكره الآن.

وقال بن حبان: ماتت في آخر سنة إحدى وستين بعد ما جاءها نعي الحسين بن علي.

قال الحافظ بن حجر العسقلاني في الإصابة: (وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين.

عمرت حتى بلغها مقتل الحسين، الشهيد، فوجمت لذلك، وغشي- عليها، وحزنت عليه كثيرا.

لم تلبث بعده إلا يسيرا، وانتقلت إلى الله)) اهـ.

وقال بن أبي خيثمة: توفيت في خلافة يزيد بن معاوية.

وكانت خلافته في أواخر سنة ستين.

وقال أبو نعيم: ماتت سنة اثنتين وستين.

فقد جاء عَنْ عُبَيْدِ الله ابْنِ الْقِبْطِيَّةِ قَالَ دَخَلَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَبْدُ الله بْنُ صَفْوَانَ وَأَنَا مَعَهُمَا عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فَسَأَلَاهَا عَنْ الْجَيْشِ الَّذِي يُخْسَفُ بِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنْ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ**)) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله فَكَيْفَ بِمَنْ كَانَ

كَارِهًا، قَالَ:((يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُـمْ وَلَكِنَّـهُ يُبْعَـثُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ عَـلَى نِيَّتِـهِ)) أخرجه مسلم.

قال الحافظ بن حجر العسقلاني في الإصابة:(وكان ذلك حين جهز يزيدُ بن معاوية مسلمَ بن عقبة بعسكر الشام إلى المدينة فكانت وقعة الحرة سنة ثلاث وستين وهذا كله يدفع قول الواقدي) اهـ.

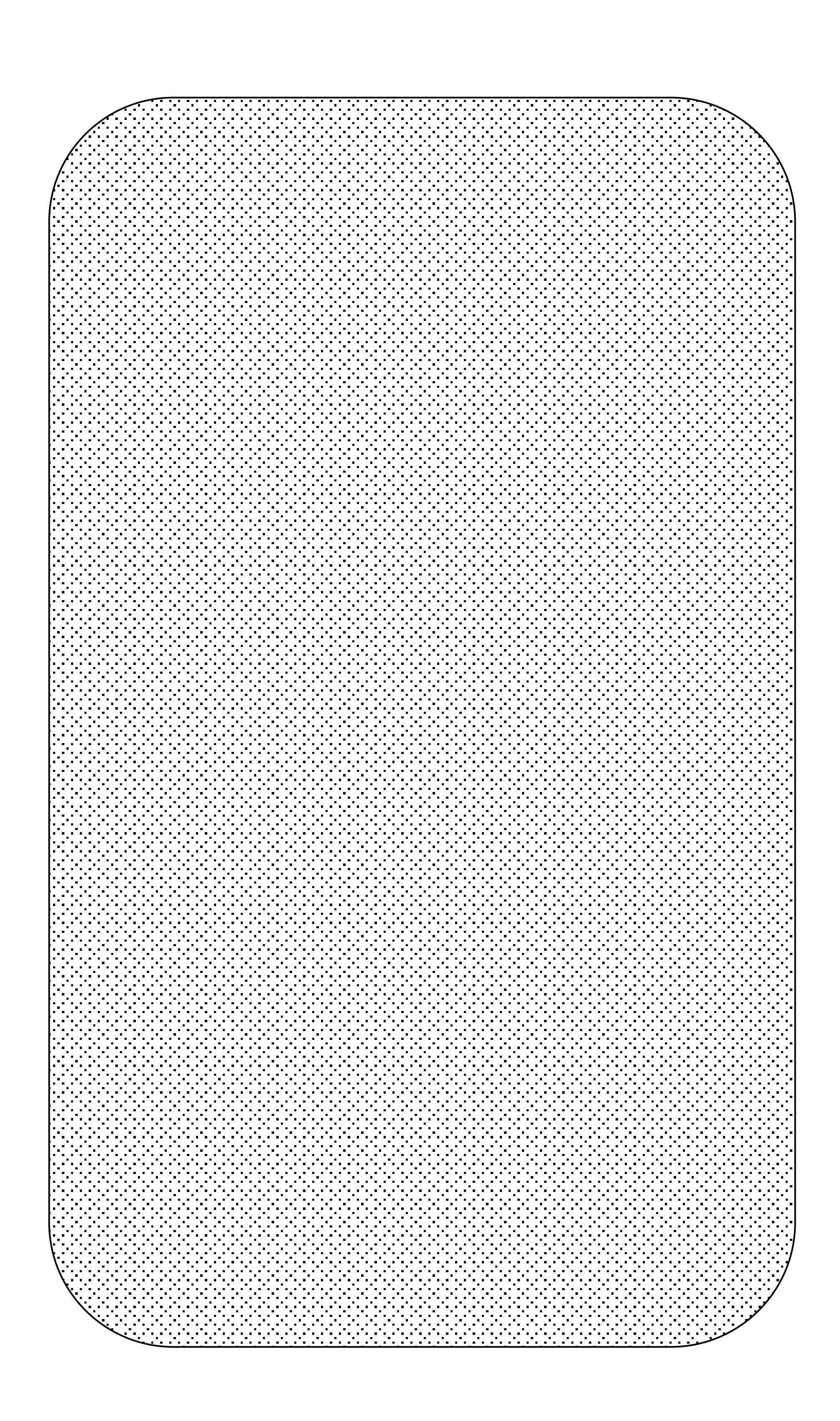
والصحيح أن الذي صلى عليها رضي الله عنها هو الصحابي الجليل أبو هريرة، وليس سعيد بن زيد كما قيل، لكنها أوصت أن يصلي عليها سيدنا سعيد بن زيد، فتوفي سنة خمسين أو سنة إحدى أو اثنتين وخمسين، فلو قلنا أنه هو من صلى عليها لاستلزم ذلك موتها قبل هذه السنة، وهذا ليس صحيحا باتفاق أهل العلم، فلم يقل أحدٌ منهم بأنها ماتت قبل ذلك، ولكن يمكن تأويل الأمر كما قال أهل العلم بأنها مرضت فأوصت بأن يصلي عليها سعيد بن زيد ثم عوفيت فمات سعيد قبلها. والله أعلم.

دفنت رضي الله عنها وأرضاها في البقيع، وخرج في قبرها عمر وسلمة ابنا أبي سلمة وعبد الله بن عبد الله بن أبي أمية وعبد الله بن وهب بن زمعة، فقد أخرج ابن سعد في الطبقات بسنده عن عمر بن أبي سلمة قال: نزلتُ في قبر أم سلمة أنا وأخي سلمة وعبد الله بن عبد الله بن أبي أمية وعبد الله بن وهب بن زمعة الأسدي.

فرحمها الله رحمة الأبرار وأعلى لها الدرجات وجمعنا بها في أعلى فراديس الجنان إنه كريم منان آمين اللهم آمين.



ألسادسة من نسائه صلى اللّه عليه وسلم



أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها وأرضاها

إسمها رضي الله عنها:

هي أم المؤمنين الطاهرى العفيفة السيدة زينب بنت جحش بن رئاب، ويقال: بن رياب، بن يعمر بن صُبَيْرَةَ بن مرة بن كثير، ويقال: بن كبير بن غنم بن دودان ابن أسد بن خزيمة.

وكان اسمها برة فغيره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن تزوجها إلى زينب.

إسم أمها رضي الله عنها:

وأمها: أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حالها قبل زواجها من النبي صلى الله عليه وسلم:

قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وكانت زينب بنت جحش ممن هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وكانت امرأة جميلة فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على زيد بن حارثة فقالت: يا

رسول الله لا أرضاه لنفسي. وأنا أيم قريش. قال: فإني قد رضيته لك، فتزوجها زيد بن حارثة. أخرجه الحاكم في المستدرك.

وكان زيد بن حارثه يسمى بزيد بن محمد؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو من ربّاه وتبنّاه قبل أن يبطل الإسلام التبني فلما أراد الله إبطال التبني أنزل قوله: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾ {الأحزاب: ٤ – ٥}، فمن حينها دُعي زيد بن حارثة.

وهنا نريد أن نعرف من هو زيد بن حارثة وما هي قصته عليه رضوان الله تعالى لنعرف كيف تبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم، هو زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ شَرَاحِيلَ – كما ذكره ابن هشام – وقيل: بْنِ شُرَحْبِيلَ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى بْنِ امْرِئِ الْقِيسِ بْنِ النّعْمَانِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ وُدّ بْنِ عَوْفِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُذْرَةَ بْنِ زَيْدِ اللّاتِ بْنِ رُفَيْدَةَ بْنِ ثَوْرِ بْنِ كَلْبِ بْنِ وَبْرَةَ، فزيد رضي الله عنها من أسرة عربية عريقة فوالده كان من أشراف قومه بني كلب، وَأُمّ زَيْدٍ سُعْدَى بِنْتُ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَبْدِ عَامِرٍ مِنْ بَنِي مَعْنٍ مِنْ

طَيِّءٍ، وَكَانَتْ قَدْ خَرَجَتْ بِزَيْدٍ لِتُزِيرَهُ أَهْلَهَا، فَأَصَابَتْهُ خَيْلٌ مِنْ بَنِي الْقَيْنِ بْنِ جِسْرٍ، أي: أخذه بعض المغيرين من بني القين بن جسر.، فَبَاعُوهُ بِسُوقِ حُبَاشَةَ وَهُوَ مِنْ أَسْوَاقِ الْعَرَبِ، وَزَيْدٌ يَوْمَئِذٍ ابْنُ ثَمَانِيَةِ أَعْوَامٍ.

وَكَانَ أَبُوهُ حَارِثَةُ قَدْ جَزِعَ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا، وَبَكَى عَلَيْهِ حِينَ فَقَدَهُ فَقَالَ:

بَكَيْتُ عَلَى زَيْدٍ وَلَمْ أَدْرِ مَا فَعَلْ ... أَحَيٌّ، فَيُرْجَى أَمْ أَتَى دُونَهُ الْأَجَلْ
فَوَاللهِ مَا أَدْرِي، وَإِنِّي لَسَائِلٌ ... أَغَالَكَ بَعْدِي السَّهْلُ أَمْ غَالَكَ الْجَبَلْ
وَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَكَ الدَّهْرُ أَوْبَةٌ ... فَحَسْبِي مِنْ الدُّنْيَا رُجُوعُكَ لِي بَجَلْ
تُذَكِّرُنِيهِ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا ... وَتَعْرِضُ ذِكْرَاهُ إِذَا غَرْبُهَا أَفَلْ
وَإِنْ هَبَّتْ الْأَرْوَاحُ هَيَّجْنَ ذِكْرَهُ ... فَيَا طُولُ مَا حُزْنِي عَلَيْهِ وَمَا وَجَلْ
سَأُعْمِلُ نَصَّ الْعِيسِ فِي الْأَرْضِ جَاهِدًا ... وَلَا أَسْأَمُ التَّطْوَافَ أَوْ تَسْأَمُ الْإِبِلْ
حَيَاتِي أَوْ تَأْتِي عَلَيَّ مَنِيَّتِي ... فَكُلُّ امْرِئٍ فَانٍ وَإِنْ غَرَّهُ الْأَمَلْ

وَكَانَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامِ بْنِ خُوَيْلِدٍ قَدِمَ مِنْ الشَّامِ بِرَقِيقٍ فِيهِمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَصِيفٌ . فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ عَمَّتُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهَا: اخْتَارِي يَا عَمَّةُ أَيَّ هَؤُلَاءِ الْغِلْمَانِ شِئْت فَهُوَ لَك، فَاخْتَارَتْ زَيْدًا فَأَخَذَتْهُ فَرَآهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عِنْدَهَا، فَاسْتَوْهَبَهُ مِنْهَا، فَوَهَبَتْهُ لَهُ فَأَعْتَقَهُ رَسُولُ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَتَبَنّاهُ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ.

وَلَمّا بَلَغَ زَيْدًا قَوْلُ أَبِيهِ بَكَيْت عَلَى زَيْدٍ وَلَمْ أَدْرِ مَا فَعَلْ . الْأَبْيَاتَ . قَالَ بِحَيْثُ يَسْمَعُهُ الرّكْبَانُ:

أَحِنّ إلَى أَهْلِي، وَإِنْ كُنّ نَائِيًا ... بِأَنّي قَعِيدُ الْبَيْتِ عِنْدَ الْمَشَاعِرِ
فَكُفّوا مِنْ الْوَجْدِ الّذِي قَدْ شَجَاكُمْ ... وَلَا تُعْمِلُوا فِي الْأَرْضِ نَصّ الْأَبَاعِرِ
فَإِنّي بِحَمْدِ الله فِي خَيْرِ أُسْرَةٍ ... كِرَامِ مَعَدّ كَابِرًا بَعْدَ كَابِرِ

وخرج أبوه حارثة بن شراحيل مع عمه كعب يبحثان عنه حتى وجداه في مكة فجاءا حَتّى وَقَفَا عَلَى رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم بِمَكّةَ وَذَلِكَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ فَقَالَا لَهُ: يَا بْنَ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، يَا بْنَ سَيّدِ قَوْمِهِ أَنْتُمْ جِيرَانُ الله وَتَفُكّونَ الْعَانِيَ وَتُطْعِمُونَ الْجَائِعَ وَقَدْ جِئْنَاكُمْ فِي ابْنِنَا عَبْدِك، لِتُحْسِنَ إلَيْنَا فِي فِدَائِهِ فَقَالَ:((**أَوَغَيْرُ ذَلِكَ**)) ؟ فَقَالَا: وَمَا هُوَ ؟ فَقَالَ:((**أُدْعُوهُ وَأُخَيّرُهُ فَإِنْ اخْتَارَكُمَا فَذَاكَ وَإِنْ اخْتَارَنِي فَوَالله مَا أَنَا بِالّذِي أَخْتَارُ عَلَى مَنْ اخْتَارَنِي أَحَدًا**))، فَقَالَا لَهُ: قَدْ زِدْت عَلَى النّصْفِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم فَلَمّا جَاءَ قَالَ:((**مِنْ هَذَانِ**)) ؟ فَقَالَ: هَذَا أَبِي حَارِثَةُ بْنُ شَرَاحِيلَ وَهَذَا عَمّي كَعْبُ بْنُ شَرَاحِيلَ، فَقَالَ:((**قَدْ خَيّرْتُك إنْ شِئْت ذَهَبْت مَعَهُمَا، وَإِنْ شِئْت أَقَمْت مَعِي**))، فَقَالَ: بَلْ أُقِيمُ مَعَك، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ:

يَا زَيْدُ أَتَخْتَارُ الْعُبُودِيّةَ عَلَى الْحُرّيّةِ وَعَلَى أَبِيك وَأُمّك وَبَلَدِك وَقَوْمِك ؟ فَقَالَ: إنّي قَدْ رَأَيْت مِنْ هَذَا الرّجُلِ شَيْئًا، وَمَا أَنَا بِالّذِي أُفَارِقُهُ أَبَدًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم بِيَدِهِ وَقَامَ بِهِ إلَى الْمَلَإِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ:((**اشْهَدُوا أَنّ هَذَا ابْنِي، وَارِثًا وَمَوْرُوثًا**))، فَطَابَتْ نَفْسُ أَبِيهِ عِنْدَ ذَلِكَ وَكَانَ يُدْعَى: زَيْدَ بْنِ مُحَمّدٍ حَتّى أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ ﴾ {الأحزاب: ٥} .



إبطال شبهة الزواج:

قبل الخوض في قصة الزواج يجب علينا إيضاح شبهة يستغلها أعداء النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الإقلال من شأنه، وهي أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب زينب بنت جحش وأراد أن يتزوجها في وقت كانت هي متزوجة من زيد رضي الله عنها، وكان يريد أن يأمره بطلاقها ليتزوجها هو لولا مخافة حديث الناس عن ذلك، ويستدلون بقوله تعالى ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ {الأحزاب: ٣٧}.. وكل هذا كذب وبهتان ومغالطة، فليس رسول الله صلى الله عليه وسلم من يفعل ذلك وهو المعصوم، فما معنى العصمة عند هؤلاء الذي يتهمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الاتهامات، وأي إيمان بنبوته في قلوبهم.

دفاعاً عن نبي الله داؤد عليه السلام:

ولعلي أجدها فرصة للدفاع عن نبي الله داؤد الذي اتهم كذلك كنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد حصل نفس الأمر في حق نبي الله داؤد عليه السلام حيث قالوا في تفسير قولوه تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟

عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ {ص: ٢٠ – ٢٥}،

حيث ذكروا في بعض التفاسير: أن داود عليه السلام كان قد قسم الدهر ثلاثة أيام: يوم يقضي فيه بين الناس، ويوم يخلو فيه لعبادة ربه، ويوم يخلو فيه لنسائه؛ وكان له تسع وتسعون امرأة، وكان فيما يقرأ من الكتب أنه كان يجد فيه فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ فلما وجد ذلك فيما يقرأ من الكتب قال: يا رب إن الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي، فأعطني مثل ما أعطيتهم، وافعل بي مثل ما فعلت بهم، قال: فأوحى الله إليه: إن آباءك ابتُلوا ببلايا لم تبتل بها؛ ابتُلي إبراهيم بذبح ابنه، وابتُلي إسحاق بذهاب بصره، وابتُلي يعقوب بحزنه على يوسف، وإنك لم تبتل من ذلك بشيء، قال: يا رب ابتلني بمثل ما ابتُليتهم به، وأعطني مثل ما أعطيتهم؛ قال. فأوحي إليه: إنك مبتلى فاحترس؛ قال: فمكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث، إذ جاءه الشيطان قد تمثّل في صورة حمامة من ذهب،

حتى وقع عند رجليه وهو قائم يصلي، فمد يده ليأخذه، فتنحى فتبعه، فتباعد حتى وقع في كوّة، فذهب ليأخذه، فطار من الكوّة، فنظر أين يقع، فيبعث في أثره. قال: فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها، وكانت امرأة من أجمل الناس خَلْقا، فحانت منها التفاتة فأبصرته، فألقت شعرها فاستترت به، قال: فزاده ذلك فيها رغبة، قال: فسأل عنها، فأخبر أن لها زوجا، وأن زوجها غائب بمسلحة كذا وكذا؛ قال: فبعث إلى صاحب المسلحة أن يبعث أوريا إلى عدوّ كذا وكذا، قال: فبعثه، ففتح له. قال: وكتب إليه بذلك، قال: فكتب إليه أيضا: أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا، أشد منهم بأسا، قال: فبعثه ففتح له أيضا. قال: فكتب إلى داود بذلك، قال: فكتب إليه أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا، فبعثه فقتل المرة الثالثة، قال: فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهي أم سليمان عليه الصلاة والسلام .

قال: فلما دخلت عليه، قال: لم تلبث عنده إلا يسيرا حتى بعث الله مَلَكين في صور إنسيين، فطلبا أن يدخلا عليه، فوجداه في يوم عبادته، فمنعهما الحرس أن يدخلا فتسوّروا عليه المحراب، قال: فما شعر وهو يصلي إذ هو بهما بين يديه جالسين، قال: ففزع منهما، فقالا: ﴿ لَا تَخَفْ ﴾ إنما نحن ﴿ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ ﴾ يقول: لا تخف

﴿ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴾: إلى عدل القضاء. قال: فقال: قُصّا عليّ قصّتكما، قال: فقال أحدهما: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴾ فهو يريد أن يأخذ نعجتي، فيكمل بها نعاجه مئة. قال: فقال للآخر: ما تقول؟ فقال: إن لي تسعا وتسعين نعجة، ولأخي هذا نعجة واحدة، فأنا أريد أن آخذها منه، فأكمل بها نعاجي مئة، قال: وهو كاره؟ قال: وهو كاره، قال: وهو كاره؟ قال: إذن لا ندعك وذاك، قال: ما أنت على ذلك بقادر، قال: فإن ذهبت تروم ذلك أو تريد، ضربنا منك هذا وهذا وهذا، وفسر أسباط طرف الأنف، وأصل الأنف والجبهة؛ قال: يا داود أنت أحق أن يُضرب منك هذا وهذا وهذا، حيث لك تسع وتسعون نعجة امرأة، ولم يكن لأوريا إلا امرأة واحدة، فلم تزل به تعرضه للقتل حتى قتلته، وتزوجت امرأته. قال: فنظر فلم ير شيئا، فعرف ما قد وقع فيه، وما قد ابتُلي به. قال: فخر ساجدا، قال: فبكى. قال: فمكث يبكي ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه إلا لحاجة منها، ثم يقع ساجدا يبكي، ثم يدعو حتى نبت العشب من دموع عينيه. قال: فأوحى الله إليه بعد أربعين يوما: يا داود ارفع رأسك، فقد غفرت لك، فقال: يا رب كيف أعلم أنك قد غفرت لي وأنت حكم عدل لا تحيف في القضاء، إذا جاءك أوريا يوم القيامة آخذا

رأسه بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه دما فى قبل عرشك يقول: يا رب سل هذا فيم قتلني؟ قال: فأوحى إليه: إذا كان ذلك دعوت أوريا فأستوهبك منه، فيهبك لي، فأثيبه بذلك الجنة، قال: رب الآن علمت أنك قد غفرت لي، قال: فما استطاع أن يملأ عينيه من السماء حياء من ربه حتى قبض صلى الله عليه وسلم.إنتهى كلام بعض أهل التفسير.

وكل هذا كذب وزور وهو من الإسرائيليات المدسوسة في كتب التفسير، فهل من صدر منه هذا الفعل يكون نبياً ؟!! وهل يقبل العقل المسلم أن نبيا يفعل ذلك فيتعمد قتل مسلم ليتزوج امرأته؟!!! هذا لا يصدر حتى من أكبر مجرم، فليتقي الله من يقول ذلك.

بيان الحقيقة:

والحقيقة أن أوريا كان قد خطب تلك المراة ووطَّن نفسه عليها، فلما غاب في غزاته خطبها داود، فزوجت نفسها منه لجلالته، فاغتمَّ لذلك أوريا فعاتبه الله تعالى على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسعة وتسعون امرأة، ويدل على صحة هذا الوجه قوله ﴿ وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾ {ص: ٢٣}، فدل هذا على أن الكلام كان بينهما في الخطبة ولم يكن قد تقدم تزوج أوريا لها، فعوتب داود بسببين أحدهما: خطبته على خطبة أخيه

والثاني: إظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسائه، وقيل: أن ذنب داود الذي استغفر منه ليس هو بسبب أوريا والمرأة وإنما هو بسبب الخصمين وكونه قضى لأحدهما قبل سماع كلام الآخر، وقيل: هو قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه فحكم على خصمه بكونه ظالماً بمجرد الدعوى، فلما كان هذا الحكم مخالفاً للصواب.ز اشتغل داود بالاستغفار والتوبة، فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود عليه الصلاة والسلام مما نسب إليه، والله أعلم .

إبطال ما ادَّعاه أهل الزيغ فيه صلى اللّه عليه وسلم:

لكل ذلك وجب البيان والإيضاح في قصة أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها في زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول:

أولاً: أنه من الخطأ الشديد إساءة الظن بالأنبياء وقلة الأدب معهم وقد أتفق أهل العلم على عصمة الأنبياء وأنهم معصومون، فلا يصدر منهم ارتكاب الذنوب حتى الصغائر على المعتمد، وكل ما ورد في قصة إعجابها به ورغبته في طلاق زيد لها ليتزوجها خارق للعصمة، فما معنى حفظه تعالى له إذا تركه يقع في مثل ذلك، وهو عكس ما أمره لله به حيث قال له: ﴿ لَا

﴿ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ {الحجر: ٨٨} ولا أظن أحدا يختلف معي أنه صلى الله عليه وسلم لا يعصي ربه ولا يخالف أمره وإلا كيف يكون نبيا ورسولا لو فعل ذلك.

ثانياً: أننا مأمورون بالإقتداء بهم، وهم الذين علمونا الدين والشرع والحلال والحرام، فهل من الممكن أن يعلمونا ما يتناقضون فيه، بمعنى أنهم ينهونا عن فعل ثم هم يفعلونه، ولو فعلوه لكنا مأمورين بالاقتداء بهم فهل هذا يستقيم؟! وهل يأمرنا الله أن نقتدي بمن يخالف أمره؟!.

ثالثاً: أن هذا الأمر لا يقبله الفرد منا في نفسه ولا فيمن هم حواليه من بقية الخلق، فلو قيل عن واحد منا أنه عشق امرأة صديقه لعامة الناس.. لتجنبوه، فكيف لو كان نبياً ورسولا.

رابعاً: أن ما ورد عن ذلك من الأخبار هي مبنية على الظن والوهم فقد توهم وظن من رواها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخفي حبها ورغبة طلاقها من زيد، فهل ورد ما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم صرّح بذلك.

خامساً: أن ما توهمه المتوهمون في رسول الله صلى الله عليه وسلم هو غير صحيح وخطأ جلي، والدليل على ذلك - قبل أن نبين معاني الآيات التي فهمها البعض خطأ- هو الآتي:

١) أن الذي خطب زينب رضي الله عنها لزيد بن حارثه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يعرف نسبها ومكانتها، ويعرف أن زيداً كان مملوكاً فاعتقه، وقد تقدم الكلام عن ذلك حيث ذكرنا أنه لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وكانت زينب بنت جحش ممن هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وكانت امرأة جميلة فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على زيد بن حارثة فقالت: يا رسول الله لا أرضاه لنفسي وأنا أيم قريش. قال: فإني قد رضيته لك فتزوجها زيد بن حارثة. أخرجه الحاكم في المستدرك، فلو كان يريدها لنفسه لما زوجها زيداً، ولا يقول القائل أنه زوجها وهو لا يعرفها ولم يرها فلما رآها أحبها؛ لأن هذا كلام باطل فهي ابنة عمته صلى الله عليه وسلم كما أسلفنا ومن المؤكد بل المقطوع به أنه يعرفها وكم قد رآها من قبل فهو يعرف جمالها وحسنها قبل أن يزوجها من زيد بن حارثة رضي الله عنها.

٢) أنه صلى الله عليه وسلم لو كان راغبا في زواجه منها وأعجبها جمالها لتزوجها وهي بكر قبل أن يزوجها من مولاه زيد بن حارثة.

٣) أنه صلى الله عليه وسلم لو كان راغباً فيها وفي طلاق زيد لها.. لوافقه على طلاقها حينما جاء يشكوها إليه وقال له أنها تتعالى علي

بنسبها ويظهر من كلامها ما يؤذيني، لكن ما ورد في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم أمره بإمساكها وعدم مفارقتها، فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنها قَالَ :جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو- أي يشكو زينب - فَجَعَلَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:((**اتَّقِ الله وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ**)) أخرجه البخاري.

وقد أثبت الله ذلك في القرآن بقوله: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ {الأحزاب: ٣٧} .

وقد ورد في بعض الروايات أنه قال ذلك لزيد بن حارثة رضي الله عنه أكثر من مرة كما سنذكر ذلك في رواية الحاكم، فما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير عليه إلا بأن يمسكها ولا يفارقها.

وأما ما ورد في الأحاديث عن ذلك وهو ما قد يفهمه البعض فهما خاطئاً فيحكم على رسول اله صلى الله عليه وسلم بمثل هذه الإساءة فهو ما ورد عند الحاكم فإننا سنورده الآن ثم نبين المقصود والحقيقة ومعاني الآيات القرآنية التي فُهمت عند البعض خطأ:

جاء عند الحاكم في المستدرك أنه قال: قال ابن عمر: فحدثني عبد الله بن عامر الأسلمي عن محمد بن يحيى بن حيان قال: جاء رسول الله صلى الله عليه و سلم بيت زيد بن حارثة يطلبه و كان زيد إنما يقال له: زيد بن محمد فربما فقده رسول الله صلى الله عليه و سلم الساعة فيقول: أين زيد ؟ فجاء

منزله يطلبه فلم يجده، فتقوم إليه زينب فتقول له: هنا يا رسول الله فولى يهمهم بشيء لا يكاد يفهم عنه إلا سبحان الله العظيم سبحان الله مصرف القلوب، فجاء زيد إلى منزله فأخبرته امرأته أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أتى منزله، فقال زيد: ألا قلت له يدخل قالت: قد عرضت ذلك عليه و أبى قال: فسمعته يقول شيئا؟ قالت: سمعته حين ولى تكلم بكلام لا أفهمه و سمعته يقول: سبحان الله العظيم سبحان الله مصرف القلوب قال: فخرج زيد حتى أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله بلغني أنك جئت منزلي فهلا دخلت بأبي أنت و أمي يا رسول الله لعل زينب أعجبتك فأفارقها فيقول رسول الله صلى الله عليه و سلم: أمسك عليك زوجك، فما استطاع زيد إليها سبيلا بعد ذلك و يأتي رسول الله صلى الله عليه و سلم فيخبره فيقول: أمسك عليك زوجك فيقول: يا رسول الله إذا أفارقها، فيقول رسول الله صلى الله عليه و سلم: أحبس عليك زوجك، ففارقها زيد و اعتزلها و حلت. الحديث.

هذا هو الحديث الذي فهم منه البعض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب زينب، وكان يتمنى لو يطلقها زيد، وليس في الحديث ما يبين ذلك، بل كان فيه أنه يقول:(**سبحان الله العظيم سبحان الله مصرف القلوب**)، ولو كان قاصدا طلاق زيد منها لأخبره بذلك لكنه في كل مرة

يقول له:(**أمسك عليك زوجك واتق الله**)، والذي يُفهم من قوله صلى الله عليه وسلم:(**اتق الله**) أي اتق الله في ما تتهمني به من أنها أعجبتني لحاجة في نفسي- لو صحت القصة، ثم أن زيد قد أخبر النبي أنه سيطلقها وهو يتزوجها فرفض رسول الله صلة الله عليه وسلم، ولو كان راغباً في ذلك لما رفض.

٤) ثم أن الله هو الذي زوجه إياه، فهل يرضى الله بالخطيئة، فلو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع في الذنب -وحاشاه من ذلك- لما أيده الله تعالى؛ لأن الله تعالى لا يأمر بالمعصية، فليتقي الله كل من يتهم أكرم مخلوق في الوجود صلى الله عليه وسلم.

بيان الحقيقة كما ذكرها أهل العلم:

والحقيقة في كل الأمر هي: أن الله تعالى قد أخبر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن زيداً سيطلق زينب، وأنها ستكون فيما بعد زوجتك، فكتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في نفسه ولم يبده لزيد عندما شاوره في طلاقها، وسبب كتمانه لذلك هو:

١) أنه صلى الله عليه وسلم لو أخبره بذلك لاتهمه الناس بأنه يرغب في زواجها محبة منه لها، ونحن نشهد بعض الذين لم يفهموا الخبر يقولون ذلك الآن، بعد بيان الحق فكيف قبل بيانه.

٢) أن زيداً كان يسمى زيد بن محمد كما أسلفنا حيث أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبنّاه.

٣) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منتظر إبطال التبني، وإبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال منه وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابنا ووقوع ذلك من إمام المسلمين ؛ليكون أدعى لقبولهمن فأبطل الله التبني وأنزل قوله: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾ {الأحزاب: ٤ – ٥}.

ودليل ذلك كله أن الذي زوجه صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش هو الحق تعالى في علاه كما سنبين كل ذلك إن شاء الله تعالى.

وأما ما ورد في الآيات القرآنية وفُهم فهماً خاطئا فهو قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ {الأحزاب: ٣٧}

وقد نزل قبلها آية تبين معاني هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ {الأحزاب: ٣٦}.

فقد بين أهل العلم والتفسير معاني كل ذلك كما ورد في تفسير السراج المنير للخطيب الشربيني حيث قال:(({وما كان} أي: وما صح {لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً} أي: إذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى لتعظيم أمره، والإشعار بأنه قضاء الله تعالى.

نزلت في زينب بنت جحش الأسدية وأخيها عبد الله بن جحش، وأمها أمية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم «لما خطب النبي صلى الله عليه وسلم زينب على مولاه زيد بن حارثة، وكان اشترى زيداً في الجاهلية بعكاظ فأعتقه وتبناه، فلما خطب النبي صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت أنه يخطبها لنفسه، فلما علمت أنه يخطبها لزيد بن حارثة أبت وقالت: أنا ابنة عمتك يا رسول الله فلا أرضاه لنفسي، وكانت بيضاء جميلة

فيها حدة، وكذلك كره أخوها» ذلك رواه الدارقطني بسند ضعيف، وقيل: في أم كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد {أن تكون لهم الخيرة من أمرهم} أي: أن يختاروا من أمرهم شيئاً، بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعاً لاختيار الله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

فلما نزلت هذه الآية رضيت زينب بذلك وجعلت أمرها بيد النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك أخوها فأنكحها صلى الله عليه وسلم زيداً، فدخل بها وساق إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة دنانير وستين درهماً، وخماراً ودرعاً وإزاراً وملحفة، وخمسين مداً من الطعام، وثلاثين صاعاً من تمر. ومكثت عنده حيناً)) اهـ.

وقال في الآية الأخرى بعد أن ساق ما ذكرناه من رواية الإمام الحاكم:(({وإذ تقول للذي أنعم الله} أي: الملك الذي له كل الكمال {عليه} وتولى نبيه عليه الصلاة والسلام إياه، ثم بين تعالى منزلته من النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: {وأنعمت عليه} أي: بالعتق والتبني حيث استشارك في فراق زوجته التي أخبرك الله تعالى أنه يفارقها وتصير زوجتك {أمسك عليك زوجك} أي: زينب رضي الله عنها {واتق الله} الذي له جميع العظمة في جميع أمرك {وتخفي} أي: والحال أنك تخفي أي:

تقول قولاً مخفياً {ما في نفسك} أي: ما أخبرك الله من أنها ستصير إحدى زوجاتك عند طلاق زيد {ما الله مبديه} أي: مظهره بحمل زيد على تطليقها، وإن أمرته بإمساكها، وتزويجك بها وأمرك بالدخول عليها، وهذا دليل على أنه ما أخفى غير ما أعلمه الله تعالى من أنها ستصير زوجته عند طلاق زيد؛ لأن الله تعالى ما أبدى غير ذلك، ولو أخفى غيره لأبداه سبحانه؛ لأنه لا يبدل قوله، وقول ابن عباس كان في قلبه حبها بعيد، وكذا قول قتادة: ودّ لو أنه لو طلقها زيد، وكذا قول غيرهما: كان في قلبه لو فارقها زيد تزوجها.

ولما ذكر تعالى إخفاءه ذلك ذكر علته بقوله تعالى: عاطفاً على تخفي {وتخشى الناس} أي: من أن تخبر بما أخبر الله تعالى به فيصوبوا إليك مرجمات الظنون لاسيما اليهود والمنافقون، وقال ابن عباس والحسن: تستحييهم، وقيل: تخاف لائمة الناس أن يقولوا: أمر رجلاً بطلاق امرأته ثم نكحها، {والله} أي: والحال أن الذي لا شيء أعظم منه {أحق أن تخشاه} أي: وحده ولا تجمع خشية الناس مع خشيته في أن تؤخر شيئاً أخبرك به حتى يأتيك فيه أمر. قال عمر وابن مسعود وعائشة: ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشد عليه من هذه، وروي عن

مسروق قال: قالت عائشة: «لو كتم النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً مما أوحي إليه لكتم هذه الآية {وتخفي في نفسك ما الله مبديه}.

ويؤيد ما مر ما روى سفيان بن عيينة عن علي عن زيد بن جدعان قال: سألني علي بن الحسين زين العابدين ما يقول الحسن في قوله تعالى: {وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه} قال: قلت يقول لما جاء زيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول الله إني أريد أن أطلقها فقال له: {أمسك عليه زوجك} فقال علي بن الحسين: ليس كذلك؛ لأن الله تعالى قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه، وأن زيداً سيطلقها، فلما جاء زيد وقال: إني أريد أن أطلقها قال له: {أمسك عليك زوجك} فعاتبه الله تعالى وقال: «لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك»، وهذا هو اللائق والأليق بحال الأنبياء عليهم السلام، وهو مطابق للتلاوة؛ لأن الله تعالى أعلم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه، ولم يظهر غير تزويجها منه)) اهـ.

قال الحافظ بن حجر في الفتح:((والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي صلى الله عليه و سلم هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال منه وهو

تزوج امرأة الذي يدعى ابنا ووقوع ذلك من إمام المسلمين؛ ليكون أدعى لقبولهم)) اهـ.

ولذلك قال الله بعد ذلك ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ {الأحزاب: ٣٧}.

قال الإمام الشربيني في بيان هذه الآية:(({فلما قضى زيد منها وطرأ} أي: حاجة من زواجها والدخول بها، وذلك بانقضاء عدتها منه؛ لأن به يعرف أنه لا حاجة له فيها، وأنه قد تقاصرت عنها همته وإلا راجعها {زوجناكها} أي: ولم نحوجك إلى ولي من الخلق يعقد لك عليها تشريفاً لك ولها بما لنا من العظمة التي خرقنا بها عوائد الخلق حتى أذعن لذلك كل من علم به، وسرت به جميع النفوس.

ولم يقدر منافق ولا غيره على الخوض في ذلك ببنت شفة مما يوهنه ويؤثر فيه، فلو كان الذي أضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها أو إرادة طلاقها لكان يظهر ذلك؛ لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره، فدل على أنه إنما عوتب على إخفاء ما أعلمه الله تعالى من أنها ستكون زوجة له وإنما أخفاه استحياء أن يقول لزيد: إن التي تحتك وفي نكاحك ستكون امرأتي.

وذكر قضاء الوطر ليعلم أن زوجة المتبني تحل بعد الدخول بها إذا طلقت وانقضت عدتها)) اهـ. ونحو هذا عند كثير من أهل التفسير فليراجع.

زواجه صلى الله عليه وسلم منها:

بعد كل هذا نعلم أن زيدا رضي الله عنها قد طلقها، فلما انقضت عدتها تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد جاء عند الحاكم في المستدرك: بينما رسول الله صلى الله عليه و سلم جالس يتحدث مع عائشة رضي الله عنها إذ أخذت رسول الله صلى الله عليه و سلم غيمة ثم سري عنه و هو يتبسم و هو يقول :((**من يذهب إلى زينب يبشرها أن الله عز و جل زوجنيها من السماء و تلا رسول الله صلى الله عليه و سلم:** ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ {الأحزاب: ٣٧}))، وذكر القصة كلها. قالت عائشة رضي الله عنها: فأخذني ما قرب و ما بعد لما كان بلغني من جمالها، و أخرى هي أعظم الأمور و أشرفها ما صنع الله لها زوجها الله عز و جل من السماء، و قالت عائشة: هي تفخر علينا بهذا قالت عائشة: فخرجت سلمى خادم رسول الله صلى الله عليه و سلم تشتد فحدثتها بذلك فأعطتها أوضاحا لها.

وفي رواية عند الإمام مسلم والإمام أحمد عَنِ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ قَالَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِزَيْدٍ فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ قَالَ فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّى أَتَاهَا وَهِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا قَالَ فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا أَنَّ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَهَا فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي وَنَكَصْتُ عَلَى عَقِبِي - أَيْ رَجَعْت ومَعْنَاهُ أَنَّهُ هَابَهَا وَاسْتَجَلَّهَا مِنْ أَجَل إِرَادَة النَّبِيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوُّجهَا، فَعَامَلَهَا مُعَامَلَة مَنْ تَزَوَّجهَا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْإِعْظَام وَالْإِجْلَال وَالْمَهَابَة، كما قاله النووي في شرحه - فَقُلْتُ يَا زَيْنَبُ أَرْسَلَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُكِ. قَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي، فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، وَجَاءَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ. قَالَ: فَقَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا أَنَّ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَطْعَمَنَا الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ حِينَ امْتَدَّ النَّهَارُ، فَخَرَجَ النَّاسُ وَبَقِيَ رِجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ الطَّعَامِ، فَخَرَجَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاتَّبَعْتُهُ فَجَعَلَ يَتَتَبَّعُ حُجَرَ نِسَائِهِ يُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ وَيَقُلْنَ يَا رَسُولَ الله كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟ قَالَ: فَمَا أَدْرِي أَنَا أَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَرَجُوا أَوْ أَخْبَرَنِي. قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ، فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ مَعَهُ، فَأَلْقَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَنَزَلَ الْحِجَابُ قَالَ: وَوُعِظَ الْقَوْمُ بِمَا وُعِظُوا بِهِ.

زَادَ ابْنُ رَافِعٍ فِي حَدِيثِهِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ {الأحزاب: ٥٣}.

وفي رواية للبخاري ومسلم عن أنس أيضاً قال: "مَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ دَعَا الْقَوْمَ فَطَعِمُوا ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ وَإِذَا هُوَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ فَلَمْ يَقُومُوا فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ فَلَمَّا قَامَ قَامَ مَنْ قَامَ وَقَعَدَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ فَجَاءَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَدْخُلَ فَإِذَا الْقَوْمُ جُلُوسٌ ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا فَانْطَلَقْتُ فَجِئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ قَدْ انْطَلَقُوا فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ فَأَلْقَى الْحِجَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَنْزَلَ الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ {الأحزاب: ٥٣}.

فكانت أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها هي سبب نزول آية الحجاب.

وفي اختيار النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة رضي الله عنها ليكون الخاطب حكمة عظيمة ذكرها الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح حيث قال:(وهذا أيضا من أبلغ ما وقع في ذلك وهو أن يكون الذي كان زوجها هو الخاطب لئلا يظن أحد أن ذلك وقع قهرا بغير رضاه، وفيه أيضا اختبار ما كان عنده منها هل بقي منه شيء أم لا) اهـ.

ولما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها:((**مَا اسْمُكِ**)). قالت: برة، فسماها زينب، فعن مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ حَدَّثَتْنِي زَيْنَبُ بِنْتُ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ:كَانَ اسْمِي بَرَّةَ فَسَمَّانِي رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ قَالَتْ وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ وَاسْمُهَا بَرَّةُ فَسَمَّاهَا زَيْنَبَ. أخرجه مسلم.

وقد أخرج ابن سعد في الطبقات بسنده عن بن عباس قال: لما أخبرت زينب بتزويج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لها سجدت.

وأخرج كذلك بسنده عن عبد الله بن عمرو بن زهير قال: سمعت إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جحش يقول: قالت زينب بنت جحش: لما جاءني الرسول بتزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم إياي.. جعلت لله علي صوم شهرين، فلما دخل علي رسول الله كنت لا أقدر أن أصومهما في حضر ولا سفر تصيبني فيه القرعة، فلما أصابتني القرعة في المقام صمتهما.

ولما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم في ذلك المنافقون وقالوا: حرم محمد نساء الولد، وقد تزوج امرأة ابنه فأنزل الله عز وجل: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ {الأحزاب: ٤٠}.

ووقع الزواج المبارك من الله تعالى، وقد أولم فيه النبي صلى الله عليه وسلم أكثر مما أولم في غيره من زواجاته وعلى نسائه، فعَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: مَا أَوْلَمَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ أَكْثَرَ أَوْ أَفْضَلَ مِمَّا أَوْلَمَ عَلَى زَيْنَبَ.

فَقَالَ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ بِمَا أَوْلَمَ ؟قَالَ: أَطْعَمَهُمْ خُبْزًا وَلَحْمًا حَتَّى تَرَكُوهُ.

أخرجه مسلم وأحمد.

قال الإمام النووي في شرحه للحديث:((قَوْله: (مَا أَوْلَمَ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى اِمْرَأَة مِنْ نِسَائِهِ أَكْثَر أَوْ أَفْضَل مِمَّا أَوْلَمَ عَلَى زَيْنَب) يَحْتَمِل أَنَّ سَبَب ذَلِكَ الشُّكْر لِنِعْمَةِ الله فِي أَنَّ الله تَعَالَى زَوَّجَهُ إِيَّاهَا بِالْوَحْيِ لَا بِوَلِيٍّ وَشُهُود، بِخِلَافِ غَيْرهَا .

وَمَذْهَبنَا الصَّحِيح الْمَشْهُور عِنْد أَصْحَابنَا صِحَّةُ نِكَاحه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَا وَلِيّ وَلَا شُهُود لِعَدَمِ الْحَاجَة إِلَى ذَلِكَ فِي حَقّه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَهَذَا الْخِلَاف فِي غَيْر زَيْنَب، وَأَمَّا زَيْنَب فَمَنْصُوص عَلَيْهَا . وَالله أَعْلَم))
اهـ.

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ:((أَوْلَمَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِزَيْنَبَ فَأَشْبَعَ الْمُسْلِمِينَ خُبْزًا وَلَحْمًا)) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم -، فدخل بأهله فصنعت أُمُّ سُلَيْمٍ وَهِيَ أُمُّ أَنَسِ حيسا من عجوة في تَوْرٍ من فخار قدر ما يكفيه وصاحبته وقالت: اذهب به إليه - والتَوْر هو إناء يستخدم للشرب – قالت: فدخلت عليه، وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب، فقال:((ضعيه)).

فوضعته بينه وبين الجدار فقال لي:((**ادع أبا بكر وعمر وعثمان وعليا**)).

وذكر ناسا من أصحابه سماهم.

فجعلت أعجب من كثرة من أمرني أن أدعوه وقلة الطعام، إنما هو طعام يسير وكرهت أن أعصيه، فدعوتهم فقال:((**انظر من كان في المسجد فادعه**)).

فجعلت آتي الرجل وهو يصلى أو هو نائم فأقول: أجب رسول الله فإنه أصبح اليوم عروسا، حتى امتلا البيت، فقال لي:((**هل بقي في المسجد أحد**)) ؟ قلت: لا.

قال:((**فانظر من كان في الطريق فأدعهم**)).

قال: فدعوت حتى امتلات الحجرة، فقال:((**هل بقي من أحد**)) ؟

قلت: لا يا رسول الله.

قال:((**هلم التور**)).

فوضعته بين يديه، فوضع أصابعه الثلاث فيه وغمزه، وقال للناس:((**كلوا بسم الله**)).

فجعلت أنظر إلى التمر يربو أو إلى السمن كأنه عيون تنبع حتى أكل كل من في البيت ومن في الحجرة، وبقي في التور قدر ما جئت به، فوضعته عند زوجته، ثم خرجت إلى أمي لأعجبها مما رأيت، فقالت: لا تعجب، لو شاء الله أن يأكل منه أهل المدينة كلهم لاكلوا.

فقلت لانس: كم تراهم بلغوا ؟ قال: أحدا وسبعين رجلا، وأنا أشك في اثنين وسبعين.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه:(فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي الله تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ) أخرجه البخاري.

وذكر الإمام ابن كثير في سيرته والإمام السيوطي في (الخصائص الكبرى): قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير عن مغيرة، عن الشعبي قال: كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم: إني لادل عليك بثلاث، ما من نسائك امرأة تدل بهن، أن جدي وجدك واحد، تعني عبدالمطلب، فإنه أبو أبي النبي صلى الله عليه وسلم وأبو أمها أميمة بنت عبدالمطلب، وأني أنكحنيك الله عزوجل من السماء، وأن السفير جبريل عليه السلام.

وفي رواية الحاكم في المستدرك: عن عامر قال: كانت زينب بنت جحش تقول للنبي صلى الله عليه و سلم: أنا أعظم نسائك عليك حقا أنا خيرهن منكحا، و ألزمهن سترا، و أقربهن رحما، ثم تقول: زوجنيك الرحمن عز و جل من فوق عرشه، و كان جبريل عليه الصلاة و السلام هو السفير بذلك، و أنا ابنة عمتك، و ليس لك من نسائك قريبة غيري.

وكان زواجه صلى الله عليه وسلم بها سنة ثلاث من الهجرة بالمدينة، وقيل: سنة أربع، وقيل: سنة خمس وهي يومئذ بنت خمس وثلاثين سنة.

وقد اصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجاته ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنَشًّا، فعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ قَالَ:سَأَلْتُ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمْ كَانَ صَدَاقُ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَتْ:((كَانَ صَدَاقُهُ لِأَزْوَاجِهِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنَشًّا)) قَالَتْ:((أَتَدْرِي مَا النَّشُّ)) قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَتْ:((نِصْفُ أُوقِيَّةٍ فَتِلْكَ خَمْسُ مِائَةِ دِرْهَمٍ فَهَذَا صَدَاقُ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَزْوَاجِهِ)) أخرجه مسلم وأحمد.

صفاتها رضي الله عنها وأرضاها:

عُرفت أم المؤمنين السيدة زينب رضي الله عنها وأرضاها بكثرة العبادة والتضرع لله تعالى في علاه، فعن راشد بن سعد قال: دخل النبي صلى الله عليه و سلم منزله ومعه عمر بن الخطاب فإذا هو بزينب بنت جحش تصلي وهي في صلاتها تدعو، فقال النبي صلى الله عليه و سلم :((إِنَّهَا لَأَوَّاهَةٌ)) أخرجه الطبراني.

وجاء في بعض الرويات: قال رجل: يا رسول الله، ما الاواه ؟ قال: الخاشع المتضرع، ثم تلى قوله تعالى﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ {هود: ٧٥}، وكفاها فخراً رضي الله عنها أن الذي شهد لها بهذه الشهادة هو رسول الله

صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه الحق تعالى ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ٤** ﴾ {النجم: ٣ – ٤}.

وكانت تحب العمل بيدها، وتحب صناعة الأشياء بيدها، ثم تبيعها فتتصدق بثمنها: فعن ابن عمر رضي الله عنه قال:((**وكانت زينب امرأة صناعة اليد، فكانت تدبغ و تخرز و تصَّدَّقُ في سبيل الله عز و جل**)) أخرجه الحاكم.

وكانت رضي الله عنها وأرضاها كثيرة الصدقة لا تبقي في يدها شيئاً، فعن عمر بن عثمان الجحشي عن أبيه قال: ما تركت زينب بنت جحش دينارا و لا درهما كانت تتصدق بكل ما قدرت عليه، و كانت مأوى المساكين، و تركت من زلها فباعوه من الوليد بن عبد الملك حين هدم المسجد بخمسين ألف درهم. أخرجه الحاكم.

فانظروا إلى هذه المرأة العظيمة التي كانت من أشراف أهل مكة ثم صارت زوجاً لأشرف مخلوق على الإطلاق.. تدبغ وتخرز ثم تتصدق بكل ذلك، إنها تربية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وأخرج ابن سعد في الطبقات عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قدم على عمر من البحرين، قال أبو هريرة: فلقيته في صلاة العشاء الآخرة فسلمت عليه فسألني عن الناس، ثم قال لي: ماذا جئت به؟ قلت: جئت

بخمسمائة ألف درهم، قال: هل تدري ما تقول؟ قلت: جئت بخمسمائة ألف درهم، قال: ماذا تقول؟ قال قلت: مائة ألف، مائة ألف، مائة ألف، مائة ألف، مائة ألف، حتى عددت خمسا. قال: إنك ناعس فارجع إلى أهلك فنم فإذا أصبحت فأتني، فقال أبو هريرة: فغدوت إليه، فقال: ماذا جئت به؟ قلت: جئت بخمسمائة ألف درهم، قال عمر: أطيب؟ قلت: نعم لا أعلم إلا ذلك، فقال للناس: إنه قد قدم علينا مال كثير، فإن شئتم أن نعد لكم عددا، وإن شئتم أن نكيله لكم كيلا، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إني قد رأيت هؤلاء الأعاجم يدوِّنون ديوانا يعطون الناس عليه، قال: فدوَّن الديوان، وفرض للمهاجرين الأولين في خمسة آلاف خمسة آلاف، وللأنصار في أربعة آلاف أربعة آلاف، ولأزواج النبي صلى الله عليه سلم في اثني عشر ألفا.

قال يزيد: قال محمد بن عمرو وحدثني يزيد بن خصيفة عن عبد الله بن رافع عن برزة بنت رافع قالت: لما خرج العطاء أرسل عمر إلى زينب بنت جحش بالذي لها، فلما دخل عليها قالت: غفر الله لعمر! غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني، فقالوا: هذا كله لك، قالت: سبحان الله! واستترت منه بثوب، قالت: صبُّوه واطرحوا عليه ثوبا، ثم قالت لي: أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي بها إلى بني فلان وبني فلان، من أهل

رَحِمِها وأيتامها، فقسَّمته حتى بقيت بقية تحت الثوب، فقالت لها برزة بنت رافع: غفر الله لك يا أم المؤمنين! والله لقد كان لنا في هذا حق، فقالت: فلكم ما تحت الثوب. قالت: فكشفنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهما، ثم رفعت يديها إلى السماء فقالت: اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا، فماتت.

ولعمري أن هذا لهو حقيقة الزهد في الدنيا والورع المحض الخالص المراد به وجه الله تعالى ، وقد تحققت به أم المؤمنين زينب بنت جحش عليها رضوان الله ، والتي تلقت هذه التربية في مدرسة النبوة التي رخست قدمها فيا.

بل قد شهد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزهد والصدقة وفعل الخير، وناهيك عن هذه الشهادة العظيمة التي لا تضاهيها شهادة في الوجود، فعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**أَسْرَعُكُنَّ لحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا**)). قَالَتْ: فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا قَالَتْ: فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا زَيْنَبُ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ.

أخرجه الإمام مسلم.

وفي بعض الروايات فَأَخَذُوا قَصَبَةً يَذْرَعُونَهَا كما ورد عند البخاري وأحمد.

وربما وقع البعض في التشكيك لما في رواية الإمام أحمد والإمام البخاري حيث جاء فيها: أَنَّ بَعْضَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَ لِلنَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّنَا أَسْرَعُ بِكَ لُحُوقًا قَالَ:((**أَطْوَلُكُنَّ يَدًا**)) فَأَخَذُوا قَصَبَةً يَذْرَعُونَهَا فَكَانَتْ سَوْدَةُ أَطْوَلَهُنَّ يَدًا فَعَلِمْنَا بَعْدُ أَنَّمَا كَانَتْ طُولَ يَدِهَا الصَّدَقَةُ وَكَانَتْ أَسْرَعَنَا لُحُوقًا بِهِ وَكَانَتْ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ.

فالجواب على ذلك هو: أن بعض أهل العلم ذكر أن المراد في هذه الرواية هن النساء الحاضرات فقط حيث أن أم المؤمنين زينب رضي الله عنها لم تكن موجودة، فإن في لفظ الحديث (أن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم).

لكن قد يرد هذا القول ما ورد عند ابن حبان من رواية يحيى بن حماد أن نساء النبي اجتمعن عنده لم تغادر منهن واحدة، قال ابن بطال: هذا الحديث سقط منه ذكر زينب لاتفاق أهل السير على أن زينب أول من مات من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال الإمام النووي في شرحه للحديث:(وَوَقَعَ هَذَا الْحَدِيث فِي كِتَاب الزَّكَاة مِنْ الْبُخَارِيّ بِلَفْظٍ مُتَعَقِّدٍ يُوهِمُ أَنَّ أَسْرَعَهُنَّ لِحَاقًا سَوْدَة، وَهَذَا الْوَهْم بَاطِل بِالْإِجْمَاعِ) اهـ.

ويؤيد كل ذلك ما روى الحاكم في المناقب في مستدركه من طريق يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأزواجه:((**أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا**)) قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم نمد أيدينا في الجدار نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا، فعرفنا حينئذ أن النبي صلى الله عليه و سلم إنما أراد بطول اليد الصدقة.

ثم أن أهل السير قد اتفقوا على أن أول من مات من نسائه صلى الله عليه وسلم بعده هي أم المؤمنين زينب بنت جحش عليها رضوان الله تعالى، قال الإمام السيوطي في شرحة لسنن النسائي:(قَالَ الإمام النَّوَوِيّ: أَجْمَعَ أَهْل السِّيَر أَنَّ زَيْنَب أَوَّل مَنْ مَاتَ مِنْ أَزْوَاجه، وَسَبَقَهُ إِلَى نَقْل الِاتِّفَاق اِبْن بَطَّال) اهـ.

وانظروا هنا إلى طمع كل واحدة منهن في اللحوق بزوجها صلى الله عليه وسلم بينما عادة البشر أن يحبوا طول البقاء في الدنيا، لكنَّ زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم يطمعن في اللحوق به صلى الله عليه وسلم.

وقد شهدت كذلك لأم المؤمنين زينبَ بنتِ جحش رضي الله عنها أمُ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها، وهي التي كانت شديدة الغيرة لكن شدة

غيرتها لم تحل بينها وبين قول الحق والشهادة بالصدق عليها رضوان الله، فقد قالت عنها:((هِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْراً فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ، وَأَتْقَى للهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الله تَعَالَى)) أخرجه مسلم.

وقد شهدت كذلك أم المؤمنين السيدة زينب رضي الله عنها شهادة حق في حق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها في قصة الإفك فَقَالَ:((**يَا زَيْنَبُ مَا عَلِمْتِ مَا رَأَيْتِ**)) فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي وَالله مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْراً.

أخرجه البخاري ومسلم.

وفاتها رضي الله عنها وأرضاها:

عاشت أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عابدة زاهدة تقية لربها تمر أوقاتها في عبادة دائمة لمولاها، فكانت تقوم الليل إلا قليلا، ولم تلتفت إلى الدنيا وزخارفها، فعن عمر بن عثمان الجحشي عن أبيه قال: ما تركت زينب بنت جحش دينارا و لا درهما كانت تتصدق بكل ما قدرت عليه، و كانت مأوى المساكين و

تركت منزلها فباعوه من الوليد بن عبد الملك حين هدم المسجد بخمسين ألف درهم.

بقيت على هذا الحال الطيب حتى ناداها منادي اللحوق بالرفيق الأعلى وبزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبَّت مسرعة بشوق لا يوصف.

وكانت وفاتها في خلافة أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد روى الطبراني برجال الصحيح عن ابن المنكدر – رحمه الله تعالى قال –:(توفيت زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم في خلافة عمر رضي الله تعالى عنهما).

وكانت وفاتها سنة عشرين من الهجرة، فقد روى الطبراني برجال ثقات عن محمد بن إسحاق – رحمه الله تعالى – قال:((توفيت زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشرين))، وفي هذا العام افتتحت مصر، وَقِيلَ: إحْدَى وَعِشْرِينَ، وفيها افتتحت الإسكندرية.

وقد بلغت من العمر ثلاث وخمسين سنة، فعن عمر بن عثمان الجحشي عن أبيه قال :((سئلت أم عكاشة بنت محصن كم بلغت زينب بنت جحش يوم توفيت ؟ فقالت: قدمنا المدينة للهجرة و هي بنت بضع و ثلاثين و توفيت سنة عشرين.

قال ابن عمر بن عثمان: كان أبي يقول: توفيت زينب بنت جحش و هي ابنة ثلاث و خمسين)) أخرجه الحاكم.

ولما توفيت قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كما أخرجه ابن سعد في الطبقات:((**ذهبت حميدة فقيدة مفزع اليتامى والأرامل**))، وفي بعض الألفاظ:((**ذهبت حميدة متعبدة**)).

وعندما حضرت الوفاةُ أمَ المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت:((إني قد أعددت كفني ولعل عمر سيبعث إلي بكفن، فإذا بعث بكفن فتصدقوا بأحدهما، إن استطعتم إذا دليتموني أن تصدقوا بحقوي – أي إزاري– فافعلوا)) أخرجه ابن سعد في الطبقات عن القاسم بن محمد.

فوا عجباً لأمر هذه المرأة العظيمة حتى عند الموت تفكر في الصدقة والتقرب إلى الله.

وحُملت رضي الله عنها وأرضاها على سرير جُعِلَ عليه نعش، فعن ابن عمر قال:((وحدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن يزيد بن عبد الله بن الهاد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال: أوصت زينب بنت جحش أن تحمل على سرير رسول الله صلى الله عليه و سلم و يجعل عليه نعش –و قيل: حمل عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه– و مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه على حفارين يحفرون قبر زينب في يوم صائف فقال:

لو أني ضربت عليهم فُسْطَاطاً، و كان أول فسطاط ضرب على قبر بالبقيع))

أخرجه الحاكم في المستدرك وابن سعد في الطبقات.

قال في الفتح:(الفُسْطَاطُ معروف، وهي: الخيمة، وأصله عمود الخباء الذي يقوم عليه، وقيل: لا يقال لها ذلك إلا إذا كانت من قطن، وهو أيضا مما يغطى به صحن الدار من الشمس وغيرها) اهـ.

وَهِيَ أَوَّلُ امْرَأَةٍ جُعِلَ عَلَى سَرِيرِهَا نَعْشٌ وَغُشِّيَ- بِثَوْبٍ بَعْدَ سيدتنا فَاطِمَةَ الزهراء رضي الله عنها، وقد ذكر بعض أهل العلم أن أول من حملت على نعش هي أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها، والصحيح أن أول من حمل على النعش هي سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وَإنماُ لم يشتهر أمر سيدتنا فاطمة الزهراء في ذلك لكونها دُفِنَتْ لَيْلًا.

وأخرج الحاكم عن عبد الله بن أبي سليط قال: رأيت أبا أحمد بن جحش يحمل سرير زينب و هو مكفوف و هو يبكي، و أسمع عمر يقول: يا أبا أحمد تنح عن السرير لا يعنتك الناس على سريرها، فقال أبو أحمد: هذه التي نلنا بها كل خير و إن هذا يبرد حر ما أجد، فقال عمر رضي الله عنه: الزم الزم.

وأخرج ابن سعد في الطبقات عن بن كعب أن زينب أوصت أن لا تتبع بنار، وحفر لها بالبقيع عند دار عقيل فيما بين دار عقيل ودار ابن الحنفية، ونقل اللبن من السمينة فوضع عند القبر، وكان يوما صائفا.

وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، ثم أرسل إلى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم يسألهن من يدخلها قبرها وكان عمر يعجبه أن يدخلها قبرها فأرسلن إليه يدخلها قبرها من كان يراها في حياتها، قال:(صدقن). أخرجه البيهقي والطبراني وعبد الرزاق وابن سعد.

فأمر سيدنا عمر رضي الله عنه بعد ذلك ابنَ أختها محمد بن طلحة أن ينزل في قبرها ويدخلها القبر، فقد أخرج ابن سعد في الطبقات عن محمد بن عمر قال: كان محمد بن طلحة يسمى السجاد لعبادته وفضله في نفسه، وقد سمع من عمر بن الخطاب، وأمره عمر أن ينزل في قبر خالته زينب بنت جحش زوج رسول الله.

فرحمها الله رحمة الأبرار وجمعنا بها في دار القرار مع زوجها المختار. آمين اللهم آمين


ألسابعة من نسائه صلى اللّه عليه وسلم

أم المؤمنين السيدة جويرية بنت الحارث المصطلقية رضي الله عنها وأرضاها

إسمها رضي الله عنها:

هي أم المؤمنين العفيفة الطاهرة السيدة جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَائِذِ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَذِيمَةَ، وَجَذِيمَةُ هو الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ.

كانت متزوجة من رجل من بني عمومتها يقال له مُسَافِع بْن صَفْوَان الْخُزَاعِيّ، وقيل صفوان بن مالك كما في (عمدرة القاري).

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الحارث بن أبي ضرار يستعد لغزو المدينة، وقد كان بنو المصطلق هم الوحيدون من بطون خزاعة يظاهرون قريشاً على النبي صلى الله عليه وسلم، فعندما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر، عاجلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عليهم بغتة.

قال الواقدي: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لليلتين مضتا من شعبان سنة خمس من الهجرة في سبعمائة من أصحابه إلى بني المصطلق،

فلقيهم عند ماء المُرَيْسِيْع، فقتل من قتل منهم، وكان ممن قتل مسافع بن صفوان زوج السيدة جويرية رضي الله عنها، وفر بعضهم، وسبى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء، وكان من بين النساء أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها.

زواجه صلى الله عليه وسلم منها:

وردت في زواجه منها صلى الله عليه وسلم روايتان نوردها هنا إن شاء الله تعالى:

الرواية الأولى:

لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم السبي وقعت جويرية رضي الله عنها في سهم الصحابي الجليل ثابت بن قيس بن شمَّاس، وقد روى لنا الإمام أحمد رضي الله عنها قصة سبيها وزواجها من النبي صلى الله عليه وسلم فعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: **لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ.**

وقولها هنا: (أو لابن عم لها) تفيد أن الراوي وقع في الشك، لكن ذكره الواقدي بالواو التي تفيد الشركة، أي أنها وقعت مشتركة بينه وبين ابن عمه، فخلصها سيدنا ثابت من ابن عمه بنخلات له في المدينة فصارت من نصيبه لوحده.

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها بعد ذلك: **وَكَاتَبَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا** - وكان مكاتبتها بتسع أواق من الذهب كما ذكر ذلك الحاكم في مستدركه، وكذا الواقدي-، **وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلْوَةً مُلَاحَةً** - وفي بعض الروايات (مَلَّاحَة) قال في عون المعبود: أَيْ مَلِيحَة . قَالَ الْخَطَّابِيُّ: فَعَال يَجِيء فِي النُّعُوت بِمَعْنَى التَّوْكِيد فَإِذَا شُدِّدَ كَانَ أَبْلَغ فِي التَّوْكِيد اِنْتَهَى.

وَفِي شَرْح الْمَوَاهِب: مَلَّاحَة بِفَتْحِ الْمِيم مَصْدَر مَلُحَ بِضَمِّ اللَّام أَيْ ذَات بَهْجَة وَحُسْن مَنْظَر اِنْتَهَى .

وَقَالَ الْإِمَام اِبْن الْأَثِير فِي النِّهَايَة: اِمْرَأَة مَلَّاحَة أَيْ شَدِيدَة الْمَلَاحَة وَهُوَ مِنْ أَبْنِيَة الْمُبَالَغَة .

وفي الروض الأنف: وَأَمّا مَعْنَى: الْمُلّاحَةِ فَذَهَبَ قَوْمٌ إلَى أَنّهَا مِنْ الْمُلْحَةِ وَهِيَ الْبَيَاضُ، تَقُولُ الْعَرَبُ: عِنَبٌ مُلّاحِيّ وَالصّحِيحُ فِي مَعْنَى الْمَلِيحِ، أَنّهُ مُسْتَعَارٌ مِنْ قَوْلِهِمْ طَعَامٌ مَلِيحٌ إذَا كَانَ فِيهِ مِنْ الْمِلْحِ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ وَلِذَلِكَ إذَا بَالَغُوا فِي الْمَدْحِ قَالُوا: مَلِيحٌ قَزِيحٌ فَمَلِيحٌ مِنْ مَلَحْت

الْقِدْرَ وَقَزِيحٌ مِنْ قَزَحْتهَا إذَا طَيَّبْت نَكْهَتَهَا بِالْأَفَاوِيَةِ وَهِيَ الْأَقْزَاحُ وَبِذَلِكَ عَلَى بُعْدِ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ الْبَيَاضِ قَوْلُهُمْ فِي الْأَسْوَدِ مَلِيحٌ وَفِي الْعَيْنَيْنِ إذَا اشْتَدّ سَوَادُهُمَا وَحُسْنُهُمَا كَمَا جَاءَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٢٩] . أَنّهَا مَلَاحَةٌ فِي الْعَيْنَيْنِ وَقَالَ الْأَصْمَعِيّ: الْحُسْنُ فِي الْعَيْنَيْنِ وَالْجَمَالُ فِي الْأَنْفِ وَالْمَلَاحَةُ فِي الْفَمِ . وَقَالَتْ امْرَأَةُ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ لِبَعْلِهَا: إنّك لَجَمِيلٌ يَا أَبَا صَفْوَانَ فَقَالَ وَكَيْفَ وَلَيْسَ عِنْدِي رِدَاءُ الْجَمَالِ وَلَا بُرْنُسُهُ وَلَا عَمُودُهُ ؟ ثُمّ قَالَ عَمُودُهُ الطّولُ وَأَنَا رَبْعَةٌ وَبُرْنُسُهُ سَوَادُ الشّعْرِ وَأَنَا أَشْمَطُ وَرِدَاؤُهُ الْبَيَاضُ، وَأَنَا آدَمُ وَلَكِنْ قُولِي: إنّك مَلِيحٌ ظَرِيفٌ . فَعَلّمَهَا أَنّ الْمَلَاحَةَ قَدْ تَكُونُ مِنْ صِفَةِ الْآدَمِ فَهِيَ إذًا لَيْسَتْ مِنْ مَعْنَى الْبَيَاضِ فِي شَيْءٍ وَإِنّمَا هِيَ ضِدّ الْمَسَاسَةِ-.

ثم تواصل السيدة عائشة حديثها عن أم المؤمنين جويرية فتقول:لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخذَتْ بِنَفْسِهِ فَأَتَتْ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا قَالَتْ: فَوَالله مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي فَكَرِهْتُهَا وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَرَى مِنْهَا مَا رَأَيْتُ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ سَيِّدِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِنْ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ، فَوَقَعْتُ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ، فَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِي، فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَى كِتَابَتِي، قَالَ:((**فَهَلْ لَكِ فِي خَيْرٍ**

مِنْ ذَلِكَ)) قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ الله: قَالَ:((**أَقْضِي كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ**)) قَالَتْ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله، قَالَ:((**قَدْ فَعَلْتُ**)) قَالَتْ: وَخَرَجَ الْخَبَرُ إِلَى النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ: فَقَالَ النَّاسُ أَصْهَارُ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ قَالَتْ فَلَقَدْ أَعْتَقَ بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا مِائَةَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا. أخرجه الإمام أحمد.

زَادَ الْوَاقِدِيُّ، فَأَرْسَلَ إِلَى ثَابِت بْن قَيْس فَطَلَبهَا مِنْهُ، فَقَالَ ثَابِت هِيَ لَك يَا رَسُول الله بِأَبِي وَأُمِّي، فَأَدَّى صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كَانَ مِنْ كِتَابَتهَا وَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا.

قول السيدة عائشة رضي الله عنها (مِائَة أَهْل بَيْت): بِالْإِضَافَةِ أَيْ مِائَة طَائِفَة كُلّ وَاحِدَة مِنْهُنَّ أَهْل بَيْت وَلَمْ تَقُلْ مِائَة هُمْ أَهْل بَيْت لِإِيهَامِ أَنَّهُمْ مِائَة نَفْس كُلّهمْ أَهْل بَيْت وَلَيْسَ مُرَادًا وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَكْثَر مِنْ سَبْعِمِائَةٍ قَالَهُ الزُّرْقَانِيُّ . كما في عون المعبود.

وهنا ملحظ مهم وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان وليا لها لِأَنَّ النَّبِيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ سُلْطَانًا وَلَا وَلِيّ لَهَا وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((وَالسُّلْطَان وَلِيّ مَنْ لَا وَلِيّ لَهُ)). كما أخرج ذلك أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيّ.

وَأَيْضًا كَانَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْلَى الْعَتَاقَة لَهَا وَمَوْلَى الْعَتَاقَة وَلِيّ لُمِعْتَقِهِ لِكَوْنِهِ عَصَبَة لَهُ.

وَقَالَ اِبْن هِشَام: وَيُقَال اِشْتَرَاهَا رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ثَابِت بْن قَيْس وَأَعْتَقَهَا وَأَصْدَقهَا أَرْبَعمِائَةِ دِرْهَم.

ألرواية الثانية:

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: لَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَمَعَهُ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ، وَكَانَ بِذَاتِ الْجَيْشِ دَفَعَ جُوَيْرِيَةَ إلَى رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ وَدِيعَةً وَأَمَرَهُ بِالِاحْتِفَاظِ بِهَا، وَقَدِمَ رَسُولُ الله الْمَدِينَةَ، فَأَقْبَلَ أَبُوهَا الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضِرَارٍ بِفِدَاءِ ابْنَتِهِ فَلَمّا كَانَ بِالْعَقِيقِ نَظَرَ إلَى الْإِبِلِ الّتِي جَاءَ بِهَا لِلْفِدَاءِ فَرَغِبَ فِي بَعِيرَيْنِ مِنْهَا، فَغَيّبَهُمَا فِي شِعْبٍ مِنْ شِعَابِ الْعَقِيقِ، ثُمّ أَتَى إلَى النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَالَ يَا مُحَمّدُ أَصَبْتُمْ ابْنَتِي، وَهَذَا فِدَاؤُهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَيْنَ الْبَعِيرَانِ اللّذَانِ غَيّبْتهمَا بِالْعَقِيقِ، فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا ؟ فَقَالَ الْحَارِثُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللهُ، وَأَنّك مُحَمّدٌ رَسُولُ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَوَالله مَا اطّلَعَ عَلَى ذَلِكَ إلّا اللهُ فَأَسْلَمَ الْحَارِثُ وَأَسْلَمَ مَعَهُ ابْنَانِ لَهُ وَنَاسٌ مِنْ قَوْمِهِ وَأَرْسَلَ إلَى الْبَعِيرَيْنِ فَجَاءَ بِهِمَا، فَدَفَعَ الْإِبِلَ إلَى النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَدُفِعَتْ إلَيْهِ ابْنَتُهُ

جُوَيْرِيَـةُ فَأَسْـلَمَتْ وَحَسُـنَ إِسْـلَامُهَا، فَخَطَبَهَـا رَسُـولُ الله صَـلّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِيهَا، فَزَوّجَهُ إِيّاهَا، وَأَصْدَقَهَا أَرْبَعَمِائَةِ دِرْهَمٍ.

أما من أسلم معه من أبنائه فقد قـال في (الـروض): هُمَـا الحَـارِثُ بْـنُ الحَارِثِ وَعَمْرُو بْنُ الحَارِثِ، وَذَكَرَهُ الْبُخَارِيّ .

وقد روى عمرو بن الحارث الكثير من الأحاديث وهو في سند الإمام البخاري ومسلم والأمام أحمد وغيرهم.

وفي رواية عند ابن سعد:(سَبَى صَلَّى الله عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ جُوَيْرِيَّـة يَعْنِـي وَتَزَوَّجَهَا فَجَاءَ أَبُوهَا فَقَالَ إِنَّ اِبْنَتِي لَا يُسْبَى مِثْلهَا فَخَلِّ سَبِيلهَا فَقَالَ أَرَأَيْت إِنْ خَيَّرْتهَا أَلَيْسَ قَدْ أَحْسَنْت ؟ قَالَ بَلَى، فَأَتَاهَا أَبُوهَا فَقَالَ إِنَّ هَذَا الرَّجُل قَدْ خَيَّرَك فَلَا تَفْضَحِينَا، قَالَتْ فَإِنِّي أَخْتَار الله وَرَسُوله).

وكان زواجه صلى الله عليه وسلم منها في السنة الخامسة مـن الهجـرة، كما ذكره الحاكم، والواقدي كما تقدم.

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت جويرية: رأيت قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجري، فكرهت أن أخبرها أحدا من الناس، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما سبينا رجوت الرؤيا، فلما أعتقني وتزوجني والله ما

كلمته في قومي، حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم، وما شعرت إلا بجارية من بنات عمي تخبرني الخبر، فحمدت الله تعالى. أخرجه الحاكم والبيهقي.

والصحيح: أن زواجه صلى الله عليه وسلم بها كان في المريسيع قبل رجوعه إلى المدينة، فعنها رضي الله عنها قالت: لما أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن على المريسيع، فأسمع أبي يقول: أتانا ما لا قِبَلَ لنا به، فلبثت أرى من الناس والخيل والسلاح ما لا أصف من الكثرة، فلما أن أسلمت وتزوّجني رسول الله صلى الله عليه وسلم **ورجعنا** جعلت أنظر إلى المسلمين فليسوا كما كنت أرى، فعلمت أنه رعب من الله تعالى يلقيه في قلوب المشركين. أخرجه البيهقي في دلائل النبوة.

وهذا مما يؤيد ما تقدّم من أنه تزوّجها وهم على الماء الذي هو المريسيع، وكان رجل منهم ممن أسلم وحسن إسلامه يقول: لقد كنا نرى رجالاً بيضاً على خيل بلق ما كنا نراهم قبل ولا بعد. أخرجه البيهقي وأبو نعيم.

وهو يدل على أن الملائكة عليهم الصلاة والسلام كانت مدداً لهم في هذه الغزوة.

وكان عمرها رضي الله عنها حينما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين سنة، كما ذكره ابن سعد في الطبقات.

شبهة قد تثار:

قد يثير بعض أعداء الدين بعضاً من الشبه حول زواج النبي صلى الله عليه وسلم من أم المؤمنين جويرية بنت الحارث، ويقفون عند بعض ألفاظ الرواية التي ذكرناها عن السيدة عائشة رضي الله عنها فيؤولونها بتأويلات توافق هواهم، فوجب هنا التنبيه وكشف اللبس ورد الشبهة، فنقول:

إن البعض يأخذ من قول السيدة عائشة رضي الله عنها في الحديث السابق:(وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلْوَةً مُلَاحَةً لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ فَأَتَتْ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا. قَالَتْ: فَوَالله مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي.. فَكَرِهْتُهَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَرَى مِنْهَا مَا رَأَيْتُ).. يأخذ من قولها هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتزوج النساء لجمالهن، وكذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد نظر إلى امرأة أجنبية وأمعن النظر فيها حتى رأى الجمال الذي أعجبه فطلب زواجها، وهذا كلام باطل، والدليل على ذلك:

أولاً: أنه صلى الله عليه وسلم قد رأى أم المؤمنين جويرية من قبل حين قسم السبي، فلو كان الأمر كما يقولون لما دفعها إلى ثابت بن قيس؛ بل اختارها لنفسه.

ثانياً: أنه صلى الله عليه وسلم إنما تزوجها لأنه أراد عتق من سبي من أهلها وهم كثير .

وأني لأتعجب من بعض من يردُّ هذه الشبهة بكلام لا داعي له كقول بعضهم: أنما نظر إليها لأنه أراد الزواج منها، وهو جائز له النظر بهذا القصد، وقول البعض: إنما كانت مملوكة ولو كانت حرة لما نظر إليها، وكل ذلك من التبريرات التي لا داعي لها؛ لأنه لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم نظر إليها أصلا، فلم يرد في الحديث ما يدل على ذلك، إنما كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تخاف من ذلك وهو أمر طبيعي في المرأة تجاه زوجها، وهو من الغيرة التي توجد عند النساء، فهل ورد أنه صلى الله عليه وسلم نظر إليها فأعجب بها، هذا من البهتان والافتراء على سيد الخلق صلى الله عليه وسلم.

بعد أن تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اسمها حيث كانت تسمى بَرَّةَ، فسماها جويرية رضي الله عنها وأرضاها، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:كَانَ اسْمُ جُوَيْرِيَةَ بَرَّةَ فَكَأَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَرِهَ ذَلِكَ فَسَمَّاهَا جُوَيْرِيَةَ كَرَاهَةَ أَنْ يُقَالَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ بَرَّةَ. أخرجه مسلم وأحمد.

وكذلك ميمونة،كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وزينب بنت جحش كان اسم كل منهما برة فغيره، وكذا كان اسم بنت أم سلمة برة فسماها زينب، كما تقدم ذكر ذلك.

فضائلها رضي الله عنها:

من فضائلها رضي الله عنها أنها كانت سببا في بيان حكم إفراد صيام يوم الجمعة، فعَنْ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رضي اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهِيَ صَائِمَةٌ، فَقَالَ:((**أَصُمْتِ أَمْسِ**)). قَالَتْ: لَا، قَالَ: ((**تُرِيدِينَ أَنْ تَصُومِي غَدًا**)) قَالَتْ: لَا، قَالَ: ((**فَأَفْطِرِي**)). أخرجه البخاري وأحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم.

فتبين بذلك أن إفراد يوم الجمعة بصيام مكروه ما لم يصم معه يوما قبله أو يوما بعده.

وقد كانت أم لمؤمنين جويرة بنت الحارث كثيرة الذكر لله تأنس بذكره ومجالس أنسه، فعنها رضي الله عنها قَالَتْ:أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُدْوَةً وَأَنَا أُسَبِّحُ، ثُمَّ انْطَلَقَ لِحَاجَةٍ، ثُمَّ رَجَعَ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ، فَقَالَ:((**مَا زِلْتِ قَاعِدَةً**))، قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ:((**أَلَا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ لَوْ عُدِلْنَ بِهِنَّ عَدَلَتْهُنَّ أَوْ لَوْ وُزِنَّ بِهِنَّ وَزَنَتْهُنَّ**)) يَعْنِي بِجَمِيعِ مَا سَبَّحَتْ((**سُبْحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**)) أخرجه الإمام أحمد.

وقد جاءت رضي الله عنها مرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تشتكي، فقد أخرج الحكام في المستدرك وابن سعد في الطبقات عن مجاهد قال:

قالت جويرية: يا رسول الله إن نساءك يفخرن علي يقلن لم يتزوجك رسول الله- أي أنك ملك يمين له ولستي بزوجةٍ- فقال رسول الله:((**ألم أعظم صداقك، ألم أعتق أربعين من قومك؟**)).

وقد روت أم المؤمنين السيدة جويرية رضي لله عنها سبعة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وفاتها رضي الله عنها:

بقيت أم المؤمنين جويرية عليها رضوان الله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم صابرة محتسبة لله عابدة زاهدة تحن شوقا إلى زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتنتظر حلول ساعة اللقاء حتى وصلت، فأسلمت روحها لباريها في شهر ربيع الأول سنة خمسين من الهجرة كما في (سبل الهدى والرشاد)، وقال ابن سعد في الطبقات: أنها توفيت سنة ست وخمسين.اهـ

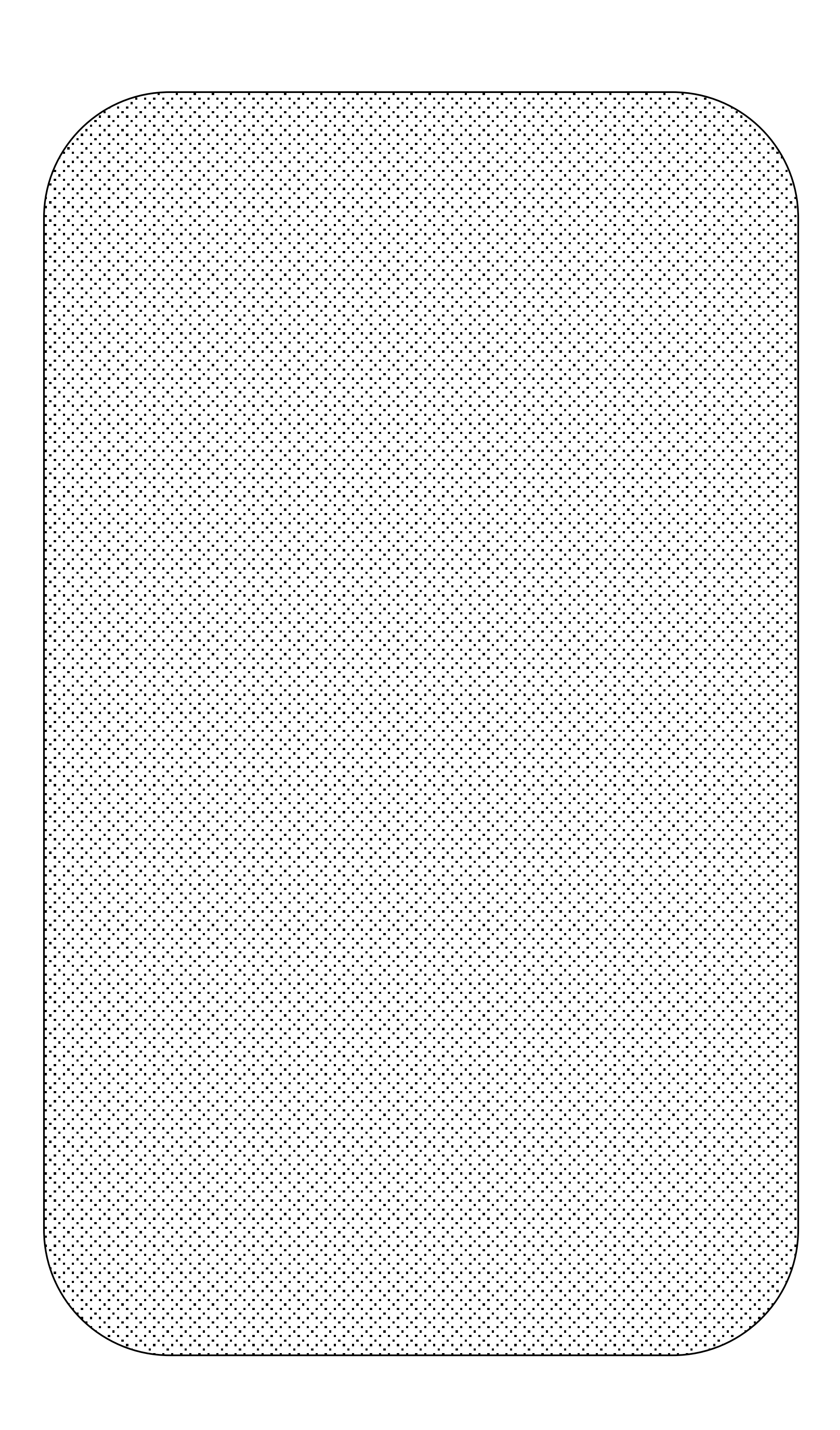
وكان عمرها آنذاك سبعين سنة على المعتمد، وقيل: ست وخمسين سنة، وقيل: ابنة خمس وستين سنة.

وصلى عليها مروان بن الحكم وهو أمير المدينة يومئذٍ.

فرحمها الله رحمة الأبرار ورضي عنها وجمعنا بها في أعلى فراديس الجنان آمين اللهم آمين.



ألثامنة من نسائه صلى اللّه عليه وسلم



أم المؤمنين السيدة صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها وأرضاها

إسمها رضي الله عنها:

هي صفية بنت حيي ابن شعية وفي الإصابة وطرح التثريب بن سَعْنَةَ وفي (الطبقات لابن سعد) بن سعية، ابن ثَعْلَبَةَ بن عامر بْنِ عُبَيْدِ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ أَبِي حَبِيبِ بْنِ النَّضِيرِ بْنِ النَّحَّامِ بْنِ ينحوم، وهو من سبط لؤي بن يعقوب، ثم من ذرية نبي الله ورسوله هارون بن عمران أخي موسى – عليهما الصلاة والسلام.

إسم أمها:

وأمها: برة بنت سَمَوْأَلٍ أخت رفاعة بن سَمَوْأَلٍ من بني قريظة أخوة النضير.

كانت صفية رضي الله عنها زوجا لسَلَامِ بْنِ مُشْكِمٍ القرظي اليهودي، وكان شاعرا، وقد فارقها، فقتل يوم خيبر فتزوجها كِنَانَةُ بن الربيع بن أبي الْحُقَيْقِ النضري صاحب حصن الْقَمُوصِ أمنع حصون خيبر وأمتنها، فقتل عنها يوم خيبر.

قصة زواجه صلى الله عليه وسلم بها:

أختلفت الرواية عند أهل العلم في قصة زواجه صلى الله عليه وسلم من أم المؤمنين صفية على روايات وهي:

الرواية الأولى:

أن رسول الله صلى الله عليه حينما غزا خيبر وفتح حصونها وقتل في ذلك اليوم حيي بن أخطب سيد قومه، وكذلك قتل كما ذكرنا سَلَامِ بْنِ مُشْكِمٍ القرظي اليهودي، و كِنَانَةُ بن الربيع بن أبي الْحُقَيْقِ النضري.. سبى النساء ومن ضمنهن صفية بنت حيي وبنت عم لها من القموص، فأمر بلالا أن يذهب بهما إلى رحله، فمر بهما بلال على قتلى المعركة دون قصد، فلما رأتهم المرأة التي مع صفية صكت وجهها وصاحت وحثت التراب على وجهها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**اعزبوا هذه الشيطانة عني**)) ، وأمر بصفية فجعلت خلفه وغطى عليها ثوبه فعرف الناس أنه اصطفاها لنفسه، وقال لبلال:((**أنزعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على قتلاهما**))، فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم صفي من كل غنيمة، فكانت صفية مما اصطفى يوم خيبر.

وعرض عليها النبي صلى الله عليه وسلم أن يعتقها إن اختارت الله ورسوله، فقالت أختار الله ورسوله، وأسلمت فأعتقها.

جاء في الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فنزعت شيئا كانت عليه جالسة فالقته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم خيرها بين أن يعتقها فترجع إلى من بقي من أهلها أو تسلم فيتخذها لنفسه، فاختارت الله ورسوله فخرج رسول الله من خيبر ولم يعرس بها، وقد حاضت وهي بخيبر، فلم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر حتى طهرت من حيضتها، فلما كان عند رواحه احتقب بعيرها، ثم خرجت معه تمشي حتى ثنى لها ركبته على فخذه، فأجلَّتْ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تضع قدمها على فخذه، فوضعت ركبتها على فخذه فركبت، ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم، وسترها رسول الله وحملها وراءه، وجعل رداءه على ظهرها ووجهها، ثم شده من تحت رجلها وتحمل بها، وجعلها بمنزلة نسائه، ثم سارَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان على ستة اميال من خيبر.. مال يريد أن يعرس بها فابت صفية، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم عليها في نفسه.

فلما كان بالصهباء - وَهِيَ أَدْنَى خَيْبَرَ، كما في البخاري- مال الى دومة، أي: شجر الدوم هناك، فطاوعته فقال: رسول الله، صلى الله عليه

وسلم، لأم سليم: عليكن صاحبتكن فامشطنها، وأراد رسول الله أن يعرس بها هناك. قالت أم سليم: وليس معنا فسطاط ولا سرادقات فأخذتُ كسائين أو عباءتين فسترت بينهما إلى شجرة فمشطتها وعطرتها. قالت أم سنان الأسلمية: وكنت في من حضر عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية مشطناها وعطرناها، وكانت جارية تأخذ الزينة من أوضأ ما يكون من النساء، وما وجدت رائحة طيب كان أطيب من ليلتئذٍ، وما شعرنا حتى قيل رسول الله يدخل على أهله، وقد نمصناها ونحن تحت دومة، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي إليها فقامت إليه، وبذلك أمرناها، فخرجنا من عندهما، وأعرس بها رسول الله هناك وبات عندها، وغدونا عليها وهي تريد أن تغتسل، فذهبنا بها حتى توارينا من العسكر، فقضت حاجتها واغتسلت، فسألتها عما رأت من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فذكرت أنه سُرَّ بها ولم ينم تلك الليلة ولم يزل يتحدث معها، وقال لها: ما حملك على الذي صنعت حين أردت أن أنزل المنزل الأول فأدخل بك؟ فقالت: خشيت عليك قرب يهود، فزادها ذلك عند رسول الله، ويدل ذلك على شديد رحمته صلى الله عليه وسلم وإلا لما خافت عليه وأصحابه وجيشه قتل زوجها وأخوها، وأصبح رسول الله فأولم عليها هناك وما كانت وليمته إلا الحيس - (الحيس: تمر ينزع نواه ويدق مع أقط

ويعجنان بالسمن ثم يدلك باليد حتى يبقى كالثريد وربما جعل معه سويق وهو ما يؤخذ من الشعير والحنطة وغيرها)-، وما كانت قصاعهم إلا الأنطاع- وهوجمع نطع، وهو بساط من الجلد- فتغدى القوم يومئذ، ثم راح رسول الله فنزل بالقبيصة وهي على ستة عشر ميلا.

وقد بات أبو أيوب رضي الله عنه ليلته يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم يدور حول خباء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوطء قال:((**من هذا؟**)) قال: أنا خالد بن زيد، فقال:((**ما لك؟**))،قال: ما نمت هذه الليلة مخافة هذه الجارية عليك، فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرجع.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنها قال: قَالَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي طَلْحَةَ الْتَمِسْ غُلَامًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ يُرْدِفُنِي وَرَاءَهُ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّمَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ:((**اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ**)) فَلَمْ أَزَلْ أَخْدُمُهُ حَتَّى أَقْبَلْنَا مِنْ خَيْبَرَ وَأَقْبَلَ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ قَدْ حَازَهَا، فَكُنْتُ أَرَاهُ يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ أَوْ بِكِسَاءٍ، ثُمَّ يُرْدِفُهَا وَرَاءَهُ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالصَّهْبَاءِ صَنَعَ حَيْسًا فِي نِطَعٍ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَدَعَوْتُ رِجَالًا فَأَكَلُوا، وَكَانَ ذَلِكَ بِنَاءَهُ بِهَا، ثُمَّ

أَقْبَلَ حَتَّى إِذَا بَدَا لَهُ أُحُدٌ قَالَ: ((**هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**)) فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ: ((**اللهمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ جَبَلَيْهَا مِثْلَ مَا حَرَّمَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ اللهمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ**)) أخرجه البخاري وأحمد.

الرواية الثانية:

روى الطبراني بسند جيد عن حسن بن حرب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أفاء الله عليه صفية قال لاصحابه: ((**مَا تَقُوْلُوْنَ فِيْ هَذِهِ الجَارِيَةِ؟**)) قالوا: نقول: إنك أولى الناس بها وأحقهم، قال: ((**فَإِنِّيْ أُعْتِقُهَا وَأَنْكِحَهَا، وَجَعَلْتُ عِتْقَهَا مَهْرَهَا**))، فقال رجل: الوليمة يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**اَلْوَلِيْمَةُ أَوَّلَ يَوْمٍ حَقٌّ، وَالثَّاْنِيَةَ مَعْرُوْفٌ، وَالثَّاْلِثَةَ: فَخْرٌ**)).

وفي رواية: ((**الْوَلِيمَةُ أَوَّلَ يَوْمٍ حَقٌّ وَالثَّانِي مَعْرُوفٌ وَالْيَوْمَ الثَّالِثَ سُمْعَةٌ وَرِيَاءٌ**)) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجة.

وقال محمد بن عمر: وأطعمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ثمانين وسقا تمراً، وعشرين وسقا شعيرا، ويقال قمحا، كما ذكر ذلك ابن سعد في الطبقات.

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: لَمَّا دَخَلَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ عَلَى رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فُسْطَاطَهُ.. حَضَرَ نَاسٌ وَحَضَرْتُ مَعَهُمْ لِيَكُونَ فِيهَا قَسْمٌ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ((**قُومُوا عَنْ أُمِّكُمْ**))، فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْعَشِيِّ حَضَرْنَا، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْنَا فِي طَرَفِ رِدَائِهِ نَحْوٌ مِنْ مُدٍّ وَنِصْفٍ مِنْ تَمْرِ عَجْوَةٍ، فَقَالَ: ((**كُلُوا مِنْ وَلِيمَةِ أُمِّكُمْ**)) أخرجه الإمام أحمد وأبو يعلى.

الرواية الثالثة:

وأما الرواية الثانية في زواجه منها صلى الله عليه وسلم فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزَا خَيْبَرَ، فَصَلَّيْنَا عِنْدَهَا صَلَاةَ الْغَدَاةِ بِغَلَسٍ، فَرَكِبَ نَبِيُّ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَكِبَ أَبُو طَلْحَةَ، وَأَنَا رَدِيفُ أَبِي طَلْحَةَ، فَأَجْرَى نَبِيُّ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي زُقَاقِ خَيْبَرَ وَإِنَّ رُكْبَتِي لَتَمَسُّ فَخِذَ نَبِيِّ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ حَسَرَ الْإِزَارَ عَنْ فَخِذِهِ حَتَّى إِنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ فَخِذِ نَبِيِّ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا دَخَلَ الْقَرْيَةَ قَالَ: ((**الله أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ** ﴿**فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ**﴾ {الصافات: ١٧٧}))

قَالَهَا ثَلَاثًا. قَالَ: وَخَرَجَ الْقَوْمُ إِلَى أَعْمَالِهِمْ فَقَالُوا مُحَمَّدٌ. قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: وَالْخَمِيسُ ،يَعْنِي الْجَيْشَ. قَالَ: فَأَصَبْنَاهَا عَنْوَةً، فَجُمِعَ السَّبْيُ، فَجَاءَ دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ رضي اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ يَا نَبِيَّ الله أَعْطِنِي جَارِيَةً مِنْ السَّبْيِ. قَالَ:((**اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً**)) فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ الله أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ سَيِّدَةَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ. قَالَ:((**ادْعُوهُ بِهَا**)) فَجَاءَ بِهَا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. قَالَ:((**خُذْ جَارِيَةً مِنْ السَّبْيِ غَيْرَهَا**)) قَالَ فَأَعْتَقَهَا النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَزَوَّجَهَا، فَقَالَ لَهُ ثَابِتٌ: يَا أَبَا حَمْزَةَ مَا أَصْدَقَهَا. قَالَ: نَفْسَهَا أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ بِالطَّرِيقِ جَهَّزَتْهَا لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ، فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنْ اللَّيْلِ، فَأَصْبَحَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرُوسًا، فَقَالَ:((**مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَجِئْ بِهِ**)) وَبَسَطَ نِطَعًا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالتَّمْرِ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالسَّمْنِ. قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَدْ ذَكَرَ السَّوِيقَ. قَالَ: فَحَاسُوا حَيْسًا، فَكَانَتْ وَلِيمَةَ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

قال الحافظ بن حجر في الفتح:(قوله: (خذ جارية من السبي غيرها) ذكر الشافعي في الأم عن سير الواقدي أن النبي صلى الله عليه و سلم أعطاه أخت كنانة بن الربيع بن أبي الْحُقَيْقِ. انتهى، وكان كنانة زوج صفية، فكأنه

صلى الله عليه و سلم طيب خاطره لما استرجع منه صفية بأن أعطاه أخت زوجها) اهـ.

شبهة قد تثار:

قد يستنكر بعض أهل الشبه استرجاعَ النبي صلى الله عليه وسلم صفيةَ من دحية بعد أن أعطاه إياها، فالجواب على ذلك ما قاله الحافظ بن حجر العسقلاني في الفتح وهو:(واسترجاع النبي صلى الله عليه و سلم صفية منه محمول على أنه إنما أذن له في أخذ جارية من حشو السبي لا في أخذ أفضلهن، فجاز استرجاعها منه لئلا يتميز بها على باقي الجيش مع إن فيهم من هو أفضل منه) اهـ، وقال كذلك:(فلما قيل للنبي صلى الله عليه و سلم إنها بنت مَلِكٍ من مُلوكهم.. ظهر له أنها ليست ممن توهب لدحية؛ لكثرة من كان في الصحابة مثل دحية وفوقه، وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفاستها، فلو خصه بها لأمكن تغير خاطر بعضهم، فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاص النبي صلى الله عليه و سلم بها فإن في ذلك رضا الجميع، وليس ذلك من الرجوع في الهبة من شيء) اهـ.

وقال في عمدة القاري:(وعن المازري: يحمل ما جرى مع دحية على وجهين، أحدهما: أن يكون رد الجارية برضاه وأذن له في غيرها، الثاني: أنه

إنما أذن له في جارية من حشو السبي لا في أخذ أفضلهن، ولما رأى أنه أخذ أنفسهن وأجودهن نسبا وشرفا وجمالاً.. استرجعها؛ لئلا يتميز دحية بها على باقي الجيش مع أن فيهم من هو أفضل منه، فَقَطَعَ هذه المفاسد وَعَوَّضَهُ عنها) اهـ.

والصحيح: أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتراها من دحية الكلبي كما ورد في الأخبار، فعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْتَرَى صَفِيَّةَ بِسَبْعَةِ أَرْؤُسٍ. أخرجه مسلم وأحمد و بن ماجة وأبو داود وغيرهم.

ومعنى اشترى هنا مجازا، أي: أعطاه حتى لا يظن الواحد أن هناك تعارض بين الخبرين، قال الحافظ ابن حجر:(ووقع في رواية لمسلم أن النبي صلى الله عليه و سلم اشترى صفية منه بسبعة أرؤس، وإطلاق الشراء على ذلك على سبيل المجاز، وليس في قوله سبعة أرؤس ما ينافي قوله هنا خذ جارية إذ ليس هنا دلالة على نفي الزيادة) اهـ.

وقال الإمام النووي في شرحه على صحيح الإمام مسلم:(وَقَوْله: (اِشْتَرَاهَا) أَيْ: أَعْطَاهُ بَدَلهَا سَبْعَة أَنْفُس تَطْيِيبًا لِقَلْبِهِ، لَا أَنَّهُ جَرَى عَقْد بَيْع، وَعَلَى هَذَا تَتَّفِق الرِّوَايَات، وَهَذَا الْإِعْطَاء لِدِحْيَة مَحْمُول عَلَى التَّنْفِيل، فَعَلَى قَوْل مَنْ يَقُول: التَّنْفِيل يَكُون مِنْ أَصْل الْغَنِيمَة لَا إِشْكَال فِيهِ، وَعَلَى قَوْل مَنْ يَقُول: إِنَّ التَّنْفِيل مِنْ خُمْس الْخُمْس يَكُون هَذَا التَّنْفِيل مِنْ خُمْس الْخُمْس

بَعْد أَنْ مُيِّزَ أَوْ قَبْله وَيُحْسَب مِنْهُ، فَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ هُوَ الصَّحِيح الْمُخْتَار) اهـ.

فكان هذا العطاء على سبيل التكرم والتفضل لا على سبيل الاستحقاق، كما قال في (عمدة القاري).

ما كان مهرها؟:

أما مهرها فالصحيح أنه عتقها، حيث أعتقها وجعل عتقها مهرها كما مر في رواية البخاري ومسلم وأحمد وفيها (فَقَالَ لَهُ ثَابِتٌ يَا أَبَا حَمْزَةَ مَا أَصْدَقَهَا؟ قَالَ: نَفْسَهَا أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا).

وقد تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي شابة صغيرة في السن، فعن آمنة بنت أبي قيس الغفارية قالت: أنا إحدى النساء اللاتي زففن صفية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعتها تقول: ما بلغت سبع عشرة سنة يوم دخلت على رسول الله، صلى الله عليه وسلم. أخرجه بن سعد في الطبقات.

وقد بُشرت أم المؤمنين صفية رضي الله عنها وأرضاها بزواجها من النبي صلى الله لعيه وسلم وإنزالها هذا المنزل العظيم قبل حصول كل ذلك، فقد روى الطبراني برجال الصحيح وابن حبان في صحيحه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: كان بعين صفية خضرة، فقال لها رسول الله صلى

الله عليه وسلم ما بعينيك ؟، فقالت: قلت لزوجي إني رأيت فيما يرى النائم كأن قمراً وقع في حجري، فلطمني، وقال: أتريدين ملك يثرب.

وفي رواية ابن حبان: فقالت: كان رأسي في حجر بن أبي حقيق وأنا نائمة، فرأيت كأن قمراً وقع في حجري، فأخبرته بذلك فلطمني، وقال: تمنين ملك يثرب ؟

وفي رواية أخرى عند الطبراني أيضاً: عن أبي برزة رضي الله تعالى عنه قال: لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وصفية عروس فرأت في المنام أن الشمس وقعت على صدرها، فقصتها على زوجها، وفي رواية: على أمها فقال: والله ما تمنين إلا هذا الملك الذي نزل.

قالت: وما كان أبغض إلي من رسول الله قتل أبي وزوجي، فما زال يعتذر إلي، فقال: يا صفية إن أباك ألب علي العرب وفعل وفعل حتى ذهب ذاك من نفسي.

وفي رواية أخرجها بن سعد في الطبقات عن حميد بن هلال قال: قالت صفية بنت حيي: رأيت كأني وهذا الذي يزعم أن الله أرسله وملك يسترنا بجناحه. قال فردوا عليها رؤياها وقالوا لها في ذلك قولا شديدا.

ثم رجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد زواجه بها فأنزلها في بيت من بيوت حارثة بن النعمان، فسمع بها نساء الأنصار

وبجمالها، فجئن ينظرن إليها، وجاءت عائشة متنقبة حتى دخلت عليها فعرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما خرجت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أثرها فقال:((**كيف رأيتها يا عائشة؟**)) قالت: رأيت يهودية. قال:((**لا تقولي هذا يا عائشة، فإنها قد أسلمت فحسن إسلامها**)).

أخرجه بن سعد في الطبقات.

وفي رواية عن أم سنان الأسلمية قالت: لما نزلنا المدينة لم ندخل منازلنا حتى دخلنا مع صفية منزلها، وسمع بها نساء المهاجرين والأنصار، فدخلن عليها متنكرات فرأيت أربعا من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم متنقبات: زينب بنت جحش، وحفصة، وعائشة، وجويرية، فأسمع زينب تقول لجويرية: يا بنت الحارث ما أرى هذه الجارية إلا ستغلبنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت جويرية: كلا إنها من نساء قل ما يحظين عند الأزواج. أخرجه بن سعد في الطبقات.

وعن عبد الله بن عمر قال: لما اجتلى النبي صلى الله عليه وسلم صفية.. رأى عائشة متنقبة في وسط الناس فعرفها، فأدركها، فأخذ بثوبها فقال:((**يا شقيراء كيف رأيت؟**)) قالت: رأيت يهودية بين يهوديات. أخرجه ابن سعد في الطبقات.

وأخرج بن سعد في الطبقات قال: أخبرنا معن بن عيسى، حدثنا مخرمة بن بكير عن أبيه عن سعيد بن المسيب قال: قدمت صفية بنت حيي في أذنيها خرصة من ذهب فوهبت منه لفاطمة ولنساء معها.

مكانتها رضي الله عنها:

مما هو معروف.. مسألة الغيرة بين النساء، وخصوصا عندما يكنّ متزوجات من رجل واحد، وأخص الخصوص عندما يكون هذا الرجل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمما لا شك أن يظهر التفاخر بينهن من قربهن من زوجهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأم المؤمنين حفصة رضي الله عنها يفتخرن على أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها ويقلن أنهن من بني عمومة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنهن أقرب زوجاته إليه نسباً، وكان هذا الأمر يزعج أم المؤمنين صفية رضي الله عنها، فقد روى ابن سعد عن صفية رضي الله تعالى عنها قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي، فقال:((**يابنة حيي ما يبكيك؟**)) قالت: بلغني أن حفصة وعائشة ينالان مني، ويقولان: نحن خير منها، نحن بنات عم رسول الله صلى الله عليه

وسلم وأزواجه، قال:((**ألا قلت لهن كيف تكن خيرا مني وأبي هارون، وعمي موسى، وزوجي محمد صلى الله عليه وسلم**)).

فانظروا كيف يعالج رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمور بكل هدوء وبساطة ، ولا يثير النفوس ولا يأنبها على بعضها البعض، ولا يزيد في المشكلة كما يفعل البعض من الرجال اليوم .

وورد في لسان الميزان للحافظ بن حجر عن صفيه بنت حيي رضي الله عنه قالت: قلت يا رسول الله ليس من نسائك أحد إلا ولها عشيرة تلجأ إليها غيري، فإن حدث بك حدث إلى من الجأ؟ قال:((**إلى علي**)).

عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَّ بِنِسَائِهِ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ.. نَزَلَ رَجُلٌ فَسَاقَ بِهِنَّ فَأَسْرَعَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**كَذَاكَ سَوْقُكَ بِالْقَوَارِيرِ؟!**)) يَعْنِي النِّسَاءَ، فَبَيْنَا هُمْ يَسِيرُونَ.. بَرَكَ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ جَمَلُهَا، وَكَانَتْ مِنْ أَحْسَنِهِنَّ ظَهْراً، فَبَكَتْ وَجَاءَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أُخْبِرَ بِذَلِكَ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ دُمُوعَهَا بِيَدِهِ، وَجَعَلَتْ تَزْدَادُ بُكَاءً وَهُوَ يَنْهَاهَا، فَلَمَّا أَكْثَرَتْ زَبَرَهَا وَانْتَهَرَهَا، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالنُّزُولِ فَنَزَلُوا، وَلَمْ يَكُنْ يُرِيدُ أَنْ يَنْزِلَ. قَالَتْ: فَنَزَلُوا وَكَانَ يَوْمِي، فَلَمَّا نَزَلُوا ضُرِبَ خِبَاءُ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَخَلَ فِيهِ. قَالَتْ:فَلَمْ أَدْرِ عَلَامَ أُهْجَمُ مِنْ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

وَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ مِنِّي، فَانْطَلَقْتُ إِلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ لَهَا: تَعْلَمِينَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَبِيعُ يَوْمِي مِنْ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ أَبَداً وَإِنِّي قَدْ وَهَبْتُ يَوْمِي لَكِ عَلَى أَنْ تُرْضِي رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِّي. قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ فَأَخَذَتْ عَائِشَةُ خِمَاراً لَهَا قَدْ ثَرَدَتْهُ بِزَعْفَرَانٍ فَرَشَّتْهُ بِالْمَاءِ لِيُذَكِّيَ رِيحَهُ، ثُمَّ لَبِسَتْ ثِيَابَهَا، ثُمَّ انْطَلَقَتْ إِلَى رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَفَعَتْ طَرَفَ الْخِبَاءِ، فَقَالَ لَهَا:((**مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ إِنَّ هَذَا لَيْسَ بِيَوْمِكِ**)). قَالَتْ ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، فَقَالَ:((**مَعَ أَهْلِهِ**))، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الرَّوَاحِ.. قَالَ لِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ:((**يَا زَيْنَبُ أَفْقِرِي أُخْتَكِ صَفِيَّةَ جَمَلًا**))، وَكَانَتْ مِنْ أَكْثَرِهِنَّ ظَهْراً، فَقَالَتْ: أَنَا أُفْقِرُ يَهُودِيَّتَكَ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهَا فَهَجَرَهَا، فَلَمْ يُكَلِّمْهَا حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ وَأَيَّامَ مِنًى فِي سَفَرِهِ حَتَّى رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَالْمُحَرَّمَ وَصَفَرَ، فَلَمْ يَأْتِهَا وَلَمْ يَقْسِمْ لَهَا، وَيَئِسَتْ مِنْهُ، فَلَمَّا كَانَ شَهْرُ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ دَخَلَ عَلَيْهَا فَرَأَتْ ظِلَّهُ، فَقَالَتْ: إِنَّ هَذَا لَظِلُّ رَجُلٍ، وَمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنْ هَذَا؟ فَدَخَلَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله مَا أَدْرِي مَا أَصْنَعُ حِينَ دَخَلْتَ عَلَيَّ. قَالَتْ: وَكَانَتْ لَهَا جَارِيَةٌ وَكَانَتْ تَخْبَؤُهَا مِنْ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: فُلَانَةُ لَكَ، فَمَشَى النَّبِيُّ صلى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَرِيرِ زَيْنَبَ، وَكَانَ قَدْ رُفِعَ، فَوَضَعَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَصَابَ أَهْلَهُ وَرَضِيَ عَنْهُمْ. أخرجه الإمام أحمد.

وروينا أن جارية لها أتت عمر بن الخطاب فقالت: إن صفية تحب السبت وتصل اليهود، فبعث إليها عمر فسألها، فقالت: أما السبت فإني لم أحبه منذ أبدلني الله به يوم الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً وأنا أصلها. قال: ثم قالت للجارية: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: الشيطان. قالت: اذهبي فأنت حرة.

ولقد كانت لأم المؤمنين صفية بن حيي معزة كبيرة في قلب النبي صلى الله عليه وسلم حتى أنه ترك اعتكافه من أجلها، فعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ أَنَّ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ زَوْجَ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا جَاءَتْ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزُورُهُ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْعَشْرِ الْغَوَابِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً مِنْ الْعِشَاءِ، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ، فَقَامَ مَعَهَا النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْلِبُهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ الَّذِي عِنْدَ مَسْكَنِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. مَرَّ بِهِمَا رَجُلَانِ مِنْ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ نَفَذَا؟، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**)) قَالَا: سُبْحَانَ الله يَا رَسُولَ الله، وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا مَا قَالَ، فقال: ((**إِنَّ الشَّيْطَانَ**

يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَبْلَغَ الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا)). أخرجه البخاري وابن ماجة.

وعن عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:أَنَّ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ زَوْجَ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاضَتْ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((أَحَابِسَتُنَا هِيَ))، فَقُلْتُ: إِنَّهَا قَدْ أَفَاضَتْ يَا رَسُولَ اللهِ وَطَافَتْ بِالْبَيْتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((فَلْتَنْفِرْ)). أخرجه البخاري ومسلم وأحد وغيرهم.

ولقد كانت أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها وأرضاها ذات كرم وزهد في الدنيا، فكانت تبذل ولا تبالي، وكانت لها دار فتصدقت بها في حياتها.

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: ورثت صفية مائة ألف درهم بقيمة أرض وعرض، فأوصت لابن أختها- وهو يهودي- بثلثها. قال أبو سلمة: فأبوا يعطونه حتى كلمت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فأرسلت إليهم: (اتقوا الله وأعطوه وصيته)، فأخذ ثلثها وهو ثلاثة وثلاثون ألف درهم ونيف.

ولقد كانت أم المؤمنين صفية عليها رضوان الله تعالى ذات تعلق ومحبة بالحبيب صلى الله عليه وسلم، صادقة في محبتها وتعلقها،فعن زيد بن

أسلم: أن نبي الله في وجعه الذي توفي فيه، قالت صفية بنت حيي: والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي.

فغمزها أزواجه ؛ فأبصرهن.

فقال:((**مضمضن**)).

قلن: من أي شيء ؟ قال:((**من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة**)).أخرجه ابن سعد في الطبقات.

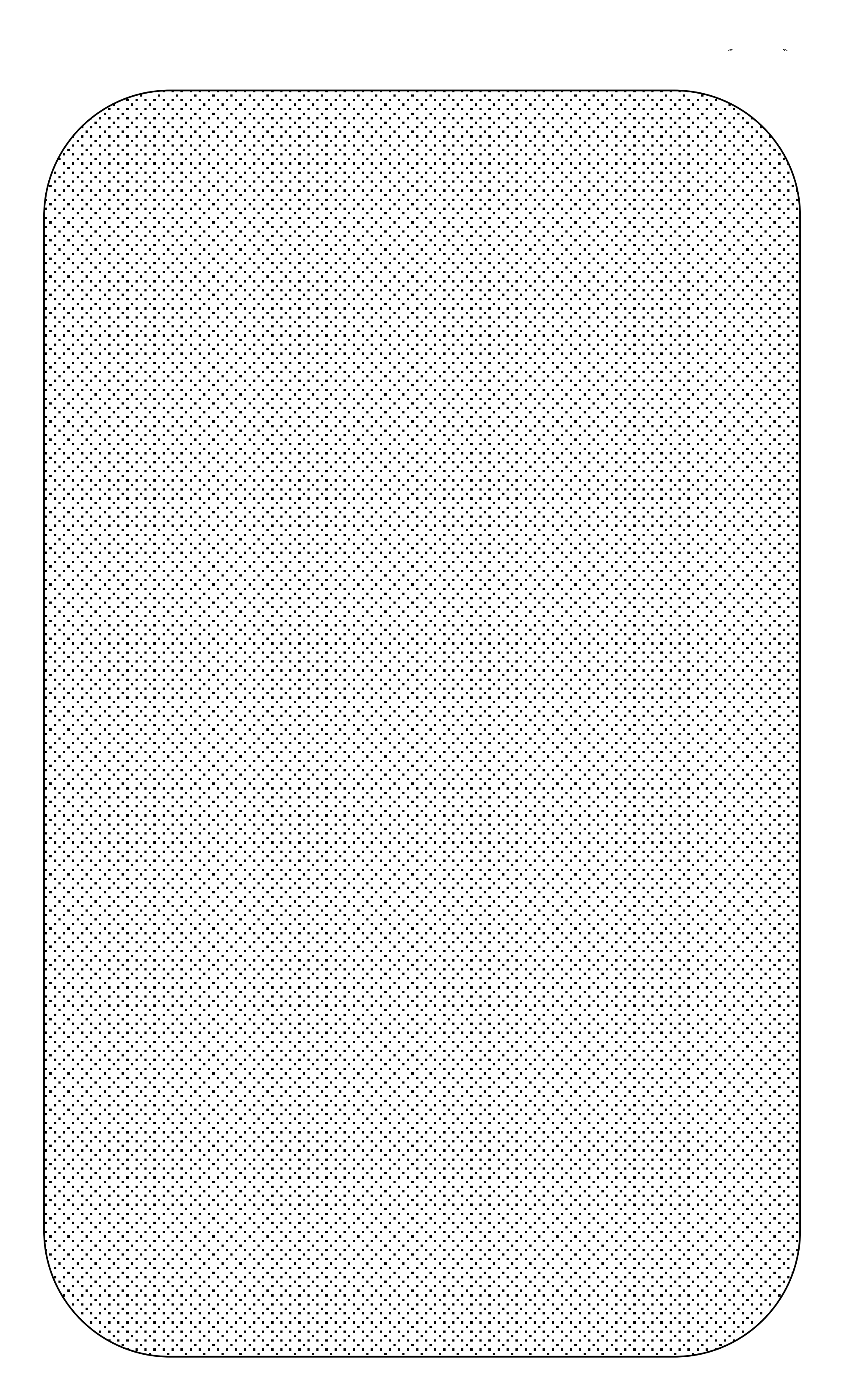
وفاتها رضي الله عنها:

بعد وفاة رسول الله صل الله عليه وسلم بقيت أم المؤمنين صفية رضي الله عنها صابرة محتسبة عابدة لربها حتى ناداها مناد اللحوق بزوجها، فلبت بشوق مسرعة مهرولة للقاء المحبوب، وكانت وفاتها رضي الله عنها في شهر رمضان سنة خمسين من الهجرة، وقيل: سنة اثنين وخمسين، وقيل: ست وثلاثين من الهجرة، ودفنت بالبقيع رضي الله عنها وأرضاها وجمعنا الله بها في أعلا فراديس الجنان آمين اللهم آمين.



ألتاسعة من نسائة صلى اللّه عليه وسلم



أم المؤمنين السيدة رملة بنت أبي سفيان بن حرب رضي الله عنها

اسمها رضي الله عنها:

هي أُمّ الْمُؤْمِنِينَ الطاهرة العفيفة السيدة أُمّ حَبِيبَة رَمْلَة بِنْت أَبِي سُفْيَان صَخْر بْن حَرْب بن أمية بن عبد شمس.

وليس في الصحابيات من اسمها رملة غيرها، كما في عمدرة القاري.

أمها رضي الله عنها:

أُمّهَا: صَفِيَّة بِنْت أَبِي الْعَاصِ بن أمية بن عبد شمس عمة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه.

ولادتها رضي الله عنها:

ولدت أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان بمكة المكرمة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بسبعة عشر عاماً، أي: وعمر النبي صلى الله عليه وسلم ما يقارب الثلاثة والعشرين سنة.

حالها قبل زواجها من النبي صلى الله عليه وسلم:

كأنت أم المؤمنين رملة عليها رضوان الله زوجاً لعبيدالله بن جحش بن رياب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف حرب بن أمية، وهو أخو أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها وأرضاها، وهاجر بها مسلما إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، وولدت له ابنته حبيبة، وبها كانت تكنى (أم حبيبة)، وأختلف أهل السير في مكان ولادتها فقيل: في مكة قبل الهجرة، وقيل: أنها هاجرت وهي حامل بها فولدت في أرض الحبشة.

قال ابن سعد في الطبقات:((وكانت قد خرجت بابنتها حبيبة بنت عبيد الله بن جحش معها في الهجرة إلى أرض الحبشة ورجعت بها معها إلى مكة.

أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد الأخنسي أن أم حبيبة بنت أبي سفيان ولدت حبيبة ابنتها من عبيد الله بن جحش بمكة قبل أن تهاجر إلى أرض الحبشة، قال عبد الله بن جعفر: وسمعت إسماعيل بن محمد بن سعد يقول: ولدتها بأرض الحبشة.

قال محمد بن عمر: فأخبرني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد عن أبيه قال: خرجت من مكة وهي حامل بها فولدتها بأرض الحبشة)) أهـ.

وتزوج حبيبة بعد ذلك داود بن عروة بن مسعود الثقفي.

ولما وصلت أم حبيبة رضي الله عنها مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة.. تغير حاله وأرتد عن الإسلام إلى النصرانية، فَكَانَ إِذَا مَرّ بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ فَتّحْنَا وَصَأْصَأْتُمْ، أَيْ: قَدْ أَبْصَرْنَا وَأَنْتُمْ تَلْتَمِسُونَ الْبَصَرَ وَلَمْ تُبْصِرُوا بَعْدُ ، وَذَلِكَ أَنّ وَلَدَ الْكَلْبِ إذَا أَرَادَ أَنْ يَفْتَحَ عَيْنَيْهِ لِلنّظَرِ صَأْصَأَ قَبْلَ ذَلِكَ، فَضَرَبَ ذَلِكَ لَهُ وَلَهُمْ مَثَلًا: أَيْ أَنّا قَدْ فَتّحْنَا أَعْيُنَنَا فَأَبْصَرْنَا، وَلَمْ تَفْتَحُوا أَعْيُنَكُمْ فَتُبْصِرُوا، وَأَنْتُمْ تَلْتَمِسُونَ ذَلِكَ.

ولقد رأت أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها في منامها ما يخبرها بتغير حال زوجها، فقد أخرج الإمام الحاكم أن أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها وأرضاها قالت: رأيت في المنام كأن عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورة و أشوهها، ففزعت، فقلت: تغيرت و الله حاله، فإذا هو يقول حين أصبح: يا أم حبيبة إني نظرت في الدين، فلم أر دينا خيراً من النصرانية وكنت قد دنت بها، ثم دخلتُ في دين محمد، ثم

رجعتُ إلى النصرانية، فقلت – أي أم حبيبة-: و الله ما خير لك، و أخبرته بالرؤيا التي رأيت له، فلم يحفل بها، و أكب على الخمر حتى مات.

فقتلته الخمر ومات مرتداً والعياذ بالله تعالى.

وبقيت أم المؤمنين رملة عليها رضوان الله وحيدة في أرض الغربة في محنة قاسية تعاني قسوة البعد والوحدة، وتسعى على تربية ابنتها عليها رضوان الله، وقد عانت معاناة قاسية من محاولة زوجها تنصيرها غير أنها ثبتت عل الإسلام بتوفيق الحق تعالى في علاه، فأغلقت الأبواب على نفسها وبقيت في عزلة تامة، تتعبد الله تعالى، راضية بحكمه وقضائه، وكانت تبكي كلما نظرت إلى وجه طفلتها البريئة المسكينة التي أصبحت أمها مسلمة وجدها وثنياً، ومات أبوها نصرانياً، وكانت في حيرة لا تدري ماذا تفعل وسط هذه الحياة القاسية بلا مُعِيل، ولا تستطيع العودة إلى مكة؛ لأنها إن فكرت في العودة إلى مكة فهي تفكر في الشقاء والعذاب الذي ينتظرها إن عادت، فبقيت صابرة محتسبة لله.

قصة زواجه بها صلى الله عليه وسلم بها:

لما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة ما تعانيه وشدة ما تتعرض له.. أراد تخليصها من كل ذلك كي تعيش مكرمة معززة في غربتها قبل وصولها إلى أرض المدينة، فقرر الزواج منها؛ لأنه لو تزوجها فإنها ستكون مسئولة منه، وسيحفظ لها مكانتها عند الناس، وستُقَابَل بكل تقدير وتبجيل؛ لأنها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بَعَثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عَمْرو بْن أُمَيَّة الضَّمْرِيّ إِلَى النَّجَاشِيّ لِيَخْطُبهَا عَلَيْهِ، وكان النجاشي قد أسلم، فأَرْسَلَ إِلَيْهَا النجاشي جَارِيَته أَبْرَهَة فَقَالَتْ: إِنَّ الْمَلِك يَقُول لَك إِنَّ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ إِلَيَّ أَنْ أُزَوِّجَك، و قالت: يقول لك الملك: وكلي من يزوجك، فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته، وقيل: الوليد بن سعيد وهم أولاد عم أبيها بإذنها.

وقيل: أنها وكلت سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، لكن قال في سبل الهدى والرشاد:((وليس بصواب؛ لأن عثمان كان مقدمه من الحبشة قبل وقعة بدر، وهي ابنة عمته.

وقال البيهقي: إن الذي زوجها خالد بن سعيد بن العاص رضي الله تعالى عنه وهو ابن عم أبيها، لان العاص بن أمية عم أبي سفيان بن حرب بن أمية، وروي النجاشي ويحتمل أن يكون النجاشي هو الخاطب، والعاقد إما عثمان أو خالد بن سعيد بن العاص)) اهـ.

وقَبِلَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيله عَمْرو بْن أُمَيَّة الضَّمْرِيّ.

ولما كلمتها جارية النجاشي أبرهة.. أَعْطَتْ أم المؤمنين رملةُ أَبْرَهَةَ سِوَارَيْنِ وخدمتين كانتا في رجليها، وَخَاتَم فِضَّة سُرُورًا بِمَا بَشَّرَتْهَا بِهِ، فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيّ. أَمَرَ النَّجَاشِيّ جَعْفَر بْن أَبِي طَالِب وَمَنْ هُنَاكَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَحَضَرُوا، فَخَطَبَ النَّجَاشِيّ، فَقَالَ:(الْحَمْد لله الْمَلِك الْقُدُّوس السَّلَام الْمُؤْمِن الْمُهَيْمِن الْعَزِيز الْجَبَّار، أَشْهَد أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْده وَرَسُوله، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِين الْحَقّ لِيَظْهَرهُ عَلَى الدِّين كُلّه وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ . أَمَّا بَعْد، فَقَدْ أَجَبْت إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ أَصْدَقْتهَا أَرْبَع مِائَة دِينَار ذَهَبًا)، ثُمَّ صَبَّ الدَّنَانِير بَيْن يَدَيْ الْقَوْم ،- وقيل: كان الصداق أربعة آلاف درهم، وقيل: مِائَتَيْ دِينَار - فَتَكَلَّمَ خَالِد بْن سَعِيد، فَقَالَ:(الْحَمْد لله أَحْمَدهُ وَأَسْتَعِينهُ، وَأَشْهَد أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله وَحْده لَا شَرِيك لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْده وَرَسُوله أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِين الْحَقّ لِيُظْهِرهُ عَلَى

الدِّين كُلّه وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ . أَمَّا بَعْد، فَقَدْ أَجَبْت إِلَى مَا دَعَا رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَزَوْجَته أُمّ حَبِيبَة بِنْت أَبِي سُفْيَان، فَبَارَكَ الله لِرَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَدَفَعَ الدَّنَانِير إِلَى خَالِد بْن سَعِيد بْن الْعَاصِ فَقَبَضَهَا، ثُمَّ أَرَادُوا أَنْ يَقُومُوا فَقَالَ: اِجْلِسُوا، فَإِنَّ سُنَّة الْأَنْبِيَاء إِذَا تَزَوَّجُوا أَنْ يُؤْكَل طَعَام عَلَى التَّزْوِيج، فَدَعَا بِطَعَامٍ فَأَكَلُوا، ثُمَّ تَفَرَّقُوا.

وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَة سَبْع مِنْ الْهِجْرَة، وقيل: سنة ست من الهجرة، وكان عمرها رضي الله عنها قريب أربعين سنة.

قالت أم حبيبة: فلما وصل إلي المال أرسلت إلى أبرهة التي بشرتني فقلت لها: إني كنت أعطيتك ما أعطيتك يومئذ ولا مال بيدي، فهذه خمسون مثقالا فخذيها فاستعيني بها، فأبت، فأخرجتْ حقا فيه كل ما كنت أعطيتها فردته علي وقالت: عزم علي الملك أن لا أرزأك شيئا وأنا التي أقوم على ثيابه ودهنه، وقد اتبعت دين محمد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأسلمت لله، وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر. قالت فلما كان الغد جاءتني بعود وورس وعنبر وزباد كثير فقدمت بذلك كله على النبي صلى الله عليه وسلم فكان يراه علي وعندي فلا ينكره، ثم قالت أبرهة لأم المؤمنين رملة: فحاجتي إليك أن تقرئي رسول الله مني السلام، وتعلميه أني قد اتبعت دينه. قالت: ثم لطفت بي وكانت التي جهزتني،

فكانت كلما دخلت علي تقول: لا تنسي- حاجتي إليك.- فانظروا إلى هذا الحرص في وصول السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت فلما قدمت على رسول الله أخبرته كيف كانت الخطبة وما فعلت بي أبرهة، فتبسم رسول الله، وأقرأته منها السلام فقال:((**وعليها السلام ورحمة الله وبركاته**)). أخرج ذلك الحاكم وابن سعد في الطبقات.

وقد رأت أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها في منامها قبل زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبشرها بذلك، فقد أخرج الحاكم وغيره عنها رضي الله عنها أنها قالت:((فأرى في النوم كأن آتيا يقول لي: يا أم المؤمنين، ففزعت، و أولتها أن رسول الله صلى الله عليه و سلم يتزوجني قالت: فما هو إلا أن انتقضت عدتي فما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن)).

وجهزها النجاشي من عنده، وأرسلها مع شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقيل: أن زواجه صلى الله عليه وسلم بها كان في المدينة بعد رجوها من الحبشية، **والأول هو الصحيح**.

ويجمع بعض أهل العلم بين هذه الأقوال بإن النبي صلى الله عليه وسلم جدد عقده بها في المدينة كما في السيرة الحلبية حيث قال:((وقيل:

تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وعليه يحمل ما في كلام العامري أن النبي صلى الله عليه وسلم جدد نكاح أم حبيبة رضي الله تعالى عنها بنت أبي سفيان رضي الله تعالى عنه تطييباً لخاطره)) اهـ.

وقد ورد في الحديث عند مسلم عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَا يَنْظُرُونَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَلَا يُقَاعِدُونَهُ، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا نَبِيَّ الله ثَلَاثٌ أَعْطِنِيهِنَّ، قَالَ:((نَعَمْ))، قَالَ: عِنْدِي أَحْسَنُ الْعَرَبِ وَأَجْمَلُهُ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ أُزَوِّجُكَهَا، قَالَ:((نَعَمْ))، قَالَ: وَمُعَاوِيَةُ تَجْعَلُهُ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْكَ، قَالَ:((نَعَمْ))، قَالَ وَتُؤَمِّرُنِي حَتَّى أُقَاتِلَ الْكُفَّارَ كَمَا كُنْتُ أُقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ:((نَعَمْ))

قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: وَلَوْلَا أَنَّهُ طَلَبَ ذَلِكَ مِنْ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَاهُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا قَالَ: (نَعَمْ)، ففي هذا الحديث ما يخالف ما ذكرنا وما ذكره أهل السير، والجواب على ذلك ما ذكره الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم حيث قال:((يَحْتَمِل أَنَّهُ سَأَلَهُ تَجْدِيد عَقْد النِّكَاح تَطْيِيبًا لِقَلْبِهِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ رُبَّمَا يَرَى عَلَيْهَا غَضَاضَة مِنْ رِيَاسَته وَنَسَبه أَنْ تُزَوَّج اِبْنَته بِغَيْرِ رِضَاهُ، أَوْ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ إِسْلَام الْأَب فِي مِثْل هَذَا يَقْتَضِي تَجْدِيد الْعَقْد، وَقَدْ خَفِيَ أَوْضَحُ مِنْ هَذَا عَلَى أَكْبَر مَرْتَبَة مِنْ أَبِي سُفْيَان مِمَّنْ كَثُرَ عِلْمه وَطَالَتْ صُحْبَته . هَذَا كَلَام أَبِي عَمْرو رَحِمَهُ الله، وَلَيْسَ فِي الْحَدِيث أَنَّ

النَّبِيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَدَّدَ الْعَقْد، وَلَا قَالَ لِأَبِي سُفْيَان إِنَّهُ يَحْتَاج إِلَى تَجْدِيده، فَلَعَلَّهُ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ بِقَوْلِهِ: نَعَمْ أَنَّ مَقْصُودك يَحْصُل وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِحَقِيقَةِ عَقْد)) اهـ.

وقال لحافظ المنذري:((يكون أبو سفيان ظن أن بما حصل له من الاسلام تجددت له عليها ولاية، فأراد تجديد العقد يوم ذلك لا غير)) اهـ، ولم يرتض هذا بعض أهل العلم.

وجاء في بعض الأخبار أن الذي أولم في زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها هو سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهنا إشكال، حيث أن سيدنا عثمان قد رجع من الحبشة إلى المدينة قبل غزوة بدر كما أسلفنا، والجواب على ذلك أنه أولم بعد مجيء أم المؤمنين أم حبيبة إلى المدينة المنورة، أو أنه تكفل بالوليمة حيث أولم لحما وثريدا، وفي رد القول بأن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنها هو الذي عقدلها.. قال الحافظ ابن حجر في الإصابة:(وهذا بعيد، فإن ثبت فيكون العقد عليها كان قبل الهجرة الى المدينة، أو يكون عثمان جدده بعد أن قدمت المدينة، وعلى ذلك يحمل قول من قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم إنما تزوجها بعد أن قدمت المدينة روي ذلك عن قتادة قال: وعمل لهم عثمان وليمة لحم، وكذا حكي عن عقيل عن الزهري، وفيما ذُكر عن قتادة ردٌّ على دعوى بن حزم

الإجماع على أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما تزوج أم حبيبة وهي بالحبشة وقد تبعه على ذلك جماعةٌ أخرهم أبو الحسن بن الأثير في (أُسد الغابة)، فقال: لا اختلاف بين أهل السير في ذلك إلا ما وقع عند مسلم أن أبا سفيان لما أسلم طلب منه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه إياها فأجابه الى ذلك.

وهو وهم من بعض الرواة، وفي جزمه بكونه وهماً نظر، فقد أجاب بعض الأئمة باحتمال أن يكون أبو سفيان أراد تجديد العقد نعم.

لا خلاف أنه صلى الله عليه وسلم دخل على أم حبيبة قبل إسلام أبي سفيان) انتهى كلام الحافظ.

وقال الماوردي: وقيل أنه عند زواجه صلى الله عليه وسلم من أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها نزل عليه قوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ {الممتحنة: ٧}.

وعندما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبوها أبو سفيان لا يزال على كفره، وكان يحارب النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروه أن محمداً قد تزوج ابنتك رملة قال:(ذَلِكَ الْفَحْل لَا يُقْدَع أَنْفه)، أي لا يضرب أنفه لكونه كريماً، لأن غير الكريم إذا أراد ركوب الناقة الكريمة يضرب أنفه ليرتدع، وفي لسان العرب: قال ابن الأَثير يقال قَدَعْتُ الفحل وهو أَن

يكون غير كريم، فإذا أَراد ركوب الناقة الكريمة.. ضُرِبَ أَنفه بالرمح أَو غيره حتى يرتدع ويَنْكَفَّ، ويروى بالراء، أي: يقرع، أي: كريم يروم كريمة فلا سبيل إلى التعرض له دونها وصده عنها وهو أشرف أكفائها.

وعندما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر منتصراً فرحاً.. ظهر له ما يزيد فرحه فقد رجعت سفينتان من الحبشة تحمل من بقي من المسلمين فيها، ومن ضمنهم ابن عمه جعفر بن أبي طالب الذي قال له:((**أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي**)) أخرجه البخاري وأحمد والترمذي والنسائي وغيرهم، وقال لما أن رآه :((**ما أدري بأيهما أنا افرح بقدوم جعفر أو بفتح خيبر**))، **ثم تلقاه والتزمه وقبل ما بين عينيه**)) أخرجه ابن أبي شيبة والحاكم.

وحين أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعرض المسلمين الذي عادوا من محنة الغربة.. وقعت عيناه على أم حبيبة رضي الله عنها وأرضاها وهي منتظرة ساعة اللقاء بفارغ الصبر، فابتسم لها صلى الله عليه وسلم ورحب بها، وأمر بلالاً أن يأخذ بخطام بعيرها وينزلها منزلها الذي أمر به صلى الله عليه وسلم.

عاشت أم المؤمنين أم حبيبة مع زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم حياة المحبة والإخلاص الكامل، والود الخالص، والموالاة في الله والبغض في الله متحققة بقوله تعالى ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ

ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ {المجادلة: ٢٢}.

ويتجلى ذلك ظاهراً جلياً في قصتها مع أبيها عندما كان على الكفر، وما حصل من دخول بني بكر في حلف قريش ودخول خزاعة في حلف النبي صلى الله عليه وسلم بعد صلح الحديبية حيث كان من بنود الصلح: من أرد الدخول في عهد محمد دخل، ومن أراد الدخول في عهد قريش دخل.

ثم تَظَاهَرَتْ بَنُو بَكْرٍ وَقُرَيْشٌ عَلَى خُزَاعَةَ، وَأَصَابُوا مِنْهُمْ مَا أَصَابُوا، وَنَقَضُوا مَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ بِمَا اسْتَحَلّوا مِنْ خُزَاعَةَ، وَكَانَ فِي عَقْدِهِ وَعَهْدِهِ، فخَرَجَ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ الْخُزَاعِيّ، ثُمّ أَحَدُ بَنِي كَعْبٍ حَتّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَدِينَةَ، وَكَانَ ذَلِكَ مِمّا هَاجَ فَتْحَ مَكّةَ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ ظَهْرَانِيّ النّاسِ فَقَالَ:

يَا رَبّ إنّي نَاشِدٌ مُحَمّدًا	حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا
قَدْ كُنْتُمْ وُلْدًا وَكُنّا وَالِدًا	ثُمّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا

فَانْصُرْ هَـدَاكَ اللهُ نَصْرًا أَعْتَدَا ... وَادْعُ عِبَـادَ اللهِ يَـأْتُوا مَـدَدَا

فِـيهِمْ رَسُـولُ اللهِ قَـدْ تَجَـرَّدَا ... إنْ سِيمَ خَسْفًا وَجْهُهُ تَرَبَّدَا

فِي فَيْلَقٍ كَـالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِدًا ... إنّ قُرَيْشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا

وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُوَكَّدَا ... وَجَعَلُوا لِي فِي كَـدَاءٍ رُصَّدَا

وَزَعَمُوا أَنْ لَسْت أَدْعُو أَحَدًا ... وَهُمْ أَذَلّ وَأَقَلّ عَـدَدَا

هُمْ بَيّتُونَا بِـالْوَتِيرِ هُجّدًا ... وَقَتَلُونَا رُكّعًا وَسُجّدَا

يَقُولُ قُتِلْنَا وَقَدْ أَسْلَمْنَا . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُرْوَى أَيْضًا: فَانْصُرْ هَدَاكَ اللهُ نَصْرًا أَيّدَا، وقَالَ ابْنُ هِشَامٍ أيضاً: وَيُرْوَى أَيْضًا: نَحْنُ وَلَدْنَاكَ فَكُنْت وَلَدًا، يُرِيدُ أَنّ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أُمّهُمْ مِنْ خُزَاعَةَ، وَكَذَلِكَ قُصَيٍّ أُمّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ سَعْدٍ الْخُزَاعِيّةُ وَالْوُلْدُ بِمَعْنَى الْوَلَدِ . وَقَوْلُهُ ثُمّتَ أَسْلَمْنَا، هُوَ مِنْ السّلْمِ لِأَنّهُمْ لَمْ يَكُونُوا آمَنُوا بَعْدُ غَيْرَ أَنّهُ قَالَ رُكّعًا وَسُجّدَا، فَدَلّ عَلَى أَنّهُ كَانَ فِيهِمْ مَنْ صَلّى لله فَقُتِلَ.

والْوَتِيرَ: وَهُوَ اسْمُ مَاءٍ مَعْرُوفٍ فِي بِلَادِ خُزَاعَةَ، وَالْوَتِيرُ فِي اللّغَةِ الْوَرْدُ الْأَبْيَضُ وَقَدْ يَكُونُ مِنْهُ بَرّيّ، فَمُحْتَمَلٌ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَاءُ سُمّيَ بِهِ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:((**نُصِرْت يَا عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ**))، ثُمّ عُرِضَ لِرَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنَانٌ مِنْ السّمَاءِ فَقَالَ إنّ هَذِهِ السّحَابَةَ لَتَسْتَهِلّ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ.

ثُمّ خَرَجَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي نَفَرٍ مِنْ خُزَاعَةَ حَتّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَدِينَةَ، فَأَخْبَرُوهُ بِمَا أُصِيبَ مِنْهُمْ وَبِمُظَاهَرَةِ قُرَيْشٍ بَنِي بَكْرٍ عَلَيْهِمْ، ثُمّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ إلَى مَكّةَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِلنّاسِ:((**كَأَنّكُمْ بِأَبِي سُفْيَانَ قَدْ جَاءَكُمْ لِيَشُدّ الْعَقْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمُدّةِ**)). وَمَضَى بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ وَأَصْحَابُهُ حَتّى لَقُوا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ بِعُسْفَانَ قَدْ بَعَثَتْهُ قُرَيْشٌ إلَى رَسُولِ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِيَشُدّ الْعَقْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمُدّةِ وَقَدْ رَهِبُوا الّذِي صَنَعُوا ، فَلَمّا لَقِيَ أَبُو سُفْيَانَ بُدَيْلَ بْنَ وَرْقَاءَ.. قَالَ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْت يا بُدَيْلُ ؟ وَظَنّ أَنّهُ قَدْ أَتَى رَسُولَ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. قَالَ تَسَيّرْت فِي خُزَاعَةَ فِي هَذَا السّاحِلِ، وَفِي بَطْنِ هَذَا الْوَادِي، قَالَ أَوَ مَا جِئْت مُحَمّدًا ؟ قَالَ لَا ؛ فَلَمّا رَاحَ بُدَيْلٌ إلَى مَكّةَ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ لَئِنْ جَاءَ بُدَيْلٌ الْمَدِينَةَ لَقَدْ عَلَفَ بِهَا النّوَى، فَأَتَى مَبْرَكَ رَاحِلَتِهِ، فَأَخَذَ مِنْ بَعْرِهَا فَفَتّهُ فَرَأَى فِيهِ النّوَى، فَقَالَ: أَحْلِفُ بِالله لَقَدْ جَاءَ بُدَيْلٌ مُحَمّدًا.

ثُمّ خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ حَتّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ أُمّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَمّا ذَهَبَ لِيَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.. طَوَتْهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا بُنَيّةُ مَا أَدْرِي أَرَغِبْت بِي عَنْ هَذَا الْفِرَاشِ أَمْ رَغِبْت بِهِ عَنّي؟ قَالَت: بَلْ هُوَ فِرَاشُ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم وَأَنْتَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ نَجِسٌ وَلَمْ أُحِبّ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى

فِرَاشِ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. قَالَ: وَاللهِ لَقَدْ أَصَابَك يَا بُنَيّةُ بَعْدِي شَرّ.

فقالت – كما في السيرة الحلبية –: بل هداني الله تعالى للإسلام وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر، واعجباً منك يا أبت وأنت سيد قريش وكبيرها، فقال: أترك ما كان يعبد آبائي وأتبع دين محمد؟

حرصها على متابعة النبي صلى الله عليه وسلم:

وقد كانت أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها شديدة المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم حريصة على متابعته، فعَنْ حُمَيْدِ بْنِ نَافِعٍ قَالَ سَمِعْتُ زَيْنَبَ بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: تُوُفِّيَ حَمِيمٌ لِأُمِّ حَبِيبَةَ فَدَعَتْ بِصُفْرَةٍ فَمَسَحَتْ بِذِرَاعَيْهَا، وَقَالَتْ: إِنَّمَا أَصْنَعُ هَذَا لِشَيْءٍ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –وَقَالَ حَجَّاجٌ لِأَنَّ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ:((لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ تُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُحِدَّ فَوْقَ ثَلَاثٍ إِلَّا عَلَى زَوْجِهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا)).

وَحَدَّثَتْهُ زَيْنَبُ عَنْ أُمِّهَا وَعَنْ زَيْنَبَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ عَنِ امْرَأَةٍ مِنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أخرجه مسلم و أحمد.

وقد ذكر ابن سعد في الطبقات أن الحميم الذي توفي لها هو أبوها أبو سفيان بن حرب .

بعد وفاته صلى الله عليه وسلم:

ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم احتسبت أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها مصيبتها بفقد زوجها عند الله تعالى، وانصرفت عابدة لله تعالى محتسبة صابرة، وضلت تشارك في الحياة العامة برويّة وتعقّل، وتبذل كل ما في وسعها لمساعدة المحتاجين والمظلومين.

وجاءت خلافة الصديق رضي الله عنه، ثم خلافة الفاروق رضي الله عنه، ثم خلافة ذي النورين عثمان رضي الله عنها، وحصلت الفتنة الكبرى في عهده، وحوصر عليه رضوان الله تعالى في بيته، وجاءت إليه أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها تزوره للقرابة التي بينهم، حيث أنها ابنة عمته، وأحضرت معها بعضاً مما يحتاج إليه من ماء وطعام هو أهله. قال حميد بن هلال: فمد رجل من المحاصِرين رأسه من فوق الجدار وراح يصفها ويصف ما أحضرت، فقالت: ما له، قطع الله يده، وأبدى عورته؟

فما مرت إلا لحظات حتى أهوى عليه رجل بالسيف يريد قتله، فرفع يده اليمنى ليحمي نفسه من السيف.. فقطعت يده، فانطلق هارباً وقد رفع

ثوبه بشماله.. فبدت عورته للناس الذين راحوا يضحكون منه ساخرين. أخرجه ابن أبي الدنيا.

وهكذا استجاب الله تعالى دعاء أم المؤمنين أم حبيبة رملة رضي الله عنها وأرضاها لعظيم منزلتها لديه تعالى.

وقد شاركت أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها في نشر الدعوة وبلاغها ورواية الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث روت عنه صلى الله عليه وسلم خمسة وستين (٦٥) حديثاً، لها أجرها وأجر من عمل بها واستفاد منها إلى قيام الساعة.

وفي غاية السول لابن الملقن: ولما تنازع أزواجه عليه الصلاة والسلام في حضانة ابنه إبراهيم.. قال ادفعوه إلى أم حبيبة فإنها أقربهن منه رحماً.

وفاتها رضي الله عنها:

مضت على هذا الحال أمُ المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها أرضاها، حتى شعرت بقرب أجلها وقدوم ساعة لحوقها بزوجها، تلك الساعة التي كانت تنتظرها منذ أن فارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وحينما شعرت بذلك.. أرسلت إلى أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين أم سلمة رضي الله تعالى عنهما لطلب المسامحة منهما لو بدر منها أي خطأ في حقهما، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: دعتني أم حبيبة عند موتها فقالت: قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك، فقلت: غفر الله لك ذلك كلَّه وتجاوز وحلَّك من ذلك كله، فقالت: سررتني سرَّك الله، وأرسلت الي أم سلمة، فقالت لها مثل ذلك.

أخرجه الحاكم وابن سعد في الطبقات.

وفي رواية الحاكم أن التي قالت: سررتني سرك الله هي السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها عندما كلمتها أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها وأرضاها.

ثم أسلمت روحها الطاهرة لباريها، ولحقت بزوجها رضي الله عنها وأرضاها، وقد كانت وفاتها سنة أربعة وأربعين(٤٤ هـ) من الهجرة النبوية

على الصحيح، وقيل: سنة اثنين وأربعين، وقيل: سنة خمسين، وقيل: سنة خمس وخمسين.

ودفنت في البقيع مرقد أمهات المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها .

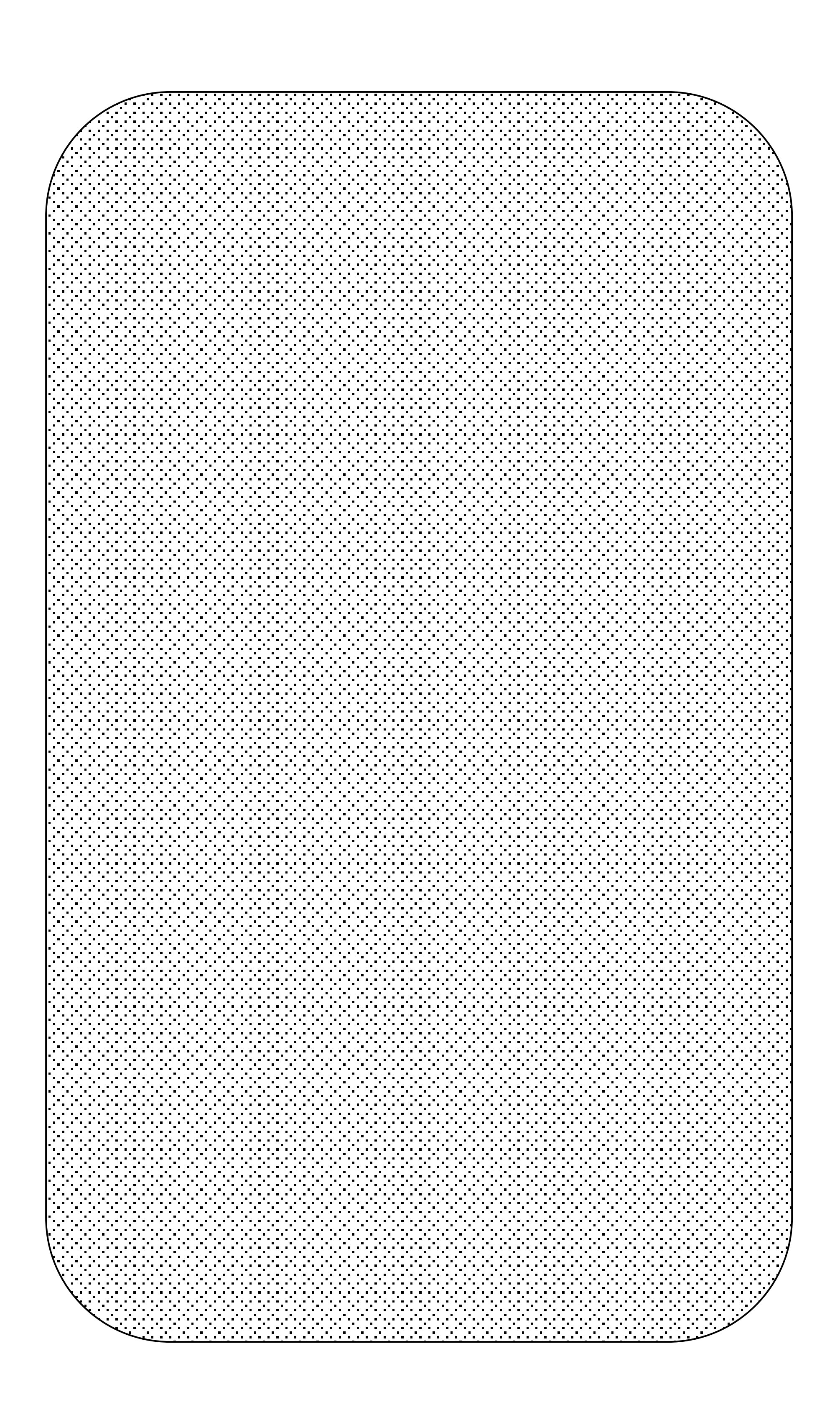
وفي الاستيعاب قال: وروي عن علي بن الحسين، قال: قدمت منزلي في دار علي بن أبي طالب فحفرنا في ناحية منه فأخرجنا منه حجراً فإذا فيه مكتوب هذا قبر رملة بنت صخر فأعدناه مكانه.

فرحمها الله رحمة الأبرار وجمعنا بها وزوجها في جنات تجري من تحتها الأنهار آمين اللهم أمين.



ألعاشرة من نسائه صلى اللّه عليه وسلم



أم المؤمنين ميمون بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها وأرضاها

اسمها رضي الله عنها:

هي أم المؤمنين الطاهرة العفيفة السيدة مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ حَزْنِ بْنِ بُجَيْرِ بْنِ الْهُزْمِ –وعند بعضهم الهرم بالراء- بْنِ رُوَيْبَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِلَالِ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ معاوية بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ عِكْرِمَةَ بْنِ خَصْفَةَ- وذكره بعضهم حصفة- بن قيس عيلان بن مضر.

وقد كان اسمها برة فحوله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ميمونة فقد أخرج البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة قال: كان اسم ميمونة برة فسماها النبي صلى الله عليه و سلم ميمونة.

وأخرج الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان اسم خالتي ميمونة برة فسماها رسول الله صلى الله عليه و سلم ميمونة.

إسم أمها رضي الله عنها:

وأمها: هِنْدُ بِنْتُ عَوْفِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ الْحَارِثِ بن حماطة بن جرش من حمير، وقيل: من كنانة، كما في الاستيعاب.

وكان يقال في أمها:(أكرم عجوز على ظهر الأرض أصهاراً)، فأصهارها هم: رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو زوج ميمونة رضي الله عنها، وأبوبكر الصديق رضي الله عنها، وحمزة والعباس ابنا عبدالمطلب رضي الله عنهما، وجعفر وعلي ابنا أبي طالب رضي الله عنهم.

فبناتها اللاتي هنّ أخوات أم المؤمنين ميمونة من أمها هن: أسماء بنت عميس، كانت تحت جعفر بن أبي طالب فولدت له عبد الله وعوناً ومحمداً ثم خلف عليها أبو بكر الصديق، فولدت له محمداً، ثم خلف عليها علي بن أبي طالب، فولدت له يحيى، وقد قيل: إن أسماء بنت عميس، وسلمى بنت عميس الخثعمية أخت أسماء أي: شقيقتها وهي أخت ميمون رضي الله عنها من أمها فقط. كانت تحت حمزة بن عبد المطلب فولدت له أمة الله بنت حمزة.

ومن أخوات أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها من أمها.. ام المساكين وأم المؤمنين زينب بنت خزيمة والتي توفيت في حيات النبي صلى الله عليه وسلم وسيأتي الحديث عنها إن شاء الله تعالى.

وأختها من أمها وأبيها.. أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن كانت زوج العباس بن عبد المطلب وهي أول إمرأة آمنت بعد أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها.

فكيف لا تكون أمها هند بنت عوف أكرم عجوزٍ في الأرض أصهاراً.

زواجه صلى الله عليه وسلم منها:

ورد في زواجه منها صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات، وهي:

ألأولى: وهي الأصح:

كانت أم المؤمين ميمونة رضي الله عنها قبل إسلامها متزوجة من مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي، ففارقها، ثم تزوجها أبو رُهْمِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بن أبي قيس من بني مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، فتوفي عنها وكانت في السادسة والعشرين من عمرها، فترملت رضي الله عنها وأرضاها في سن مبكرٍ، ومع ذلك قررت أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها أن تعيش بقية حياتها بعيدة عن الملذات، فلم تكن من الباحثات عن

الملذات وطيبات الحياة من طعام ولباس وأزواج، مع أنها كانت جميلة وذات حسب ونسب يرغب الكثيرون من السادة الاقتران بها.

وتمر الأيام بما فيها من أحداث ويخرج النبي صلى الله عليه وسلم مهاجراً إلى المدينة وتأتي المعارك والغزوات، وبعد سقوط خيبر قرر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتجه إلى مكة لأداء العمرة وكان ذلك في السنة السادسة من الهجرة النبوية، ومنعته قريش وعقد معهم صلح الحديبية، وكان من ضمن بنود صلح الحديبية أن يرجع النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة هذا العام ولا يدخلون مكة، فإذا كان العام المقبل جاؤوا وليس معهم إلا سلاح المسافر، ويدخلون مكة ثلاثة أيام بعد أن يخرج منها أهلها فلا يتعرض لهم أحد.

ومرت السنة وأقبل النبي صلى الله عليه وسلم لعمرة القضاء في السنة السابعة للهجرة، ودخل مكة وأصحابُه، وأدّى مناسك الحج وكانت الأنوار تتلألأ من فوقهم، ولم يكن ذلك اليوم يوماً عدياً، وقد خرج المشركون من مكة، وبقي بها قلة مع النساء، فكانت عيون من بقي في مكة من أهل الإسلام تنظر إلى ما يجري بشغف ومحبة.

وكانت السيدات يتابعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وموكبه بنظراتهن من النوافذ والشرفات وفوق الأسطِحة، وقلوبهن تخفق فرحاً وسروراً بما يجري.

وسط هذه الجموع كانت السيدة ميمونة رضي الله عنها الصابرة المحتسبة تنظر إلى ما يجري ببصرها وبصيرتها الثاقبة التي تعي ما يجري ولِمَا يجري، فقد كانت واقفة أمام نافذة من نوافذ سيدنا العباس رضي الله عنها زوج أختها أم الفضل، والتي كانت تراقب موكب النبي صلى الله عليه وسلم بمحبة وشغف، وقد غمرها نور الإيمان.

في تلك اللحظات استولت على أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها فكرة عظيمة مباركة، ألا وهي أن تنال شرف الزواج من النبي صلى الله عليه وسلم وأن تصبح أما للمؤمنين.

وقلبت الفكرة في رأسها مراراً وتكراراً، ثم توصلت إلى نتيجة أن لا شيء يمنعها من تحقيق هذا الحلم الذي راودها ليلاً ونهاراً.

والتفتت حولها فلم تجد إلا أختها أم الفضل، فهمست لها في سرها، وكلها أمل أن تساعدها في تحقيق أمنيتها، فلما كلمتها.. استغربت أم الفضل رضي الله عنها مما سمعته من أختها، فقد كانت أختها عازفة عن الزواج، وقد اختارت أن تُمضي حياتها بدون زواج.

ثم قالت لها إنه رسول الله يا أختاه، وليس الزواج منه زواجا عادياً، ففرحت أم الفضل مما سمعت وذهبت مسرعة إلى زوجها العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه، وأخبرته ما كان من أختها ميمونة، فأسرع هو بدوره إلى ابن أخيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبره الطلب،فأنزل الله تعالى ﴿ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ {الأحزاب: ٥٠} .

وَيُقَالُ –كما في سيرة ابن هشام-: إنّ الّتِي وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ، وَيُقَالُ: أُمّ شَرِيكٍ غَزِيّة بِنْتُ جَابِرِ بْنِ وَهْبٍ مِنْ بَنِي مُنْقِذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَعِيصِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيّ، وَيُقَالُ: بَلْ هِيَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي سَامَةَ بْنِ لُؤَيّ، فَأَرْجَأَهَا رَسُولُ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ .

فعاد العباس رضي الله عنها وأرضاه مسرعاً إلى أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها ووجهه يتهلل فرحاً سروراً أن الله تعالى حقق أمنيتها، ولما وصل العباس رضي الله عنها ورأته أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها.. رأت أثار الفرح والبِشر على وجهه، غير أنها منتظرة أن تسمع رد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتكلم العباس رضي الله عنه وأخبرها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استجاب لرغبتها، ففرحت فرحاً شديداً لا أستطيع

أنا ولا أهل الأرض أن نصف حقيقة هذا الفرح، وكيف لا تفرح وهي ستدخل بيت النبوة، وستكون زوجا لأشرف مخلوق على الإطلاق.

فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وكان وكيلها في تزويجها من النبي صلى الله عليه وسلم هو العباس رضي الله عنها وأرضاه.

وحينما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت المدة التي أعطته إياها قريش قد انقضت، فجاءه حُوَيْطِبَ بْنَ عَبْدِ الْعُزّى كما ورد ذلك عند الحاكم والطبراني، وقد أسلم بعد ذلك في نفر من قريش في اليوم الثالث، وفي الاسيعاب لابن عبدالبر أن الذي جاءه هو سهيل بن عمرو في نفر من قريش، فقالوا له: انقضى أجلك، فاخرج عنا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**وَمَا عَلَيْكُمْ لَوْ تَرَكْتُمُونِي فَأَعْرَسْت بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ، وَصَنَعْنَا لَكُمْ طَعَامًا فَحَضَرْتُمُوهُ**)) قالوا: لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا، فخرج بميمونة بنت الحارث رضي الله عنها حتى أعرس بها بسَرِف. أخرجه الحاكم والطبراني، وهي منطقة على عشرة أميال من مكة، وقيل: على ستة أميال من مكة من طريق مرو، وقيل: سبعة، وقيل: تسعة، وقيل:اثنا عشر.

وفي حدائق الأنوار: هو مكان بين (التنعيم ومر الظهران)، ومر الظهران هو ما يسمى اليوم بوادي فاطمة.

فكان لها في هذا المكان ذُكريات عظيمة فهو المكان الأول الذي جمعها برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي الرواية الأخرى كما أسلفنا أن الذي رد على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: لا حاجة لنا في طعامك هو حُوَيْطِبَ بْنَ عَبْدِ الْعُزّى، وقال حويطب: ناشدتك الله والعقد إلا ما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث، فغضب سعد بن عبادة رضي الله عنه لما رأى من غلظ كلامهم للنبي، فقال لذلك القائل: كذبت لا أمّ لك، ليست بأرضك ولا أرض آبائك، وفي لفظ قال: يا عاضّ بظر أمه أرضك وأرض أمك دونه-أي: ليست بأرضك ولا أرض آبائك- والله لا يبرح منها إلا طائعاً راضياً، فتبسم رسول الله وقال:((**دعهم فإنهم زارونا لا تؤذيهم**)) .

ثم إنه أمر أبا رافع رضي الله تعالى عنه أن ينادي بالرحيل ولا يمسي- بها أحد من المسلمين، وخلف أبا رافع ليأتي له بميمونة حين يمسي، فخرج بها، ولقيت ميمونة رضي الله تعالى عنها من سفهاء مكة عناء.

فعن أبي رافع رضي الله تعالى عنه قال: لقينا عناء من أهل مكة من سفهاء المشركين من أذى ألسنتهم للنبي ولميمونة، فقلت لهم: ما شئتم، هذه والله الخيل والسلاح ببطن ناجح، وأنتم تريدون نقض العهد والمدة، فولوا راجعين منكسين.

الرواية الثانية:

عن ابن شهاب قال: خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم من العام القابل عام الحديبية معتمراً في ذي القعدة سنة سبع، و هو الشهر الذي صده فيه المشركون عن المسجد الحرام، حتى إذا بلغت يَأْجِجَ وهو مكان على ثلاثة أميال من مكة بالقرب من التنعيم، وضع الأداة كلها الْحَجَفُ (الْحجفَة: التُّرْسُ وهو الدرع المصنوع من الجلود القوية أو المغطى بالجلد) الْمجَانُّ الدروع والتروس المغطاة بالجلود، والنَّبْل والرِّماح، وخلف عليها أَوْسُ بْنُ خَوْلِيٍّ الأنصاري في مائتي رجل، ودخل بسلاح الراكب: السيوف في القُرُب، وبعث جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه بين يديه إلى ميمونة بنت الحارث بن حزن العامرية فخطبها عليه- وكانت أختها لامها أسماء بنت عميس عند جعفر - فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب و كانت أختها أم الفضل تحته، فزوجها العباس رسول الله صلى الله عليه و سلم فأقام النبي صلى الله عليه و سلم بسَرِف بعد ذلك بحين حتى قدمت ميمونة، فبنى بها بسرف. أخرجه الحاكم والبيهقي في الدلائل.

وفي الروض الأنف: وَأَصْدَقَهَا عَنْ رَسُولِ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَرْبَعَ مِائَةِ دِرْهَمٍ.

وقد ورد أَنّ خِطْبَةَ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ انْتَهَتْ إلَيْهَا وَهِيَ عَلَى بَعِيرِهَا، فَقَالَتْ الْبَعِيرُ وَمَا عَلَيْهِ لله وَلِرَسُولِهِ.

الرواية الثالثة:

ما اخرجه ابن سعد في الطبقات: عن عبد الله بن عباس قال: لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج إلى مكة عام القضية.. بعث أَوْسُ بْنُ خَوْلِيٍّ وأبا رافع إلى العباس فزوجه ميمونة، فأضلا بعيريهما، فأقاما أياماً ببطن زابغ حتى أدركهما رسول الله بقديد؛ وقد ضما بعيريهما، فسارا معه حتى قدم مكة فأرسل إلى العباس فذكر ذلك له، وجعلت ميمونة أمرها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم منزل العباس فخطبها إلى العباس، فزوجها إياه.

وفي رواية عند ابن سعد أيضا قال: أخبرنا محمد بن عمر ومعن بن عيسى قالا: حدثنا مالك بن أنس عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن سليمان بن يسار أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا رافع ورجلا من الأنصار فزوجاه ميمونة قبل أن يخرج من المدينة.

هل تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم أم وهو حلال:

تضاربت الروايات في زواجه صلى الله عليه وسلم بأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها، هل تزوجها وهو محرم أم وهو حلال؟ فقال

الإمام مالك في الموطأ: وروى عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه و سلم تزوج ميمونة بنت الحارث وهو محرم ، فلا نعلم أحداً ينبغي أن يكون أعلم بتزوج رسول الله صلى الله عليه و سلم ميمونة من ابن عباس وهو ابن أختها، فلا نرى بتزوج المحرم بأساً؛ ولكن لا يقبل ولا يمس حتى يحل، وهو قول أبي حنيفة والعامة من فقهائنا رحمهم الله تعالى.اهـ

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ وَهُوَ مُحْرِمٌ.أخرجه البخاري وسلم وأحمد.

وفي لفظ عند الإمام أحمد أَنَّ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ فِي سَفَرِهِ وَهُوَ حَرَامٌ.

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ، وَبَنَى بِهَا وَهُوَ حَلَالٌ، وَمَاتَتْ بِسَرِفَ. أخرجه البخاري وأحمد.

وعند الإمام أحمد أن ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه كَانَ لَا يَرَى بَأْسًا أَنْ يَتَزَوَّجَ الرَّجُلُ وَهُوَ مُحْرِمٌ، وَيَقُولُ: إِنَّ نَبِيَّ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ بِمَاءٍ يُقَالُ لَهُ سَرِفُ وَهُوَ مُحْرِمٌ، فَلَمَّا قَضَى نَبِيُّ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَّتَهُ.. أَقْبَلَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِذَلِكَ الْمَاءِ.. أَعْرَسَ بِهَا.

فعلى هـذا ذهـب بـن عبـاس ومـن تبعـه أن رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم تزوج أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها وهـو محـرم، وكـانوا لا يـرون بأساً في أن يتزوج المحرم غير أنه لا يقبل ولا يمس حتى يحل.

وكل رواية عن زواج النبي صلى الله عليه وسلم بـأم المـؤمنين ميمونـة رضي الله عنها وهومحرم فهـي عـن ابـن عبـاس، فقـد انفـر ابـن عبـاس بهـذه الروايـات إلا مـا أخرجـه الـدارقطني مـن قـول أبي هريـرة كـذلك غـير أنـه ضعيف، وإلا ما ورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وذهب آخرون إلى أن رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم إنـما تزوجهـا وهو حلال غير محرم، واستدلوا بالآتي:

أخـرج الإمـام الشـافعي في مسـنده وابـن سـعد في الطبقـات قـال: (أخبرنا): مالكٌ عن رَبيعَةَ عَن سُلَيمانَ بنِ يَسَارٍ:

أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بَعَثَ أبا رافع مَـوْلاهُ ورَجُـلاً مـن الأنْصَارِ فَزَوَّجَاهُ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الحارثِ وهُوَ بالمدينة قَبْلَ أنْ يَخْرُجَ إلى مَكَّـةَ، (وهـذا يـدل عـلى أنـه صـلى الله عليـه وسـلم تزوجهـا وهـوحلال قبـل أن يحرم).

وأخرج الترمذي والبيهقي والنسائي والدار قطني وغيرهم عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: تَزَوَّجَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ حَلَالٌ، وَبَنَى بِهَا وَهُوَ حَلَالٌ، وَكُنْتُ أَنَا الرَّسُولَ فِيمَا بَيْنَهُمَا.

وفي صحيح الإمام مسلم وابن ماجة وابن حبان وغيرهم عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ قَالَ: حَدَّثَتْنِي مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ أَنَّ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَهَا وَهُوَ حَلَالٌ، قَالَ: وَكَانَتْ خَالَتِي وَخَالَةَ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وعند الإمام مسلم بعد أن ذكر رواية بن عباس في أنه صلى الله عليه وسلم تزوج وهو محرم: زَادَ ابْنُ نُمَيْرٍ فَحَدَّثْتُ بِهِ الزُّهْرِيَّ فَقَالَ أَخْبَرَنِي يَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ أَنَّهُ نَكَحَهَا وَهُوَ حَلَالٌ.

وأخرج بن سعد في الطبقات قال: أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال: تزوجها رسول الله في شوال وهو حلال عام القضية وأعرس بها بسرف وتوفيت بسرف.

وعن ميمون بن مهران قال: دخلت على صفية بنت شيبة عجوز كبيرة فسألتها: أتزوج رسول الله ميمونة وهو محرم؟ فقالت: لا والله لقد تزوجها وإنهما لحلالان. أخرجه ابن سعد في الطبقات.

وأخرج ابن سعد كذلك عن عطاء الخراساني قال: قلت لابن المسيب إن عكرمة يزعم أن رسول الله تزوج ميمونة وهو محرم فقال: كذب مخبثان، اذهب إليه فسبه، سأحدثك، قدم رسول الله وهو محرم فلما حل تزوجها.

وأخرج الإمام احمد في مسنده: عَنْ نُبَيْهِ بْنِ وَهْبٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ الله أَرَادَ أَنْ يُزَوِّجَ ابْنَهُ وَهُوَ مُحْرِمٌ فَنَهَاهُ أَبَانُ، وَزَعَمَ أَنَّ عُثْمَانَ رضي اللهُ عَنْهُ حَدَّثَ عَنْ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((**الْمُحْرِمُ لَا يَنْكِحُ وَلَا يُنْكِحُ**)).

وقد رد القائلون بالقول الأول هذا الحديث بأن المراد بالنكاح هنا هو الوطء، وهو بعيد.

ومعتمد الإمام الشافعي أنه المحرم لَا يَنْكِحُ وَلَا يُنْكِحُ، أي لا يتزوج ولا يزوج ولا يوكل مادام محرماً بحج أو عمرة.

قال الإمام الشافعي في مسنده: (أخبرنا): سَعِيدُ بنُ مَسْلَمَةَ عن إسْماعيلَ بنِ أُمَيَّةَ عن سَعيد بنِ الْمُسَيَّبِ قال:

- وَهِمَ فُلاَنَ ما نَكَحَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَيْمُونَةَ إلا وهَو حَلاَلٌ (لم يصرح سعيد بن المسيب باسم الواهم في هذا الحديث ،بل قال: فلان وكذلك لم يصرح به في الحديث الذي يلي هذا بل قال وهم الذي روى أن رسول الله نكح ميمونة وهو محرم، وإنما فعل ذلك إجلالاً لابن عباس وتأدباً معه إذ هو من أكبر فقهاء الأمة وعلمائها وأجل الصحابة، وهو ابن

عم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؛ نعم إن الحق فوق كل إنسان ولكن ينبغي إقراره في أدب ورفق وحياء ولطف، وابن عباس وإن كان على ما وصفنا من العظمة وأجل.. فإن هذا لا يمنع أن يتسرب إليه الوهم والزلل فإن العصمة للهِّ أو لرسوله، جل من لا يسهو أو ينسى، وقد صرح باسم ابن عباس في روايات أخرى، ففي التاج الجامع للأصول عن ابن عباس قال: تزوج النبي ميمونة وهو محرم، رواه الخمسة، وقال سعيد بن المسيب وهم – كعلم – ابن عباس في ذلك لإنفراده به عن رواة الحديث الذين منهم أبو رافع وميمونة نفسها، فقد قالت رضي الله عنها: تزوجني النبي صلى الله عليه وسلم ونحن حلالان بسرف كتف) اهـ

والوهم هو الخطأ.

فيتبين من ذلك أن الصحيح هو: أنه صلى الله عليه وسلم منها تزوجها وهو حلال، فلم يقل بأنه صلى الله عليه وسلم تزوج محرم إلا ابن عباس رضي الله عنهما، وإلا ما أخرجه الدارقطني من قول أبي هريرة كذلك غير أنه ضعيف كما أسلفنا، وَما فِي مُسْنَدِ الْبَزّارِ مِنْ حَدِيثِ مَسْرُوقٍ وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ تَزَوّجَ رَسُولُ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ وَاحْتَجَمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ وَإِنْ لَمْ تُذْكَرْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَيْمُونَةُ فَنِكَاحُهَا أَرَادَتْ وَهُوَ حَدِيثٌ غَرِيبٌ ،ولا يخفى صغر سن ابن عباس رضي الله

عنها، وكل ذلك يرد إذا علمنا أن صاحبة الشأن وهي أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها هي التي تحدثت عن نفسها بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجه وهما حلالان كما تقدم في رواية الإمام مسلم قريباً، ولا أحد أعرف بالشخص من نفسه، كما أن يزيد بن الأصم كان في حجرها كما في مسند الإمام أحمد .

ثم أن ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه أقرّ بزواج النبي صلى الله عليه وسلم من أم لمؤمنين ميمونة رضي الله عنها وهو حلال، فقد أخرج الدار قطني فِي السّنَنِ في باب المهر مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْأَسْوَدِ يَتِيمِ عُرْوَةَ وَمِنْ طَرِيقِ مَطَرٍ الْوَرّاقِ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَزَوّجَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ حَلَالٌ، فَهَذِهِ الرّوَايَةُ عَنْهُ مُوَافِقَةٌ لِرِوَايَةِ غَيْرِهِ فَقِفْ عَلَيْهَا، فَإِنّهَا غَرِيبَةٌ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ.

وكما أن أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها وأرضاها خالة ابن عباس.. فهي كذلك خالة يزيد بن الأصم كذلك وهو الذي أخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها وهو حلال، وبهذا يُرد استدلال من يقول أن ابن عباس كان قريبا من أم المؤمنين ميمونة لأنها خالته، إذ ان يزيد بن الأصم كذلك كلنت خالته وخالف ابن عباس.

وفي السيرة الحلبية: وفي كلام السهيلي، كان من شيوخنا من يتأول قول ابن عباس: تزوجها محرماً: أي في الشهر الحرام وفي البلد الحرام، ولم يرد الإحرام بالحج، أي كما أراد ذلك الشاعر بقوله في عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه:

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ورعاً فلم أر مثله مقتولاً

-وفي الروض الأنف: وَدَعَا فَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ مَخْذُولَا-

أي في شهر حرام، فإنه قتل في أيام التشريق. هذا كلام السهيلي.اهـ.

فضائلها وما ورد في حقها:

كانت أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها وأرضاها شديدة المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو عند ميمونة إذ قربت إليه خواناً عليه لحم ضب، فلما أراد أن يأكل قالت ميمونة: يا رسول الله تدري ما هذا؟ قال: لا، قالت: هذا لحم ضب، قال: هذا لحم لم آكله، وعنده الفضل بن عباس وخالد بن الوليد- لأنهما أولاد أختها فأم الفضل لبابة بنت الحارث أختها، وهي زوجة العباس، ولبابة الصغرى وهي عصماء بنت الحارث أم خالد بن الوليد بن المغيرة رضي الله عنهم أجمعين- وامرأة أخرى، فقال له خالد: يا

رسول الله أحرام هو؟ قال: لا، وقال: كلوا، فأكل الفضل وخالد والمرأة، وقالت ميمونة: أما أنا فلا آكل من شيء لم يأكل منه رسول الله، صلى الله عليه وسلم. أخرجه ابن سعد في الطبقات بهذا اللفظ، وأخرجه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم بألفاظ مختلفة ودون الزيادة الأخيرة في قول ميمونة: (أما أنا فلا آكل من شيء لم يأكل منه رسول الله، صلى الله عليه وسلم).

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل معها من إناء واحد كما كان يفعل مع أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين أم سلمة وغيرهن رضي الله عنهن أجمعين، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ:((**كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَرَسُولُ الله صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ**)) أخرجه البخاري وأحمد.

و عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قالت:((**كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَالنَّبِيُّ صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَاءٍ وَاحِدٍ مِنْ الْجَنَابَةِ**)).أخرجه البخاري و أحمد.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ مَيْمُونَةَ رضي الله عنه قَالَتْ:((**كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَرَسُولُ الله صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ**)) أخرجه الإمام أحمد.

وفي البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَيْمُونَةَ كَانَا يَغْتَسِلَانِ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ.

وقد كانت أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها وأرضاها سباقة في فعل الخير، فعنها رضي الله عنها وأرضاها أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلِيدَةً - أي: الأمة أو الجارية المملوكة- فِي زَمَانِ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَكِ كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكِ. أخرجه مسلم.

وعند ابن سعد في الطبقات عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: سأل رسول الله صلى عليه وسلم ميمونة عن جارية لها فقالت: أعتقتها. فقال: قد كانت جلدة، ولو كنت وضعتها في ذي قرابتك كان أمثل.

وربما ظهر منها في بعض الأحيان شيء من الغيرة التي تنتاب بنات آدم، فعنها رضي الله عنها قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم ذات ليلة من عندي، فأغلقت دونه الباب، فجاءه يستفتح.. فأبيت أن أفتح فقال :((**أقسمت ألا فتحت لي**)) فقلت له: تذهب إلى أزواجك في ليلتي، فقال :((**ما فعلت و لكن وجدت حقنا من بول**)) أخرجه الحاكم في المستدرك. فانظروا إلى أدبه ورحمته صلى الله عليه وسلم، لم ينهرها ولم يزجرها إنما قال لها:((**أقسمت ألا فتحت لي**)).

وكانت رضي الله عنها وأرضاها تسعى في تخفيف الآلام عن أهل الإسلام بما تعلمته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فَعَنْ أَزْهَرَ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَبْدالرَّحْمَنِ بْنِ السَّائِبِ ابْنِ أَخِي مَيْمُونَةَ الْهِلَالِيَّةِ أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ مَيْمُونَةَ قَالَتْ لَهُ: يَا ابْنَ أَخِي أَلَا أَرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قُلْتُ: بَلَى قَالَتْ: بِسْمِ الله أَرْقِيكَ وَالله يَشْفِيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ فِيكَ أَذْهِبْ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ. أخرجه الإمام أحمد ابن سعد في الطبقات.

وكانت رضي الله عنها وأرضاها لا يمنعها عن الحق شيء فلا تجامل ولا تحابي في الحق والشرع أبداً ولو كان في أقرب الناس إليها، فعن يزيد بن الأصم أن ذا قرابة لميمونة دخل عليها فوجدت منه ريح شراب – أي خمر – فقالت: ((**لئن لم تخرج إلى المسلمين فيجلدونك، أو قالت يطهروك، لا تدخل علي بيتي أبداً**)). أخرجه ابن سعد.

وكانت رضي الله عنها وأرضاها محافظة على آداب الشرع والدين ولو في أصغر الأمور فيما نرى، فعن موسى بن أبي عائشة عن رجل عن ميمونة أنها أبصرت حبة رمان في الأرض فأخذتها وقالت: ((**إن الله لا يحب الفساد**)). أخرجه بن سعد في الطبقات.

فما حالنا اليوم مع بقية الطعام بعد ان نشبع، فربما نرمي بالكثير في القمامة ولا نبالي، وكثير من الأمة جوعا لا يجدون طعاماً.

وقد نال حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس شرف الدعاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتها وبسببها، فقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يبيت في بيت خالته ميمونة رضي الله عنها كثيراً وهو صغير، حتى جاءت الليلة التي فتح له فيها الباب ببركة أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها، فعن بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت في بيت ميمونة ابنة الحارث، فَوَضَعْتُ لرسول الله صلى الله عليه و سلم طهوره، فقال:((**من وضع هذا**)) فقالت ميمونةُ: عبد الله، فقال:((**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**)). أخرجه الحاكم وابن أبي شيبة وابن حبان.

وفي رواية عند الطبراني: فقال النبي صلى الله عليه و سلم :((**من وضعه**)) ؟ قال ابن عباس: أنا، فضرب على منكبي وقال :((**اللهمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**)).

وفي روية الإمام أحمد: عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى كَتِفِي أَوْ عَلَى مَنْكِبِي شَكَّ سَعِيدٌ ثُمَّ قَالَ:((**اللهمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**)).

وفي رواية الإمام البخاري قَالَ:((**اللهمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**)).

وفي رواية البخاري وأحمد عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ ضَمَّنِي رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ:((**اللهمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ**)).

وفي رواية عند البخاري أيضاً:((**اللهمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ**))

وفي رواية عند مسلم قَالَ:((**اللهمَّ فَقِّهْهُ**)).

وقد كانت أم المؤمنين ميمون بنت الحارث رضي الله عنها وأرضاها تنصر الحق بقولها وفعلها ولا تأخذها في الله لومة لائم، فعن أبي إسحاق عن جري بن كليب العامري قال: لما سار عليٌّ إلى صِفِّينَ كرهت القتال، فأتيت المدينة، فدخلت على ميمونة بنت الحارث، فقالت: ممن أنت ؟ قلت من أهل الكوفة، قالت: من أيهم ؟ قلت: من بني عامر، قالت: رحبا على رحب و قربا على قرب، تجيء ما جاء بك؟ قال: قلت: سار علي إلى صِفِّينَ و كرهت القتال فجئنا إلى ها هنا، قالت أكنت بايعته ؟ قال: قلت: نعم، قالت:((**فارجع إليه فكن معه فو الله ما ضل و لا ضل به**)) أخرجه الحاكم في المستدرك .

ولقد ابتدأ المرضُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وابتدأته إشارت السفر إلى الرفيق الأعلى وهو في بيت السيدة ميمونة رضي الله عنها وأرضاها، فعن عُبَيْدُ الله بْنُ عَبْدِ الله بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها

أَخْبَرَتْهُ قَالَتْ: ((**أَوَّلُ مَا اشْتَكَى رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ فَاسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِهَا فَأَذِنَّ لَهُ**)) أخرجه مسلم وأحمد.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: ((**لَمَّا مَرِضَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ فَاسْتَأْذَنَ نِسَاءَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي فَأَذِنَّ لَهُ**)) أخرجه الإمام أحمد.

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رضي الله عنها قَالَتْ: ((**أَوَّلُ مَا اشْتَكَى رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ فَاشْتَدَّ مَرَضُهُ حَتَّى أُغْمِيَ عَلَيْهِ**)) أخرجه الإمام أحمد.

وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتقل إلى الرفيق الأعلى، وبقيت أم المؤمنين ميمون بنت الحارث رضي الله عنها صابرة محتسبة، وشاركت في نشر الدعوة الإسلامية والبلاغ عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روت عن النبي صلى الله عليه وسلم الكثير من أحاديث الأحكام الفقهية.

وقد تميزت أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها وأرضاها بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزوج غيرها عليها، أي: لم يتزوج صلى الله عليه وسلم بعد السيدة ميمون أحداً، فقد كانت آخر نسائه من حيث الزواج، كما أنه آخر من لحق به من زوجاته رضي الله عنها وأرضاها.

وفاتها رضي الله عنها:

بقيت أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها وأرضاها عابدة لله متبتلة له، ففي الطبقات لابن سعد: أخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا عقبة بن وهب العامري البكائي قال: أخبرني يزيد بن الأصم قال: رأيت أم المؤمنين ميمونة تحلق رأسها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألت عقبة لِمَ؟ فقال: أراه تَبَتُّل.

وليس هذا من التبتل المنهي عنه؛ لأن التبتل هو الرغبة عن النكاح، وقد ورد فيه النهي، فعَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ أنه سأل السيدة عائشة رضي الله عنها، فقال: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكِ عَنْ التَّبَتُّلِ فَمَا تَرَيْنَ فِيهِ؟ قَالَتْ: فَلَا تَفْعَلْ أَمَا سَمِعْتَ الله عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ {الرعد: ٣٨}

فَلَا تَبَتَّلْ. أخرجه الإمام أحمد.

لكن فعل أم المؤمنين السيدة ميمونة رضي الله عنها وأرضاها لا ينطبق عليه ذلك؛ فقد تزوجت النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولأن زوجاته صلى الله عليه وسلم لا يجوز لهن الزواج بعده، وإنما المنهي عنه الرغبة عن النكاح من أصله.

وخرجت أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها وأرضاها لتأدية مناسك الحج وتوجهت إلى مكة، وأرسل ابن عباس رضي الله عنهما مولاه كريب ليقود بعيرها، فعنه قال: بعثني ابن عباس أقود بعير ميمونة، فلم أزل أسمعها تهل حتى رمت جمرة العقبة. أخرجه ابن سعد في الطبقات.

وفي حجها مرضت، وثقل بها المرض وهي في مكة، فقالت لهم: ((**أخرجوني من مكة فإني لا أموت بها**))؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرها أنها لا تموت بمكة، فحملوها حتى أتوا بها (سَرِف)، الموضع الذي كان أول دخولٍ للنبي صلى الله عليه وسلم بها، فاختارت هذا الموضع المبارك -الذي لها في ذُكريات عظيمة- للانتقال إلى الرفيق الأعلى، فجاءتها ساعة الانتظار التي طالت عليها، وهي في شوق عظيم للقاء زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلحقت به في فرح وسرور بساعة اللقاء.

ودفنت بنفس الموضع وهي حالقة شعرها في الحج، فعن يزيد بن الأصم رضي الله عنه قال: دفنا ميمونة بسرف في الظلة التي بنى بها فيها رسول الله، وكانت يوم ماتت محلوقة قد حلقت في الحج. أخرجه ابن سعد في الطبقات.

وكانت وفاتها رضي الله عنها وأرضاها سنة ثلاثة وستين من الهجرة (٦٣هـ) على الصحيح، فقد روى الطبراني برجال ثقات عن محمد بن

إسحاق – رحمهما الله تعالى – قال: ماتت ميمونة بنت الحارث زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحرة سنة ثلاث وستين، وهو يوم انتهب فيه المدينة عسكرُ الشام أيام يزيد بن معاوية وكان ذلك في حرة.

وكان عمرها آنذاك ثمانين أو إحدى وثمانين سنة، ومع كبر سنها كانت جلدة قوية كأنها شابة عليها رضوان الله تعالى،

وقيل: أنها توفيت سنة إحدى وستين في زمن يزيد بن معاوية، كما أخرج ذلك الحاكم عن ابن عمر، وكما في الطبقات لابن سعد وغيرهما.

وقيل: سنة ستين، كما في سيرة ابن كثير.

وقيل: سنة إحدى وخمسين، وقيل: سنة ست وستين، كما في الاستيعاب لابن عبدالبر.

وهي آخر من مات من نسائه صلى الله عليه وسلم كما أسلفنا.

وعَنْ عَطَاءٍ قَالَ حَضَرْنَا مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه جِنَازَةَ مَيْمُونَةَ بِسَرِفَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هَذِهِ زَوْجَةُ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا رَفَعْتُمْ نَعْشَهَا فَلَا تُزَعْزِعُوهَا وَلَا تُزَلْزِلُوهَا وَارْفُقُوا. أخرجه البخاري وأحمد.

وفي رواية عند الإمام أحمد: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هَذِهِ مَيْمُونَةُ إِذَا رَفَعْتُمْ نَعْشَهَا فَلَا تُزَعْزِعُوهَا وَلَا تُزَلْزِلُوهَا.

وصلى عليها ابن اختها حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنها وأرضاه.

ونزل في قبرها ثلاثة وهم: يزيد بن الأصم، وعبد الله بن شداد بن الهادي، وهم بنو أخواتها، وعبيد الله الخولاني، وكان يتيماً في حجرها.

وفي الطبقات لابن سعد: أن ابن عباس كذلك نزل في قبرها، وهو ابن أختها، فعن يزيد بن الأصم قال: دفنا ميمونة بسرف في الظلة التي بنى بها فيها رسول الله، وكانت يوم ماتت محلوقة قد حلقت في الحج، فنزلنا في قبرها أنا وابن عباس، فلما وضعناها مال رأسها، فأخذتُ ردائي فوضعته تحت رأسها، فانتزعه ابن عباس فألقاه، ووضع تحت رأسها كذانة، يعني حجراً.

وفي الطبقات لابن سعد أيضاً: أن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد خرج في قبرها وهو ابن ابن أختها، فلبابة الصغرى وهي عصماء بنت الحارث أم خالد بن الوليد بن المغيرة، كما أسلفنا.

فرحمها الله رحمة الأبرار وجمعنا بها في جنات تجري من تحتها الأنهار إنه عزيز غفار آمين اللهم آمين.



ألحادية عشرة من نسائه صلى اللّه عليه وسلم

أم المؤمنين زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها وأرضاها

اسمها رضي الله عنها:

هي أم المؤمنين الطاهرة العفيفة السيدة زَيْنَبَ بِنْتَ خُزَيْمَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ هِلَالِ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ.

أمها رضي الله عنها:

وأمها: هِنْدُ بِنْتُ عَوْفِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ الْحَارِثِ، وهي أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث لأمها كما أسلفنا.

قبل زواجها من النبي صلى الله عليه وسلم:

كانت أم المؤمنين زينب بنت خزيمة رضي الله عنها متزوجة قبل أن يتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أختلف أهل العلم فيمن كانت عنده إلى أقوال، وهي:

الأول: أنها كانت تحت سيدنا عبدالله بن جحش رضي الله عنه، فاستشهد في غزوة أحد. قال في المواهب -كما في السيرة الحلبية-: وهو

أصحّ، فعن الزهري قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه و سلم زينب بنت خزيمة أحد بني هلال بن عامر و كانت قبله عند عبد الله بن حجش فقتل عنها يوم أحد. أخرجه الحاكم في المستدرك، و قاله ابن عبد البر وحكاه عن ابن شهاب وصحّحه عبد الغني، كما في المختصر الكبير في سيرة الرسول للشيخ عز الدين بن جماعة الكتاني.

الثاني: أنها كانت تحت الطفيل بن الحارث بن المطَّلب بن عبد مَنَاف بن قُصيّ، كما أخرج ذلك الحاكم عن قتادة، ثم طلقها فتزوجها أخوه عَبيدة بن الحارث، فقتل عنها في بدر شهيداً، وبهذا جزم الدمياطيّ، كما في المختصر الكبير في سيرة الرسول للشيخ عز الدين بن جماعة الكتاني أيضا.

الثالث: أنه الحصين بن الحارث بن عبد المطلب.

الرابع: أنها كَانَتْ قَبْلَ عُبَيْدَةَ عِنْدَ جَهْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ، وَهُوَ ابْنُ عَمّهَا، كما في سيرة ابن هشام.

زواجه صلى الله عليه وسلم بها:

لما خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم.. جعلت أمرها إليه فتزوجه وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشّاً- كما في السيرة الحلبية - والنشُّ النصف، وذلك خمسمائة درهمٍ؛ لأنّ الأوقية أربعون درهماً.

وفي سيرة ابن هشام أنه صلى الله عليه وسلم أصدقها أَرْبَعَ مِائَةِ دِرْهَمٍ.

وقيل: خمسمائة درهم.

وقيل: أنه أصدقها اثنتي عشرة أوقية وكساء، كما في سبل الهدى والرشاد.

كانت تسمى منذ الجاهلية بأم المساكين؛ لأنها كانت تكثر إطعام المساكين و لِرَحْمَتِهَا إِيّاهُمْ وَرِقّتِهَا عَلَيْهِمْ.

وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان على رأس أحد وثلاثين شهراً من الهجرة قَبْلَ أُحُدٍ بشهر، أي: في السنة الثالثة للهجرة، ذكر ذلك في السيرة الحلبية، وهذا القول يرد القول بأنها تزوجت قبله صلى الله عليه وسلم من عبدالله بن حجش وأنه قتل في أحد؛ إذا كيف هو زوجها وقتل في أحد والنبي صلى الله عليه وسلم تزوجها قَبْلَ أُحُدٍ.

وقال كذلك في السيرة الحلبية وفي لفظ أن عبيدة بن الحارث قتل عنها يوم أحد فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا إن ثبت فإنه قد تناقض في المسألة إذ كيف يتزوجها رسول الله صل الله عليه وسلم قَبْلَ أُحُدٍ وكان زوجها عبيدة قد استشهد في أُحُدٍ.

والمعروف أن عبيدة قد استشهد في بدر وليس في أحد كما أسلفنا، وذكره الإمام الحلبي نفسه في سيرته، وكذا أهل السير كما في (الوفا بتعريف فضائل المصطفى) للإمام أبو الفرج عبدالرحمن بن علي الشهير بابن الجوزي، (والسيرة النبوية) لابن سيد الناس، وغيرهم.

فعلى هذا يتخلص لدينا الآتي:

إما أنه صلى الله عليه وسلم تزوجها بعد أحد، أو أنه قبل أحد ولم تكن تحت من استشهد في أحد، وإلا فإن الأمر لا يستقيم.

وفي الرحيق المختوم أنه صلى الله عليه وسلم تزوجها في السنة الرابعة من الهجرة.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله عروساً بزينب، فعمدت أم سليم إلى تمر وسمن وأَقِط، فصنعت حيساً فجعلته في تور، فقالت: يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله، فقل: بعثت بهذا إليك أمي وهي تقرئك السلام، فقال: ادع لي فلاناً وفلاناً رجالاً سماهم، وادع لي من لقيت،

فدعوت من سمى ومن لقيت، فرجعت، فإذا البيت غاصّ، بأهله، قيل لأنس: ما عددهم؟ قال: كانوا ثلاثمائة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده الشريفة على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله، ثم جعل يدعو عنده عشرة يأكلون منه، ويقول لهم: اذكروا الله وليأكل كل رجل مما يليه، فأكلوا حتى شبعوا كلهم، ثم قال لي: يا أنس ارفع فرفعت، فما أدري حين وضعت كان أكثر أو حين رفعت.

وهذه القصة ذكرها الإمام علي بن برهان الدين الحلبي في كتابه السيرة الحلبية المسمَّاة (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) في زواجه صلى الله عليه وسلم بأم المؤمنين زينب بنت خزيمة، وقد اخرج البخاري نحوها في زواجه بأم المؤمنين زينب بنت جحش، ولعل الأمر قد تكرر في زواجه بزينب بنت حجش وزينب بنت خزيمة عليه رضوان الله تعالى.

وقد قيل: أن أم المؤمنين زينب بنت خزيمة رضي الله عنها هي التي وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهي المقصودة بقوله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ {الأحزاب: ٥٠}.

قال الإمام النووي في شرحه على صحيح الإمام مسلم: وَاخْتَلَفُوا فِي الَّتِي وَهَبَتْ نَفْسهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ الزُّهْرِيّ: هِيَ مَيْمُونَة . وَقِيلَ: أُمّ شَرِيك . وَقِيلَ: زَيْنَب بِنْت خُزَيْمَةَ .

وقد أسلفنا أنها أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها على الصحيح.

وفاتها رضي الله عنها:

لم تلبث أم المؤمنين زينب بنت خزيمة رضي الله عنها وأرضاها عند النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً، حيث مكثت عنده قرابة الثمانية أشهر، وقيل: شهران أو ثلاثة، ثم انتقلت إلى الرفيق الأعلى في السنة الرابعة من الهجرة في شهر ربيع الآخر، وعلى هذا القول، أي: أنها مكثت عنده شهرين أو ثلاثة.. فإنه صلى الله عليه وسلم لم يتزوجها في رمضان.

وقيل: أن وفاتها رضي الله عنها كانت في شهر ربيع الأول، كما في (سبل الهدى والرشاد)، وعلى هذا لم يكن زواجها بالنبي صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان على القولين، القول بأنها مكثت ثمانية أشهر، والقول بأنها شهرين أو ثلاثة؛ لأنها لو تزوجت في رمضان ومكثت ثمانية أشهر فلن يكون موتها في ربيع الأول؛ بل في ربيع الثاني، ولو مكثت شهرين أو ثلاثة فإن موتها سيكون إما في ذي القعدة أو ذي الحجة.

وفي (السيرة النبوية) لابن سيد الناس أنه صلى الله عليه وسلم تزوجها في شهر رمضان على رأس أحد وثلاثين شهراً من الهجرة، ومكثت عنده ثمانية أشهر وتوفيت في آخر شهر ربيع الآخر على رأس تسعة وثلاثين شهرا من الهجرة، فهذا القول يستقيم أنه تزوج في رمضان ومكثت عنده ثمانية أشهر وتوفيت في ربيع الآخرة.

وصلى عليها النبي صلى الله عليه وسلم ودفنها بالبقيع وقد بلغت الثلاثين من عمرها.

وهي أول من مات من نسائه بعد أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، إذ لم يمت ممن في عقده من نسائه في حياته إلا أم المؤمنين خديجة، وأم المؤمنين زينب بنت خزيمة عليهن رضوان الله.

وقد يقع البعض في الخطأ عندما يجعل المقصود من حديث أطولكن يداً هي أم المؤمنين زينب بنت خزيمة، كما ورد في حديث أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي اللهُ عَنْهَا أَنَّ بَعْضَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَ لِلنَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّنَا أَسْرَعُ بِكَ لُحُوقًا، قَالَ:((**أَطْوَلُكُنَّ يَدًا**)) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

والصحيح أن المقصود هي أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها كما ذكرنا ذلك في ترجمتها؛ لأنه صلى الله عليه وسلم سئل عن أسرعهن

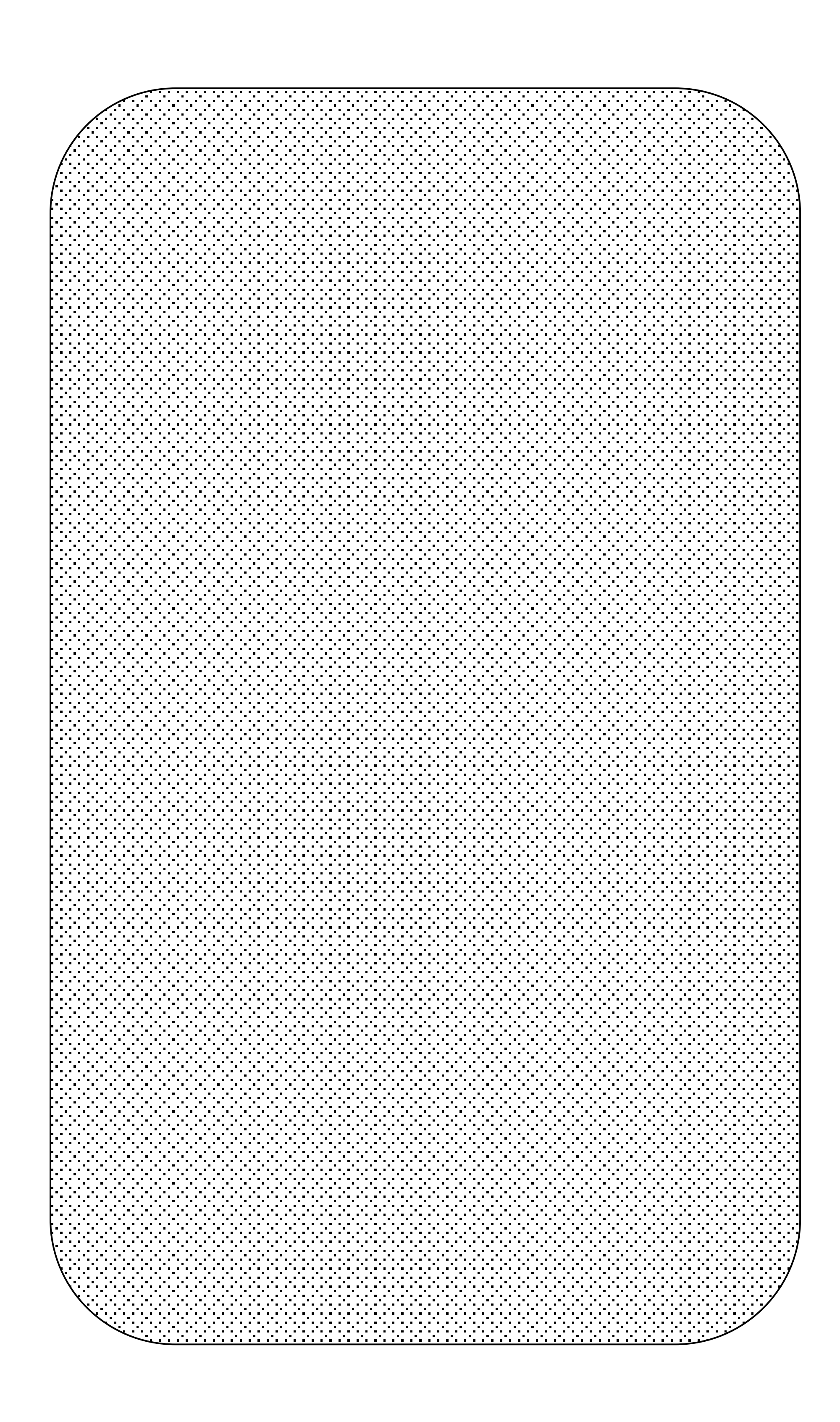
لحوقا به وفي لفظ مسلم أنه هو صلى الله عليه وسلم قـال:((**أَسْرَعُكُـنَّ لَحَاقًـا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا**)) واللحوق لا يكون إلا بعد موته صلى الله عليه وسلم، وأم المؤمنين زينب بنت خزيمة سبقته إلى الدار الآخرة ولم تلحقه، كما بـين ذلـك الحافظ ابن حجر في الإصابة.

وقد أسكن النبيُ صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين أم سلمة بيت أم المؤمنين زينب بنت خزيمة بعد موتها، فقد أخرج بن سعد عن شيخه الواقدي بسند له إلى أم سلمة قالت: لما خطبني النبي صلى الله عليه و سلم فذكر قصة تزويجه بها.. فأدخلني بيت زينب بنت خزيمة فإذا جرة فيها شيء من شعير، فأخذته فطحنته ثم عصدته في البرمة، وأخذت شيئا من إهالة فأدمته، فكان ذلك طعام رسول الله صلى الله عليه و سلم.

فرحم الله أم المؤمنين زينب بنت خزيمة رحمة الأبـرار، وجمعنـا بهـا في جنات تجري من تحتها الأنهار إنه عزيز غفار. آمين اللهم آمين.



اللاتي تزوج بهن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بهن



اللاتي تزوج بهن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بهن

تزوج النبي صلى الله عليه وسلم نساءً من غير من ذكرنا ولم يدخل بهن، وأحببنا هنا ذكرهن للفائدة وهن:

عمرة بنت يزيد بن الجَون الكندية:

وقد كانت زوجاً للفضل بن العباس بن عبدالمطلب فطلقها، ثم تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم، كما في (سبل الهدى والرشاد).

وقد أختلف أهل السير في اسمها، فقيل: أميمة بنت الحارث. قال في عمدة القارئ:((اسمها أميمة وقال الكرماني مصغر الأَمَة، قلت: مصغر الأمة أمية، وهذه أميمة مصغر أُمَّة بضم الهمزة وتشديد الميم)) اهـ.

وقيل: أن اسمها أسماء بنت النعمان بن الحارث بن شراحيل، وقيل: بنت النعمان بن الأسود بن الحارث بن شراحيل الكندية، كما في (الإصابة).

وقيل: أميمة بنت النعمان بن شراحيل، وقال مرة: أميمة بنت شراحيل فنسبت لجدها، كما في (الفتح).

وقيل: هي فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابي، والصحيح أن فاطمة بنت الضحاك هي امرأة أخرى كما سيأتي إن شاء الله تعالى قريبا في كلام الحافظ بن حجر، وقيل: هي سبا بنت سفيان بن عوف بن كعب بن عبيد بن أبي بكر بن كلاب، كما في (المستدرك) للحاكم.

وقيل: هي عمرة بنت يزيد بن عبيد بن أوس بن كلاب الكلابية، كما في (سبل الهدى والرشاد).

قال ابن سعد في الطبقات:((وقد اختلف علينا باسمها فقال قائل: هي فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابي، وقال قائل: عمرة بنت يزيد بن عبيد بن رواس بن كلاب بن ربيعة بن عامر، وقال قائل: العالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف بن كعب بن عبد بن أبي بكر بن كلاب، وقال قائل، هي سبا بنت سفيان بن عوف بن كعب بن عبد بن أبي بكر بن كلاب. وقد كتبنا كل ما سمعنا من ذلك)) اهـ.

والأقرب أنها: عمرة بنت يزيد بن الجَون الكندية، كما يتبين ذلك إن شاء الله تعالى قريبا عند ذكر الروايات التي تبين سبب طلاقها، والصحيح أنها لم تكن كلابية قط؛ بل كندية قال الحافظ بن حجر في الفتح:((وقوله الكلابية غلط وإنما هي الكندية، فكأنما الكلمة تصحفت، نعم الكلابية قصة أخرى ذكرها بن سعد أيضا بهذا السند إلى الزهري، وقال اسمها

فاطمة بنت الضحاك بن سفيان فاستعاذت منه فطلقها فكانت تلقط البعر وتقول أنا الشقية. قال وتوفيت سنة ستين)) اهـ

قال القرطبي في تفسيره:((قال الزهري: تزوج فاطمة بنت الضحاك الكلابية فاستعاذت منه فطلقها، وكانت تقول: أنا الشقية.

تزوجها في ذي القعدة سنة ثمان من الهجرة، وتوفيت سنة ستين)) اهـ

أخرج ذلك ابن سعد في الطبقات.

والخلاصة: أن الاختلاف في اسمها كثير جدا بين أهل العلم.

سبب طلاق النبي صلى الله عليه وسلم لها:

اختلف أهل العلم كذلك في سبب طلاق النبي صلى الله عليه وسلم لها على أقوال، وسنذكرها هنا إن شاء الله تعالى:

القول الأول وهو أشهرها:

أشهر الروايات أنها استعاذت من النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في الصحيح: فعن الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ سَأَلْتُ الزُّهْرِيَّ أَيُّ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعَاذَتْ مِنْهُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ عَنْ عَائِشَةَ رضي اللهُ عَنْهَا أَنَّ ابْنَةَ الْجَوْنِ لَمَّا أُدْخِلَتْ عَلَى رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَنَا مِنْهَا

قَالَتْ:(أَعُوذُ بِالله مِنْكَ) فَقَالَ لَهَا:((**لَقَدْ عُذْتِ بِعَظِيمٍ الْحَقِي بِأَهْلِكِ**)) أخرجه البخاري والنسائي وابن ماجة والحاكم وغيرهم.

و عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن عمرة بنت الجون تعوذت من رسول الله صلى الله عليه و سلم حين أدخلت عليه. قال:((**لَقَدْ عُذْتِ بِمُعَاذٍ**)). أخرجه أبو نعيم.

واختلفت الروايات كذلك في هذه القصة وسبب قولها له صلى الله عليه وسلم ذلك، فَعَنْ حَمْزَةَ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ وَعَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَا مَرَّ بِنَا رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابٌ لَهُ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى انْطَلَقْنَا إِلَى حَائِطٍ يُقَالُ لَهُ الشَّوْطُ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى حَائِطَيْنِ مِنْهُمَا، فَجَلَسْنَا بَيْنَهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**اجْلِسُوا**)) وَدَخَلَ هُوَ وَقَدْ أُوتِيَ بِالْجَوْنِيَّةِ فِي بَيْتِ أُمَيْمَةَ بِنْتِ النُّعْمَانِ بْنِ شَرَاحِيلَ، وَمَعَهَا دَايَةٌ لَهَا، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((**هَبِي لِي نَفْسَكِ**)) قَالَتْ: وَهَلْ تَهَبُ الْمَلِكَةُ نَفْسَهَا لِلسُّوقَةِ، قَالَ فَأَهْوَى بِيَدِهِ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهَا لِتَسْكُنَ فَقَالَتْ أَعُوذُ بِالله مِنْكَ، قَالَ:((**لَقَدْ عُذْتِ بِمُعَاذٍ**))، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ:((**يَا أَبَا أُسَيْدٍ اكْسُهَا رَازِقِيَّتَيْنِ، وَأَلْحِقْهَا بِأَهْلِهَا**)) أخرجه البخاري وأحمد.

وفي بعض الروايات أنه أهوى بيده ليقبلها.

والرازقية: ثياب من كتان بيض طوال.

قال في عمدة القاري:(قوله لِلسُّوقَةِ بضم السين المهملة يقال للواحد من الرعية والجمع، وإنما قيل لهم ذلك لأن الملك يسوقهم، فيساقون له على مراده، وأما أهل السوق فالواحد منهم يسمى سوقيا، وقال الجوهري: السُّوقَةُ خلاف الملك، ولم تعرف النبي، لا وكانت بعد ذلك تسمي نفسها بالشقية. قوله فأهوى بيده، أي: أمالها إليها ووقع في رواية لابن سعد فأهوى إليها ليقبلها) اهـ.

فقد كانت ملكة وكل من ليس بملك عندهم فهو من السُّوقة، فعذرها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يغضب منها وهوى بيده ليسكن عليها أو لقبلها، لا ليضربها، فلما استعاذت منه طلقها.

وقال البعض: يحتمل أنها لم تعرفه.

وقد كان ذلك في ربيع الأول سنة تسع من الهجرة.كما في (المستدرك) عند الحاكم، والإصابة، وابن سعد في الطبقات.

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة:(ومن طريق عباس بن سهل عن أبي أسيد قال: لما طلعت بها على قومها تصايحوا وقالوا:إنك لغير مباركة لقد جعلتنا في العرب شهرة فما دهاك؟ قالت: خدعت، فقالت لأبي أسيد: ماأصنع؟ قال: أقيمي في بيتك واحتجبي إلا من ذي رحم محرم، ولا يطمع

فيك أحد، فأقامت كذلك حتى توفيت في خلافة عثمان) اهـ، وأخرج ذلك أيضا ابن سعد في الطبقات.

وذكر بعض أهل السير أن بعض زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنها بذلك وأنه يعجبه أن تقولي له ذلك وسيفرح منك، فعن حمزة بن أبي أسيد الساعدي عن أبيه و كان بدرياً قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه و سلم أسماء بنت النعمان الجونية، فأرسلني فجئت بها، فقالت حفصة لعائشة: اخضبيها أنت، و أنا أمشطها، ففعلتا، ثم قالت لها إحداهما: إن النبي صلى الله عليه و سلم يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول أعوذ بالله منك، فلما دخلت عليه و أغلق الباب و أرخى الستر.. مدَّ يده إليها فقالت: أعوذ بالله منك فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم بكمه على وجهه فاستتر به، و قال:((**عُذْتِ بِمُعَاذٍ**)) ثلاث مرات. قال أبو أسيد ثم خرج إليَّ فقال:((**يَا أَبَا أُسَيْدٍأَلْحِقْهَا بِأَهْلِهَا وَ مَتِّعْهَا بِرَازِقِيَّيْنِ**)) يعني كرباسين، فكانت تقول: أدعوني الشقية. أخرجه الحاكم.

لكن في المستدرك نفسه أن التي قالت لها ذلك هي امرأة من المدينة ولا يشترط كونها من أمهات الممؤنين فعن عبد الواحد بن أبي عون الدوسي قال: قدم النعمان بن أبي جون الكندي، و كان ينزل وبنو أبيه نجداً مما يلي الشربة، فقدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم مسْلِماً فقال: يا رسول الله

صلى الله عليه و سلم ألا أزوجك أجمل أيم في العرب كانت تحت ابن عم لها فتوفي عنها فتأيمت وقد رغبت فيك و خطبت إليك، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه و سلم على اثنتي عشرة أوقية ونش، فقال: يا رسول الله لا تقصر بها في المهر، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم:((**ما أصدقت أحداً من نسائي فوق هذا و لا أصدق أحدا من بناتي فوق هذا**)) فقال النعمان بن أبي جون: ففيك الأسى فقال:فابعث يا رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى أهلك من يحملهم إليك، فإني خارج مع رسولك فمرسل أهلك معه، فبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم أبا أسيد الساعدي، فلما قدما عليها.. جلست في بيتها، و أذنت له أن يدخل، فقال أبو أسيد: إن نساء رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يراهن الرجال. قال أبو أسيد و ذلك بعد أن نزل الحجاب، فأرسلتْ إليه فيسر لي أمري. قال: حجاب بيتك و بين من تكلمين من الرجال إلا ذا محرم منك، فقبلت فقال أبو أسيد: فأقمت ثلاثة أيام، ثم تحملت مع الظعينة على جمل في محفة، فأقبلت بها حتى قدمت المدينة، فأنزلتها في بني ساعدة، فدخل عليها نساء الحي فرحبن بها و سهلن و خرجن من عندها، فذكرن جمالها، و شاع ذلك بالمدينة، و تحدثوا بقدومها. قال أبو أسيد الساعدي: و رجعت إلى النبي صلى الله عليه و سلم و هو في بني عمرو بن عوف فأخبرته، و دخل عليها **داخل من النساء** لما

بلغهن من جمالها، و كانت من أجمل النساء، فقالت: إنك من الملوك، فإن كنت تريدين أن تحظي عند رسول الله صلى الله عليه و سلم فاستعيذي منه فإنك تحظين عنده و يرغب فيك. أخرجه الحاكم وابن سعد في الطبقات.

وأخرج بن سعد في الطبقات عن بن مناح قال: استعاذت من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وكانت قد دلهت وذهب عقلها، وتقول إذا استأذنت على أزواج النبي: أنا الشقية، وتقول: إنما خدعت.

وقد ساق ابن سعد هذه الرواية عند ذكر الكلابية التي أختلف في اسمها، وذكر من ضمن الأقوال أنها عمرة بنت الجون.

وقد تقدم أن التي كانت تسمى الشقية هي فاطمة بنت الضحاك، كما اخرج ذلك ابن سعد في الطبقات.

وعن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى قال: الجونية استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل لها: هو أحظى لك عنده، ولم تستعذ منه امرأة غيرها، وإنما خدعت لما رؤي من جمالها وهيئتها، ولقد ذكر لرسول الله من حملها على ما قالت لرسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**إِنَّهُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ وَكَيْدُهُنَّ عَظِيْم**)). أخرجه ابن سعد في الطبقات.

وعن زهير بن معاوية الجعفي قال:أنها ماتت كمدا.أخرجه ابن سعد في الطبقات.

ولم يرتض بعض أهل العلم هذا القول وردوه، ومنهم ابن عبدالبر كما نقله عنه عمدة الحفاظ ابن حجر في الفتح واعترض عليه، فقال:(قال بن عبد البر اجمعوا على أن النبي صلى الله عليه و سلم تزوج الجونية، واختلفوا في سبب فراقه، فقال: قتادة لما دخل عليها دعاها، فقال: تعال أنت فطلقها، وقيل: كان بها وضح كالعامرية. قال وزعم بعضهم أنها قالت أعوذ بالله منك، فقال: قد عذت بمعاذ، وقد أعاذك الله مني، فطلقها. قال وهذا باطل؛ إنما قال له هذا امرأة من بني العنبر، وكانت جميلة، فخاف نساؤه أن تغلبهن عليه، فقلن لها أنه يعجبه أن يقال له نعوذ بالله منك، ففعلت، فطلقها، كذا قال –أي اين عبدالبر- وما أدري لم حكم ببطلان ذلك مع كثرة الروايات الواردة فيه، وثبوته في حديث عائشة في صحيح البخاري)اهـ.

لكن الحافظ ابن حجر بعد ذلك رد هذا القول كأبن عبدالبر،حيث قال في الإصابة:(وهذا باطل إنما قالت هذا امرأة أخرى من بني سليم.

وقال أبو عبيدة: كلتاهما عاذتا بالله منه، وقال غيره: المستعيذة امرأة من بني العنبر من سبى ذات الشُقُوق) اهـ

وذات الشُقُوق بضم الشين المعجمة وبالقافين أولاهما مضمومة، وهي اسم منزل بطريق مكة، كما في (عمدة القري).

ورد من لم يرتضي الول بأنها استعاذت من النبي صلى الله عليه وسلم رواية أبي نعيم عن عائشة المتقدمة بأن في سندها عبيد بن القاسم وهو متروك.

القول الثاني:

أنه صلى الله عليه وسلم عندما دخل عليها ودخلت عليه.. دعاها فقالت: تعال أنت، وأبت أن تجيء.

القول الثالث:

أنها هي اختارت الفراق عندما خيَّر النبي صلى الله عليه وسلم زوجاته، وقيل: أن التي اختارت ذلك هي الكلابية الآتي الحديث عنها إن شاء الله تعالى وليس الكندية، وفي الأخبار كثير تضارب لا يمكن الجزم بالأمر، لذلك قال الحافظ بن حجر في الإصابة:(والاختلاف في الكندية كثير جداً، والإضطراب فيها وفي صواحبها اللاتي لم يدخل بهن كثير) اهـ

وعن بن عمر أن النبي صلى الله عليه و سلم حين خير نساءه كانت التي اختارت نفسها امرأة من بني هلال. أخرجه الطبراني.

القول الرابع:

أنه صلى الله عليه وسلم بعد أن دخل بها وجد بها عيباً، وهو بياض في جسمها، ففارقها، كما في (الاستيعاب) لابن عبد البر .

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة بن سهل عن أبيه قال: فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم أخت بني جون الكندية من أجل بياض كان بها.

القول الخامس:

إن أباها وضعها للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: وأزيدك أنها لم تمرض قط، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((ما لهذه عند الله من خير))، ففارقها، كما في (سبل الهدى والرشاد).

وورد أن المهاجر بن أبي أمية تزوجها، فأراد عمر معاقبتها، فقالت: ما ضرب علي الحجاب، ولا سميت أم المؤمنين، فكف عنها. أخرجه الحاكم.

العالية بنت ظبيان بن عمرو الكلابية

اسمها:

الْعَالِيَةُ بِنْتُ ظَبْيَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفِ بْنِ عَبْدِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ كِلَابٍ .

وقد أختلف أيضا في اسمها كما اختلف في الكندية؛ بل روي فيها ما روي في الكندية كذلك؛ لهذا قال الحاكم في (المستدرك):(حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بطة ثنا الحسن بن الجهم ثنا الحسين بن الفرج ثنا محمد بن عمر قال: و الكلابية فقد اختلف في اسمها، فقال بعضهم: هي فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابي، و قال بعضهم: هي عمرة بنت زيد بن عبيد بن رواس بن كلاب بن عامر، و قال بعضهم: هي سبا بنت سفيان بن عوف بن كعب بن عبيد بن أبي بكر بن كلاب، و قال بعضهم: هي العالية بنت ظبيان، و قال بعضهم: و لم تكن إلا كلابية واحدة، و إنما اختلف في اسمها، و قال بعضهم: بل كن جميعاً و لكن لكل واحدة منهن قصة غير قصة صاحبتها) اهـ،

وقد ورد فيها من الأخبار ما ورد في الكندية؛ لكثرة الخلاف في ذلك.

هل دخل بها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أم لا؟

أختلف أهل السير كذلك في دخوله بها صلى الله عليه وسلم، فذكر بعضهم أنه دخل بها، وبقيت عنده مدة من الزمن، قال الحافظ بن كثير في سيرته:(قال الزهري: وقد تزوج العالية بنت ظبيان بن عمرو، من بنى بكر بن كلاب، ودخل بها وطلقها.

قال البيهقى: كذا في كتابي، وفى رواية غيره: ولم يدخل بها فطلقها)اهـ.

وقال ابن عبدالبر في ا(لاستيعاب):(وكانت عنده ما شاء الله ثم طلقها، وقل من ذَكَرَهَا) اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في (الإصابة):(تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت عنده ما شاء الله، ثم طلقها، كذا قاله أبو عمر، فمقتضاه أن تكون ممن دخل بهن) اهـ.

وقال في عمدة القاري:(وقال الزهري تزوج رسول الله العالية بنت طبيان ودخل بها وطلقها، وقيل: لم يدخل بها وطلقها) اهـ.

وقال أبو حفص عمر بن علي الأنصاري الشهير بابن الملقن في كتابه (غاية السول في خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم)عند ذكر من مات

من زوجاته في حياته صلى الله عليه وسلم:(العالية بنت ظبيان دخل بها، ومكثت عنده ما شاء الله، ثم طلقها) اهـ.

وأخرج ابن سعد في الطبقات قال: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب قال: حدثني رجل من بني أبي بكر بن كلاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج العالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف بن كعب بن عبد بن أبي بكر بن كلاب، فمكثت عنده دهراً، ثم طلقها.

وقال آخرون: أنه لم يدخل بها، ففي السنن الكبرى للبيهقي:(وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم العالية بنت ظبيان بن عمرو من بنى أبى بكر بن كلاب، ولم يدخل بها فطلقها – وفي رواية يعقوب فدخل بها فطلقها –) اهـ.

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير، وعبدالرزاق في المصنف:(ونكح امرأة من بنى كلاب بن ربيعة يقال لها العالية بنت ظبيان، وطلقها حين أُدخلت عليه) اهـ.

وقال ابن عبدالبر في الاستيعاب:(العالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف بن عبد بن أبي بكر بن كلاب الكلابية. تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغه أن بها برصاً فطلقها ولم يدخل بها) اهـ.

وقال في (الإصابة):(ومن طريق معمر عن يحيى بن أبي كثير قال: نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأةً من بني ربيعة يقال لها العالية بنت ظبيان وطلقها حين أدخلت عليه) اهـ.

وأخرج أبو نعيم عن يحيى بن أبي كثير، قال: « نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من بني ربيعة، يقال لها: العالية بنت ظبيان، فطلقها حين أدخلت به »

سبب الطلاق:

أختلف كذلك أهل السير في سبب طلاق النبي صلى الله عليه وسلم لها بما اختلفوا فيه في الكندية، والأقرب أنه صلى الله عليه وسلم حينما دخل بها وجد بها بياضا فطلقها، ولم يكن رآها من قبل، كما مرَّ الكلام قريباً عن ابن عبدالبر في (الاستيعاب).

وقيل: أنها اختارت الفراق حين خير رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه

وقيل: أنها هي التي استعاذة من النبي صلى الله عليه وسلم؛ لكن رد الحافظ ابن حجر هذا القول فقال:(والصحيح أن التي استعاذت منه هي الجونية، وروى بن سعد من طريق سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى قال: لم تستعذ منه امرأة غيرها. قلت وهو الذي يغلب على الظن؛ لأن ذلك إنما

وقع للمستعيذة بالخديعة المذكورة، فيبعد أن تخدع أخرى بعدها بمثل ما خدعت به بعد شيوع الخبر بذلك) اهـ. وفي ذلك إشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم تزوج الكلابية بعد الكندية.

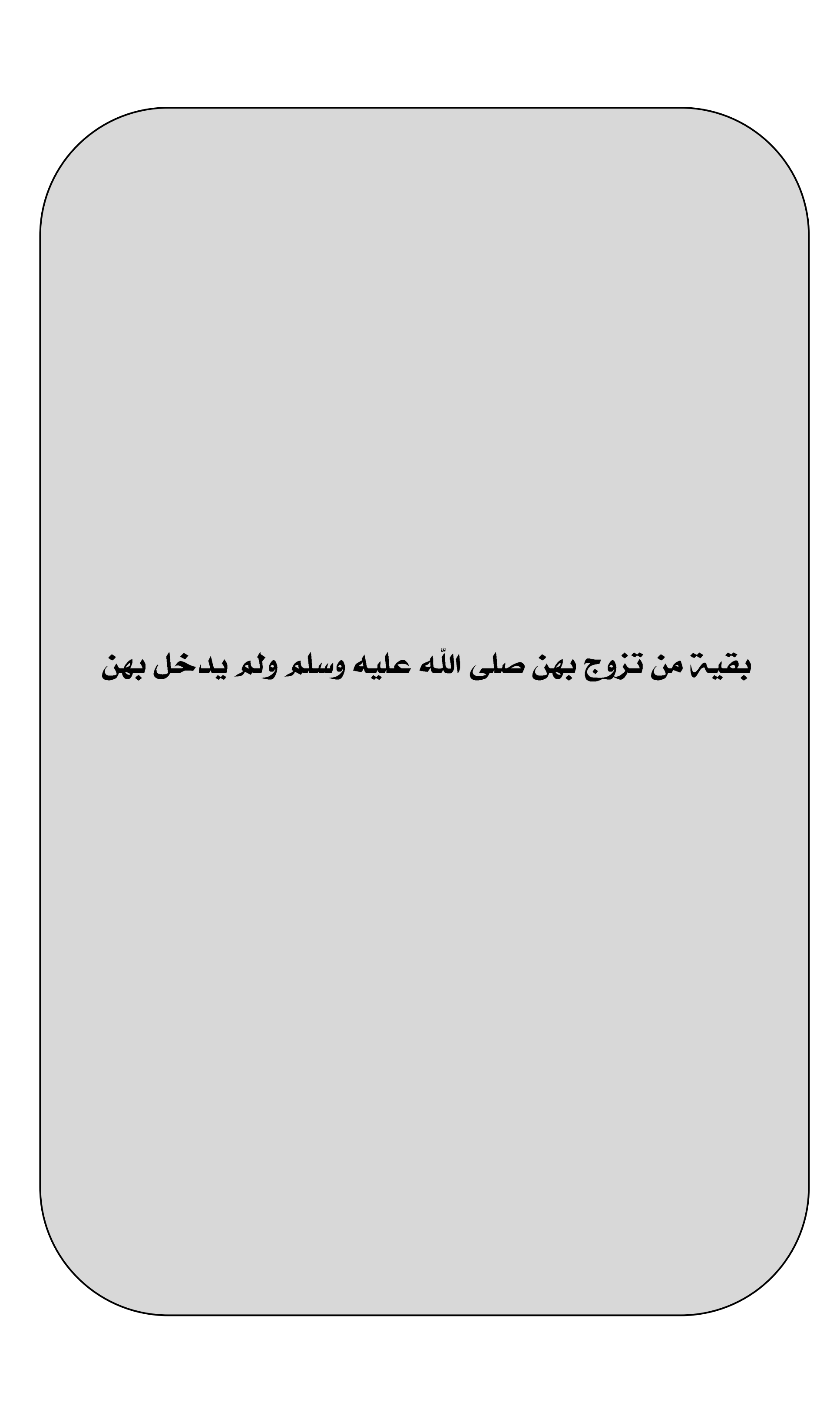
وقد طلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل تحريم نكاح زوجاته؛ فلهذا تزوجت وولدت، فعن معمر عن الزهري: أن النبي صلى الله عليه و سلم طلق العالية بنت ظبيان، فتزوجها بن عم لها؛ وذلك قبل أن يحرم نكاحهن على الناس، وولدت له. أخرجه عبدالرزاق في مصنفه.

وعند البيهقي في سير أعلام النبلاء: وقال ابن شهاب: طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم العالية بنت ظبيان ؛ فنكحها ابن عم لها ؛ فولدت له.

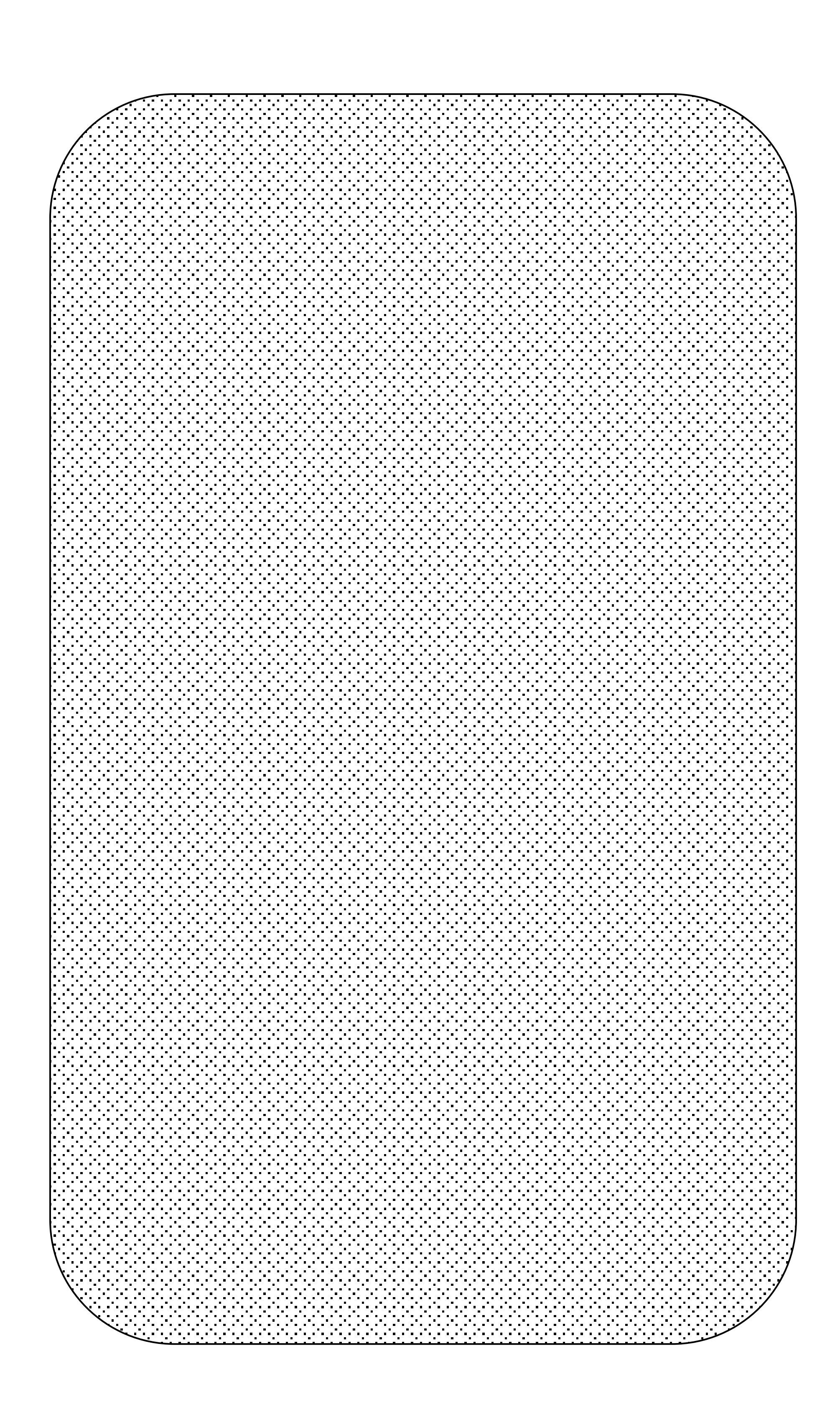
وقال الحافظ ابن حجر في (الإصابة):(وقال بن منده لما ذكر الأزواج: وطلق العالية بنت ظبيان، وبلغنا أنها تزوجت قبل أن يحرم الله النساء، فنكحت بن عم لها من قومها، وولدت فيهم) اهـ.

وقال في (الإصابة) كذلك:(وكان يقال لها أم المساكين) اهـ.

والصحيح كما أسلفنا أن التي كان يقال لها أم المساكين هي أم المؤمنين زينب بنت خزيمة رضي الله عنها وأرضاها.



بقية من تزوج بهن صلى اللّه عليه وسلم ولم يدخل بهن



بقية من تزوج بهن صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بهن

ولْننقل هنا ما في كتاب (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) للشيخ محمد بن يوسف الصالحي الشامي

عن من تزوج بهن صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بهن وإن كان الكلام فيهن متضارب ومختلف كثيرا جدا.. إلا أنه لا مانع من ذكر ذلك للفائدة فحسب.

قال في (سبل الهدى الرشاد):

((الباب الرابع عشر في ذكر من عقد عليها ولم يدخل بها صلى الله عليه وسلم على خلاف في بعضهن، هل هي ممن عقد عليها أم لا ؟ والكلام في ذلك طويل الذيل، والخلاف فيه منتشر، حتى قال في زاد المعاد بعد أن ذكر النسوة اللاتي دخل بهن: وأما من خطبها ولم يتزوج بها فنحو أربع أو خمس.

قال الحافظ الدمياطي: هو ثلاثون امرأة، وأهل السير وأحواله لا يعرفون هذا بل ينكرونه، والمعروف عندهم أنه بعث إلى الجونية ليتزوجها، فدخل عليها ليخطبها، فاستعاذت منه، فأعاذها ولم يتزوجها، وكذلك

الكلابية، وكذلك من رأى بكشحها بياضاً، فلم يدخل بها، والتي وهبت نفسها له فزوجها غيره على سور من القرآن، هذا هو المحفوظ، وإذا علم ذلك فأذكر ما وقفت عليه منهن.

الأولى: هي خولة بنت الهزيل بن الهبيرة بن قبيصة بن الحارث بن حبيب حرفة بن ثعلبة بن بكر بن حبيب بن عمرو بن ثعلبة الثعلبية، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكره الجرجاني النسابة، وهلكت في الطريق قبل أن تصل إليه، كما نقله أبو عمر بن عبد البر عن الجرجاني النسابة، وذكرها أيضا المفضل بن غسان الْغَلَّابِيِّ بغين معجمة مفتوحة، فتحتية، فلام على الصحيح في تاريخه عن علي بن صالح عن علي بن مجاهد، فذكر مثل ما تقدم وزاد، فَحُمِلَتْ إليه من الشام، فماتت في الطريق، وأمها خرنق بنت خليفة، أخت دحية الكلبي.

الثانية: عمرة بنت يزيد بن الجون الكلابية – وقد ذكرنا أنها كندية وليست كلابية كمفي كلام الحافظ في (الفتح) – وقيل: عمرة بنت يزيد بن عبيد بن أوس بن كلاب الكلابية، قال أبو عمر: وهذا أصح، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعوذت منه حين دخلت عليه، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لقد عذت بمعاذ)، فطلقها، ثم أمر أسامة

بن زيد فمتعها بثلاثة أثواب. قال أبو عمر: هكذا روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها.

قال قتادة: كان ذلك في امرأة من سليم، وقال عبيدة: كان ذلك لاسماء بنت النعمان ابن الجون، وهكذا ذكره ابن قتيبة، وقال في عمرة هذه: إن أباها وضعها للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: وأزيدك أنها لم تمرض قط، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:**((ما لهذه عند الله من خير))** .

وروى الطبراني برجال ثقات غير شيخه القاسم بن عبد الله، وهو ضعيف، وقد وثق عن سهل بن حنيف رضي الله تعالى عنه قال: فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم أخت بني عمرو بن كلاب وأخت بني جون الكندية من أجل بياض كان بها.

وروى الطبراني برجال ثقات عن عثمان بن أبي سليمان رحمه الله تعالى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح امرأة من كندة ولم يجامعها، فتزوجت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففرق عمر بينهما، وضرب زوجها، فقالت: اتق الله، يا عمر إن كنت من أمهات المؤمنين، فاضرب علي

الحجاب، وأعطني مثل ما أعطيتهن، قال: أما هنالك فلا، قالت: فدعني أنكح، قال: لا، ولا نعمة ! ولا أطمع في ذلك أحد .

وروى ابن أبي خيثمة، والامام أحمد عن ابن أسيد رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهينا إلى حائط يقال له الشوط، فجئنا حتى انتهينا إلى حائطين جلسنا بينهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجلسوا هاهنا، ودخل هو فأتى بالجونية، فأُنزلت في بيت أميمة بنت النعمان، ومعها دايتها حاضنة لها، فلما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**هيئي نفسك لي**))، قالت: وهل تهب الملكة نفسها للسوقة، فأهوى بيده يضع يده عليها لتسكن فقالت:(أعوذ بالله منك ! قال:((**عذت بمعاذ**))، ثم خرج علينا، فقال: يا أبا أسيد، اكسها رازقين، وألحقها بأهلها. رواه البخاري تعليقا .

وروي عن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: إن عمرة بنت الجون تعوذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أدخلت عليه، قالت: إني أعوذ بالله منك، فقال: لقد عذت بمعاذ، فطلقها، وأمر أسامة أو النساء بثلاثة أثواب وأوقية، وقيل: إنه بلغه أن بها بياضا، فطلقها ولم يدخل بها.

وروى البخاري وأبو داود عنها أن ابنة الجون لما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنا منها قالت: أعوذ بالله منك ! فقال: " لقد عذت بعظيم، الحقي بأهلك ".

الثالثة: أسماء بنت الصلت: جزم بها الحافظ مغلطاي في الاشارة. وقال في الزهد وذكر الحاكم في الإكليل أنه تزوجها ولم يدخل بها، وقال الحافظ قطب الدين الحلبي في (المورد العذب): ذكرها أحمد بن صالح من أزواجه صلى الله عليه وسلم. قال القطب: وذكرها الحاكم، وقال: من بني حَرام، بحاء مهملة مفتوحة فراء، من بني سُلَيْم، بضم السين المهملة وفتح اللام وسكون التحتية، لم يدخل بها، وقال الحافظ أبو الفضل بن حجر في القسم الرابع في (الاصابة) فيمن ذكر في الصحابة غلطا: انفرد قتادة بتسميتها أسماء وإنما اسمها سنا بنت أسماء، قلت: وفي ذلك نظر ! قال قتادة: وذكر أسماء وسنا كما رواه ابن عساكر عنه، وتابع قتادة الحافظ أحمد بن صالح المصري، وناهيك به اتفاق على الأولى.

الرابعة: أسماء بنت كعب الجونية فلم يدخل بها، وجرى على ذلك في (المورد والزهد)، وقال الحافظ ابن حجر في (الاصابة): أسماء بنت كعب تأتي في أسماء بنت النعمان، وكأنها عنده واحدة، ولم يذكر في ترجمة ابن

النعمان أنه يقال لها: ابنة كعب، ولا ذكر ذلك في نسب أبيها في ترجمته والظاهر أن ابنة كعب غير ابنة النعمان، وإن كان كل منهما من بني الجون، والجون يأتي ضبطه.

الخامسة: أسماء بنت النعمان بن الجون، ويقال: ابن أبي الجون بن شرحبيل، قال الحافظ ابن حجر في –(لاصابة): وقيل: بنت النعمان بن الاسود إلى آخره، وجرى على ذلك في (العيون)، فعلى ما في (المورد) فالاسود على القول الثاني أبوها، وعلى ما في (الاصابة) جدها، قال الحافظ أبو الفتح اليعمري في (العيون): ولا أراها والتي قبلها إلا واحدة.

قال الحافظ أبو عمرو بن عبد البر: أجمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها، واختلفوا في قصة فراقها، فروي ابن أبي خيثمة عن قتادة رحمة الله عليه قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل اليمن أسماء بنت النعمان من بني الجون، فلما دخلت عليه، دعاها فقالت: تعال أنت، وأبت أن تجئ.

وروى بعضهم أنها قالت: أعوذ بالله منك. قال: لقد عذت بمعاذ، فقد أعاذك الله، فطلقها، وهذا باطل.

إنما قال هذا لامرأة من بني سليم سيأتي فيها، وأعرب صاحب (الزهد) فقال: إن آمنة بنت الضحاك الغفارية وَجَدنَ بكشحها بياضا، ويقال: هي آمنة بنت الضحاك كلابية، فزاد آمنة ثانية، ولا ذكر لهما في كتب الصحابة.

وقيل: كان لها وضح كوضح العامرية، ففعل بها كما فعل بالعامرية، أي كما سيأتي، ثم روي مثله عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، وزاد أبو عبيدة: فكانت تسمي نفسها الشقية.

وقال آخرون: إن هذه التي عاذت بالله من النبي صلى الله عليه وسلم من سبي بني النضير يوم ذات الشقوق.

قال أبو عبيدة: كلتاهما عاذتا بالله.

السادسة: آمنة، ويقال لها: فاطمة بنت الضحاك بن سفيان، جزم بها في الاشارة، ونقل في الزاهر وصاحب المورد اللفظ الثاني، عن أحمد بن محمد بن النقيب التكريتي أنه قال في كتابه (العين): كتاب في علم الانساب. قال كعب بن يزيد الانصاري: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة من بني غفار، فلما أراد الدخول بها وجد بكشحها بياضاً.

وروى الامام أحمد وابن أبي خيثمة عن زيد بن كعب بن عجرة أن امرأة من غفار تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد بكشحها بياضاً، فقال:((الحقي بأهلك))، ولم يأخذ مما آتاها شيئاً.

وروى الطبراني بسند ضعيف عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة من أهل البادية، فوجد بكشحها بياضاً، ففارقها قبل أن يدخل بها، وكان يقال لها آمنة بنت الضحاك، وقيل: بل هي أسماء بنت النعمان، من بني كلاب، قلت: هذا الكلام غير محرر، فإن بني كلاب وبني غفار غيران، ولم أجد لآمنة بنت الضحاك ذكراً فيما وقفت عليه من كتب الصحابة، والله أعلم.

السابعة: أميمة بنت شراحبيل.

روى البخاري عن أبي أسيد سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أميمة بنت شراحبيل، فلما دخلت عليه بسط يده إليها فكأنها كرهت ذلك، فأمر أبا أسيد أن يكسوها ثوبين رازقين. قلت: ذكر أميمة بنت شراحبيل في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مغلطاي في الاشارة والزهد، والقطب الحلبي في المورد، وأبو الفتح

بن سيد الناس في العيون ، وأغرب الحافظ ابن حجر في الاصابة، فزعم أن أميمة بنت شراحبيل هي ابنة النعمان بن شراحبيل، ولم يذكر لذلك مستنداً، بل حديث أبي أسيد يرد عليه، فإنه فيه أنها نزلت في بيت في محل أميمة بنت النعمان بن شراحبيل إلى آخره، فكيف يكونان واحدة ؟ والظاهر أن ابنة شراحبيل عمة ابن النعمان، ولم أر من فيه على ذلك، والحق أحق أن يتبع.

الثامنة: أم حَرام، كذا في حديث سهيل بن حنيف رضي الله تعالى عنه ولم يزد.

التاسعة: سلمى بنت نجدة بالنون والجيم كما في (الاشارة والزهد) بخط مغلطاي، وقال في (المورد): بنت عمرة بن الحارث اللبيبة، ونُقل عن أبي سعيد عبد الملك النيسابوري في كتابه (شرف المصطفى) أنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نكحها فتوفي عنها، وأبت أن تتزوج بعده، قلت: ولم أر لها ذكراً فيما وقفت عليه من كتب الصحابة.

العاشرة: سبا بنت سفيان بن عوف بن كعب بن أبي سفيان بن أبي بكر بن كلاب، ذكرها ابن سعد عن نافع عن ابن عمر، ذكرها في (المورد)، ولم يزد.

قلت: وهي بالموحدة بعد السين المهملة، قال الحافظ في (الاصابة): سبا بنت سفيان، ويقال: بنت الصلت الكلابية تأتي في سنا بالنون.

الحادية عشرة: سنا بفتح السين المهملة، وتخفيف النون بنت أسماء بنت الصلت بن حبيب بن جابر بن حارثة بن هلال بن حرام بن سماك بن عفيف بن امرئ القيس بن سليم السلمية، ذكرها أبو عبيدة معمر بن المثنى فيما رواه أبو خيثمة عنه، وابن حبيب فيمن تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلقها قبل أن يدخل بها، وقال أبو عبيدة: وهي عمة عبد الله بن خازم بمعجمتين، ابن أسماء بن الصلت أمير خراسان، ونقل أبو عبيدة أن بعضهم سماها وسنا بزيادة واو، ونسبها ابن حبيب إلى جدها، فزعم أنها بنت الصلت، وأن أسماء أخوها لا أبوها، وبالأول جزم ابن إسحاق وجماعة، رجحه ابن عبد البر، وحكى الرشاطي عن بعضهم أن سبب موتها أنها لما بلغها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها سرت بذلك حتى ماتت من الفرح.

وروى ابن أبي خيثمة عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال: زعم حفص بن النضير السلمي وعبد القاهر بن السري السلمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أسماء بنت سنان بن الصلت، فماتت قبل أن يدخل بها،

قال: كذا قالا، وخالفهما قتادة، فقال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بالميم الصلت من بني حرام بن سليم، فلم يدخل بها. قلت: إن صح ما قالاه، وما قاله، فالتي بالنون بنت أخي التي بالميم.

الثانية عشرة: الشاة، روى المفضل بن غسان الْغَلَّابِيِّ في تاريخه من طريق سيف بن عمر عن أبي عمر عثمان بن مقسم عن قتادة قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة امرأة، فدخل بثلاث عشرة ثم قال: وأما الثلاث عشرة اللاتي بنى بهن، فخديجة إلى أن قال: ميمونة بنت الحارث إلى آخره، وأم شريك بنت جابر بن حكيم إحدى بني معيص، إلى أن قال: والشاة بنت رفاعة هؤلاء من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من بني رفاعة من بني قريظة، فأصيبوا معهم يوم أصيبوا فانقرضوا، ثم قال: وأما الشاة حين خير نساءه بين الدنيا والاخرة، فاختارت بعد أن تتزوج بعده، فطلقها إلى آخره، وظاهر كلام قتادة أن هذه بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم أقف لها على ذكر فيما وقفت عليه من كتب الصحابة حتى ولا في (الاصابة) لشيخ الاسلام ابن حجر مع سعة اطلاعه، وعثمان بن مقسم متروك.

الثالثة عشرة: شَرَاق، بفتح الشين المعجمة، وتخفيف الراء، وبالقاف بنت خليفة الكلبية أخت دحية، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فماتت في الطريق قبل وصولها إليه.

كما روى المفضل بن غسان الْغَلَّابِيِّ عن علي بن مجاهد وابن سعد عن هشام وابن الكلبي عن شرقي بن قطامي بفتح القاف وتخفيف الطاء المهملة وبعد الالف ميم فتحتية مخففة، وجزم بذلك أبو عمر.

وروى الطبراني، وأبو نعيم، وأبو موسى المديني في ترجمتها من طريق جابر الجعفي عن أبي مليكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب امرأة من بني كلب، فبعث عائشة تنظر إليها، فذهبت ثم رجعت، فقال:((ما رأيت ؟)) قالت: ما رأيت طائلا، قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم :((**لقد رأيت خالا بخدها اقشعرت كل شعرة منك**))، فقالت: ما دونك سر.

الرابعة عشرة: الشنبا في نسختي من (المورد) بشين معجمة، فنون فموحدة فألف تأنيث، وفي النسخة التي وقفت عليها من مقدمات ابن

رشد، الشَيبا بفتح الشين المعجمة، فتحتية، وفي نسخة أخرى كذلك، وفي نسخة ثالثة صحيحة كما في نسختي من (المورد).

وروى ابن عساكر من طريق سيف بن التميمي، والفضل بن غسان الْغَلَّابِيِّ في تاريخه من طريق عثمان بن مقسم عن قتادة، قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة، فدخل بثلاث عشرة، وجمع بين إحدى عشرة، فأما اللتان كملتا خمس عشرة فهما عمرة والشنبا، قال: وأما الشنبا فإنها لما أُدخلت عليه لم تكن باليسيرة، فانتظر اليسر، ومات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم على إثر ذلك، فقالت: لو كان نبيا ما مات أحب الناس إليه وأعزه عليه، فطلقها، وأوجب لها المهر، وحرمت على الازواج.

ذكر ذلك بحروفه ابن رشد في السيرة النبوية في آخر كتابه (المقدمات) وقال أبو جعفر محمد بن جرير: قال بعضهم: تزوج الشنبا بنت عمرو الغفارية، وقيل كانت كتابية فحركت حين دخلت عليه، فذكر ما تقدم، فأفاد ابن جرير أن اسم أبيها عمرو، وأنها غفارية وكتابية، وهي مما فات الحافظ ابن حجر في (الاصابة).

الخامسة عشرة: العالية، بعين مهملة، وكسر اللام، وبالتحتية بنت ظبيان بظاء معجمة، فموحدة ساكنة، فتحتية فألف، فنون، ابن عمرو بن عوف بالفاء ابن عمرو بن كعب بن أبي بكر بن كلاب الكلابية، هكذا سماها الزهري، ورواه عنه الطبراني برجال الصحيح، قال أبو عبيدة هند بنت يزيد بن القرطاب من بني بكر بن كلاب أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا أسيد يخطبها عليه، فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم بها ولم يكن رآها، فلما اهتداها رأى بها بياضاً فطلقها، وقال قتادة: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا أسيد الساعدي إلى امرأة من بني كلاب يخطبها عليه، ولم يكن رآها، فأنكحها إياه أبو أسيد قبل أن يراها، ثم جهزها، فقدم بها عليه، فلما اهتداها رأى بها بياضاً فطلقها.رواها ابن أبي خيثمة فيمن رحل بها، وروى ابن أبي خيثمة هي العالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب فيما بلغني.

وروى ابن أبي خيثمة عن أبي الوليد بن شجاع عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب الزهري، قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم العالية امرأة من بني بكر بن كلاب، فخطبها ثم طلقها.

وروى أيضا عن يونس بن يزيد الايلي عن الزهري قال: فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم أخت بني عمرو بن كلاب، فقال ابن أبي خيثمة كذا قال: بني عمرو، قال ابن سعد: أنبأنا هشام بن محمد بن السائب، حدثني رجل من بني أبي بكر بن كلاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج العالية بنت ظبيان بن عمرو بن كعب بن عمرو بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب، فمكثت عنده دهراً ثم طلقها، قال أبو عمر: ومقتضى هذا أن تكون ممن دخل بها.

وروى الطبراني برجال ثقات إلا شيخه القاسم بن عبد الله الاخميمي، وهو ضعيف، وقد وثق، وبقية رجاله ثقات عنه، ورواه برجالٍ ثقات عن يحيى بن أبي بكر عن سهل بن حنيف رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق العالية بنت ظبيان.

وروى أبو القاسم الطبراني عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف فذكر حديثا طويلا وفيه: وطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم العالية بنت ظبيان، وفارق أخت بني عمرو بن الجون الكندية من أجل بياض كان بها.

قال الزهري: وبلغنا أنها تزوجت قبل أن يحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بنساءه ونكحت ابن عمها من قومها، وولدت فيهم.

ورواه ابن جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة في تاريخه، قال: أنبأنا المنجاب بن الحارث أنبأنا أبو عامر الاسدي حدثنا زمعة بن صالح عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب.

وزاد وسبى جويرية بنت الحارث وصفية بنت حيي، فكانتا مما أفاء الله عليه، فقسم لهما، وهما من زوجاته.

ورواه ابن منده قال: أنبأنا الحسن بن محمد بن حكيم المروزي، أنبأنا أبو الموجه محمد بن عمر بن الموجه الفزاري، أنبأنا عبد الله بن عثمان، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا ابن شريك عن ابن شهاب الزهري.

ورواه يعقوب بن سفيان عنه وزاد: ودخل بها.

وروى البيهقي عنه أنه لم يدخل بها، وهذه الرواية هي الموافقة لكلام غيره.

السادسة عشرة: عمرة بنت معاوية الكندية.

روى أبو نعيم عن علي بن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها.

وقال أيضا عن الشعبي قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها مات.

السابعة عشرة: عمرة بنت يزيد إحدى بنات بنى بكر بن كلاب من بني الوحيد، وكانت تزوجت الفضل بن العباس بن عبد المطلب وطلقها، ثم طلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يدخل بها، ذكره ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير، وقيل في نسبها:

عمرة بنت يزيد بن عبيد بن أوس، وقال أبو عمر بن عبد البر: تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه أن بها بياضا، فطلقها ولم يدخل بها.

وقيل: إنها التي تزوجها فتعوذت منه فطلقها، وأمر أسامة أن يمتعها بثلاثة أثواب.

وذكرها الرشاطي وقال: إن أباها وصفها، وقال: وأزيدك أنها لم تمرض أبدا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ما لهذه عند الله من خير"، فطلقها ، ولم يبنِ بها.

الثامنة عشرة: عمرة بنت يزيد الغفارية. روى ابن عساكر من طريق سيف بن عمر عن سعيد بن أبي عروة عن قتادة أنها لما دخلت عليه، وجردها للنساء، رأى بها وضحاً فردها، وأوجب لها المهر، وحُرِمت على من بعده.

التاسعة عشرة: غزية، بضم الغين المعجمة وبفتح الزاي، وتشديد التحتية، وغزيلة بالتصغير وباللام هي أم شريك.

العشرون: فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابية.

قال ابن إسحاق: تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة ابنته زينب، وخيرها حين أنزلت آية التخيير، فاختارت الدنيا ففارقها، فكانت بعد ذلك تلقط البعر، وتقول: أنا الشقية اخترت الدنيا، وتعقب أبو

عمر بن عبد البر كلام ابن إسحاق بكلام تعقبه فيه الحافظ ابن حجر في كتابه (الاصابة) بما يراجع[1]، وتقدم الكلام عليها في أميمة.

---

(١) قال في الإصابة:((قال أبو عمر: هذا عندنا غير صحيح؛ لأن بن شهاب يروي عن أبي سلمة وعروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين خير أزواجه بدأ بها فاختارت الله ورسوله قال: وتتابع أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلهن على ذلك.

وقال قتادة وعكرمة: كان عنده حين أخبرهن تسع نسوة وهن اللاتي توفي عنهن وكذا قال جماعة: إن التي كانت تقول أنا الشقية هي التي استعاذت واختلف في المستعيذة اختلافاً كثيراً ولا يصح فيها شيء وقد قيل: إن الضحاك بن سفيان عرض عليه ابنته فاطمة وقال: أنها لم تصدع قط فقال: " لا حاجة لي بها " وقد قيل: إنه تزوجها سنة ثمان. انتهى كلام بن عبد البر. ويحتاج كلامه إلى شرح وعليه في بعضه مؤاخذات: أما حديث بن شهاب بما ذكر فهو في الصحيح.

لكن آخره: وأبي سائر... وأما قول قتادة فأخرجه... وأما قول عكرمة فأخرجه... وأما قوله: وهن اللاتي توفي عنهن.. ففيه نظر؛ لأن آية التخيير كانت... وتزوج بعد ذلك...

وأما الذي قال: إن التي كانت تقول أنا الشقية هي المستعيذة.. فهو قول حكاه الواقدي عن بن مناح قال: استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا لا يبطل قول بن إسحاق إن الكلابية اختارت وكانت تقول: أنا الشقية؛ لأن الجمع ممكن.

وأما قوله: اختلف في المستعيذة اختلافاً كثيراً.. فهو حقٌّ فقال بن سعد: اختلف علينا في الكلابية اختلف علينا في اسمها، فقيل: فاطمة بنت الضحاك بن سفيان، وقيل: عمرة بنت يزيد بن عبيد، وقيل: سنا بنت سفيان بن عوف، ثم قيل: هي واحدة اختلف في اسمها، وقيل: ثلاث، ثم أسند عن الواقدي عن بن أخي الزهري عن الزهري قال: هي فاطمة بنت الضحاك دخل عليها فاستعاذت منه فطلقها، فكانت تلقط البعر وتقول: أنا الشقية.

الحادية والعشرون: قُتَيْلَة، بضم القاف وفتح الفوقية، فياء ساكنة تحتية، وباللام بنت قيس بن معدى كرب الكندية أخت الاشعث بن قيس،

وأسنده بالسند المذكور عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكلابية، فلما دخلت عليه فدنا منها.. قالت: أعوذ بالله منك. فقال: " لقد عذت بعظيم الحقي بأهلك " .

ومن طريق عبد الواحد بن أبي عون عن أم مناح بتشديد النون وبالمهملة قالت: كانت التي استعاذت قد ولهت وذهب عقلها، وكانت تقول: إذا استأذنت على أمهات المؤمنين: أنا الشقية وتقول: إنما خدعت.

ومن طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: كان دخل بها ولكنه لما خير نساءه اختارت قومها ففارقها فكانت تلقط البعر وتقول: أنا الشقية.

وقيل: إن المستعيذة سنا بنت النعمان بن أبي الجرن أسنده بن سعد عن الواقدي عن محمد بن يعقوب بن عتبة عن عبد الواحد بن أبي عون. وقيل: أسماء بنت النعمان بن أبي الجون أسنده عن الواقدي عن عمرو بن صالح عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن هشام بن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن بن عباس. ومن طريق أبي أسيد الساعدي كالقصة التي في الصحيح وفي آخرها: فكانت تقول: ادعوني الشقية.

ومن وجه آخر عن أبي أسيد أن المستعيذة توفيت في خلافة عثمان.

وأما قوله: ولا يصح منها شيء، فعجيب، فقد ثبتت قصتها في الصحيح من حديث أبي أسيد الساعدي إلا أن كان مراده بنفي الصحة الجزم بالكلابية دون غيرها فهو ممكن على بعده.

وأما قوله: إن الضحاك بن سفيان عرض عليه ابنته، وقال: أنها لم تصدع.. فأخرجه في الصحيح))اهـ.

قال الطبراني في المعجم الكبير: تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بها حتى فارقها.

وروى ابن أبي خيثمة عن عبيد وابن حبيب قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه وفد كندة قتيلة أخت الاشعث بن قيس في سنة عشر، ثم اشتكى في النصف من صفر، ثم قبض يوم الاثنين ليومين مضيا من شهر ربيع الأول، ولم تكن قدمت عليه ولا دخل بها، وفي لفظ: ولا رآها.

وروى أبو نعيم وابن عساكر من طرق قوية الاسناد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلة أخت الاشعث بن قيس، فمات قبل أن يخيرها، فبرأها الله تعالى منه أي من التخيير.

وروى أيضا عن الشعبي أن عكرمة بن أبي جهل تزوج قتيلة بنت قيس، فأراد أبو بكر الصديق أن يضرب عنقه، فقال له عمر بن الخطاب: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفرض لها، ولم يدخل بها، وارتدت مع أخيها، فَبَرِأَتْ من الله ورسوله، فلم يزل حتى لف منه، ومن الغريب ما

رواه ابن سعد بسند ضعيف جدا عن عروة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تزوج قتيلة بنت قيس، ولا تزوج كندية إلا أخت بني الجون فملكها، فلما أتى بها وقدمت عليه، نظر إليها، فطلقها، ولم يبن بها.

قلت: ويحتمل أنه أراد بعدم الزواج الدخول، وإلا فقد ورد من طرق كثيرة لا يمكن ردها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج قتيلة والله تعالى أعلم، ووقَّت بعضهم تزويجه إياها فزعم أنه تزوجها قبل وفاته بشهرين، وزعم آخرون أنه تزوجها في مرضه، وزعم آخرون أنه أوصى أن تخير قتيلة إن شاءت يضرب عليها الحجاب، وتحرم على المؤمنين، وإن شاءت تنكح من شاءت، فاختارت النكاح فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بحضرموت، فبلغ أبا بكر رضي الله تعالى عنه فقال: لقد هممت أن أحرق عليها.

فقال عمر: ما هي من أمهات المؤمنين، ولا دخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ضرب عليها الحجاب، وزعم بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوص فيها بشئ، وأنها ارتدت فاحتج عمر على أبي بكر بأنها

ليست من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بارتدادها، فلم تلد لعكرمة إلا مخيلا.

الثانية والعشرون: ليلى بنت الخَطِيم، بفتح الخاء المعجمة، وكسر الطاء المهملة ابن عدي بن عمرو بن سواد بن ظَفر بفتح الظاء المعجمة ابن الخزرج الانصارية الدوسية الطبرية، أخت قيس بن الخطيم.

روى ابن أبي خيثمة وابن سعد من طريق هشام بن محمد بن السائب عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أقبلت ليلى بنت الخطيم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مولٍ ظهره إلى الشمس فضربت على منكبه، فقال: من هذا أكل الأسد ؟ وكان كثيرا ما يقولها فقالت: أنا بنت مطعم الطير، ومنادي الريح، أنا ليلى بنت الخطيم جئتك لاعرض عليك نفسي تزوجني قال: " قد فعلت " فرجعت إلى قومها، فقالت: قد تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: بئس ما صنعت ! أنت امرأة غيرى والنبي صلى الله عليه وسلم صاحب نساء تغارين عليه، فيدعو الله تعالى عليك فاستقيليه نفسك، فرجعت، فقالت: يا رسول الله، أقلني قال: " قد أقلت "، فتزوجها مسعود بن أوس بن سواد بن ظفر، فولدت له، فبينا هي في حائط من حيطان المدينة تغتسل إذ وثب عليها

الذئب؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل بعضها، فأُدركت، فماتت.

الثالثة والعشرون: ليلى بنت حكيم الانصارية الأوسية، قال أبو عمر: ذكرها أحمد بن صالح المصري في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكرها غيره، وجوز ابن الاثير أن تكون هي التي قبلها؛ لأن الخطيم يشبه الحكيم، وأقره في (التجريد) و(الاصابة).

الرابعة والعشرون: مُليكة بنت داود. ذكرها ابن حبيب في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي لم يبنِ بهن، ونقله ابن الاثير وصاحب المورد، وأقروه، قال الحافظ: ذكرها ابن بشكول ولم يصح، وسيأتي مليكة بنت كعب فيحرر ذلك.

الخامسة والعشرون: مليكة بنت كعب الكنانية.

روى ابن سعد عن محمد بن عمر عن أبي معشر أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها، وكانت ذات جمال بارع، فدخلت عليها عائشة فقالت لها: أما تستحيين أن تنكحي قاتل أبيك؟ وكان أبوها قتل يوم فتح مكة، قتله خالد بن الوليد، فاستعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلقها

فجاء قومها فقالوا: يا رسول الله، إنها صغيرة، وإنها لا رأي لها، وإنها خُدعت، فارتجعها، فأبي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستأذنوه أن يتزوجها قريب لها من بني عذرة، فأذن لهم فتزوجها العذري.

وروى ابن سعد بسند ضعيف عن عطاء بن يزيد الجندعي قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم مليكة بنت كعب الليثي في شهر رمضان سنة ثمان، ودخل بها فماتت عنده.

قال محمد بن عمرو: وأصحابنا ينكرون ذلك، ويقولون: لم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانية قط.

السادسة والعشرون: هند بنت زيد المعروفة بابنة البرصاء سماها أبو عبيدة معمر بن المثنى في أزواجه صلى الله عليه وسلم .

وقال أحمد بن صالح: هي عمرة بنت يزيد المتقدمة.

تنبيهان: **الأول**: المراد بعدم الدخول، عدم الوطء، لأن من هؤلاء من ماتت قبل الدخول وهي أخت دحية، وبنت الهذيل باتفاق، واختلف في مليكة وسبا هل ماتتا ؟ أو طلقهما مع الاتفاق على أنه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بها، وفارق عليه الصلاة والسلام عمرة بنت الضحاك، وبنت ظبيان

وقبل الدخول بها باتفاق عمرة، وأسماء والغفارية، واختلف في أم شريك هل دخل بها ؟ مع الاتفاق على الفرقة.

والمستقيلة التي جُهل حالها، فالمفارقات باتفاق سبع، واثنتان على خلاف، والمبانات باتفاق أربع، ومات صلى الله عليه وسلم عن عشر، واحدة منهن لم يدخل بها.

وروى الطبراني من طريق عاصم بن عمر العمري وقد ضعفه الجمهور ووثقه ابن حبان، وقال الترمذي متروك عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كانت التي اختارت نفسها من بني هلال.

الباب الخامس عشر في ذكر من خطبها صلى الله عليه وسلم ولم يعقد عليها أو عرضت نفسها أو عرضت عليه

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم نسوة ولم يعقد عليهن لأمر اقتضى ذلك وهن: جُمْرَة، بضم الجيم وسكون الميم وبالراء، بنت الحارث بن عوف بن مرة بن كعب بن ذبيان.

روى ابن أبي خيثمة عن قتادة بن دعامة وأبو عبيدة معمر بن المثنى رحمهما الله تعالى قالا: خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبوها: إن بها سواداً، ولم يكن بها شئ فرجع إليها أبوها وقد برصت، وهي أم شبيب بن البرصاء، قال الحافظ ابن حجر في (الاصابة): جمرة بنت الحارث بن عوف هي البرصاء، تقدمت، وقال في الباء الموحدة: البرصاء والدة شبيب بن البرصاء وذكر نحو ما تقدم، ثم قال: ويقال اسمها أمامة، وقيل: قرصافة.

وقال في القاف: قرصافة بنت الحارث بن عوف يقال: هو اسم البرصاء، وجدها في ترجمة والدها.

وقال في حرف الحاء: من الرجال الحارث بن عوف بن أبي حارثة المزني كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : خطب إليه ابنته، فقال: لا أرضاها لك، إن بها سواداً، ولم يكن بها فرجع فوجدها قد برصت، فتزوجها ابن عمها يزيد بن جمرة المزني، فولدت له شبيبا فعرف بابن البرصاء، واسم البرصاء قرصافة، ذكر ذلك الرشاطي، قلت: فهذا كما ترى لا ذكر لجُمرة في هذه المواضع.

جُمرة بنت الحارث بن أبي حارثة المزنية، ذكرها عبد الملك النيسابوري عن قتادة، هكذا فرَّق الحارث قطب الدين الحلبي في (المورد) بينها، وبين التي قبلها، وليس بجيد، فإنها واحدة بلا شك.

حبيبة بنت سهل بن ثعلبة بن الحارث بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الانصارية.

وروى ابن سعد عن عمرة بنت عبد الرحمن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد هَمَّ أن يتزوج سهلة ثم تركها.

خَوْلة بالخاء المعجمة المفتوحة فواو ساكنة فلام، فتاء تأنيث، وقيل: خويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن مرة بن الأرقص بن مرة بن هلال

السلمية.

روى البخاري في صحيحه عن عروة، ووصله أبو نعيم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم، وقال هشام بن الكلبي كانت ممن وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم. زاد ابن الجوزي في التنقيح فأرجأها، فتزوجها عثمان بن مظعون.

سودة القرشية، روى ابن مندة وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج سودة القرشية، فقالت له: إنك أحب البرية إلي، وإن لي صِبْيَة أكره أن يتضاغوا عند رأسك بكرة وعشية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((**خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ نِسَاءُ قُرَيْشٍ أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ**))، وأصله في صحيح مسلم من وجه آخر؛ لكن لم يسمها، ورواه الإمام أحمد وأبو يعلى بسند لا بأس به.

يتضاغون: بضاد وغين معجمتين - يصيحون.

صفية بنت بَشَامة - بفتح الموحدة وتخفيف الشين المعجمة ابن **نَضْلة**، بفتح النون وسكون الضاد المعجمة.

وروى ابن سعد من طريق محمد بن السائب عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبها وكان أصابها سباء، فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين نفسه الكريمة وبين زوجها، فأرسلها، فلعنتها بنو تميم، ذكرها ابن حبيب من المحبر في هذا الباب.

ضُبَاعة، بضم الضاد المعجمة وتخفيف الموحدة وبالعين المهملة بنت عامر بن فرط ابن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. أسلمت قديما رضي الله تعالى عنها بمكة بعد عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه الكريمة على بني عامر، وهاجرت، ذكرها ابن الجوزي، وابن عساكر في هذا الباب، وكانت من أجمل نساء العرب، وأعظمهن خلقا، وكانت إذا جلست أقدت من الارض شيئا كثيراً، وكانت تغطي جسدها مع عظمة بشعرها، وكانت تحت هَوْذة، بفتح الهاء وسكون الواو وبالذال المعجمة ابن علي الحنفي، فمات عنها، فتزوجها عبد الله بن جدعان فلم يلق بخاطرها، فسألته طلاقها، ففعل، فتزوجها هشام بن المغيرة، فولدت له سلمة، وكان من خيار عباد الله، فلما هاجرت خطبها رسول الله

صلى الله عليه وسلم إلى ابنها فقال: يا رسول الله، ما عنك مدفع فأستأمرها، قال: نعم فأتاها فأخبرها.

فقالت: إنا لله وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأمرني، ارجع إليه، فقل له: نعم.

قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ذهاب ابنها إليها: إن ضباعة ليست كما تعهد، قد كثرت غضون وجهها (وسقطت) أسنانها من فيها، فلما رجع سلمة وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالت: فسكت عنه.

نعامة، عدها وما بعدها في الازواج إن أريد به الخطبة فواضح، وإلا فالانسب ذكرها في الباب قبل هذا فليحرر، ولم يذكر اسم أبيها، وهي من سبي بني العنبر كانت امرأة جميلة عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها، فلم يلبث أن جاء زوجها الحريش الدباغ في ذيل الاستيعاب وأقروه.

أم شريك بنت جابر الغفارية، قال ابن عمر: ذكر أحمد بن صالح في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي لم يدخل بهن.

أم شريك الانصارية، قيل: هي بنت أنس بن رافع بن امرئ القيس بن زيد الانصارية من بني عبد الأشهل، وقيل: هي بنت خالد بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة الانصارية، وقيل: غيرهما، وقيل: أم شريك بنت أبي العسكر بن تيمي، وفي صحيح مسلم عن فاطمة بنت قيس في قصة الجساسة: في حديث تميم الداري قال: وفيه وأم شريك امرأة غنية عظيمة النفقة في سبيل الله عز وجل - ينزل عليها الضيفان، فالله أعلم من هي ؟ وروي ابن أبي خيثمة عن قتادة رضي الله تعالى عنه قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم شريك الانصارية، وقال: إني أحب أن أتزوج من الأنصار، ثم قال: إني أكره غيرة الأنصار، فلم يدخل بها.

أم شريك الدوسية، روى ابن سعد وابن شيبة وعبد بن حميد، وابن جرير وابن المنذر، والطبراني عن علي بن الحسين بن علي في قوله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً ﴾ {الأحزاب: ٥٠} إن أم شريك الازدية هي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم .

ورواه أيضا عن عكرمة، وروى ابن سعد عن عكرمة في الآية قال: هي أم شريك الدوسية، وروى أيضا عن منير بن عبد الله الدوسي أن أم شريك غزية بنت جابر بن حكيم الدوسية عرضت نفسها على رسول الله

صلى الله عليه وسلم وكانت جميلة، فقبلها، فقالت عائشة: ما من امرأة حين وهبت نفسها من خير، قالت أم شريك: فأنا تلك، فسماها الله تعالى- مؤمنة، فقال تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ {الأحزاب: ٥٠} أنا وهبت نفسي للنبي، فلما نزلت هذه الآية قالت عائشة: إن الله ليسرع في هواك.

وروى النسائي برجال ثقات عن أم شريك رضي الله تعالى عنها أنها كانت ممن وهبت نفسها.

وروى البخاري وابن أبي خيثمة عن ثابت قال: كنت عند أنس رضي الله تعالى عنه وعنده بنة له، فقال أنس: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، ألك حاجة ؟ فقالت بنت أنس:مَا أَقَلَّ حَيَاءَهَا وَا سَوْأَتَاهْ !، فقال أنس: هِيَ خَيْرٌ مِنْكِ رَغِبَتْ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ نَفْسَهَا.

وروي برجال ثقات عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها.

أم شريك القرشية العامرية من بني عامر بن لؤي.

قال ابن سعد: كان محمد بن عمر يقول هي من بني معيص بن عامر بن لؤي.

وكان غيره، يقول: هي دوسية من الاسد ثم أسند عن الواقدي عن موسى عن محمد بن إبراهيم عن التيمي عن أبيه، قال: كانت أم شريك من بني عامر بن لؤي معيصية وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها، فلم تتزوج حتى ماتت.

قال الحافظ ابن حجر في (الاصابة) بعد كلام كثير على اختلاف الروايات: والذي يظهر في الجمع أن أم شريك واحدة اختلف من نسبها عامرية من قريش أو أنصارية، أو أزدية من دوس، واجتماع هذه النسب الثلاث يمكن أن يقال: قرشية تزوجت في دوس فنسبت إليهم، ثم تزوجت من الانصار فنسبت إليهم، أو لم تتزوج بل نسبت أنصارية بالمعنى الأعم.

أم هانئ فاخته بنت أبي طالب بن عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمه أبي طالب، وخطبها هبيرة بن عمرو المخزومي، فزوجها أبو طالب هبيرة، فعاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو طالب: يا بن أخي، إنا قد صاهرنا إليهم، والكريم يكافئ الكريم، ثم فرق الاسلام بين أم هانئ وهبيرة فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: كنت أحبك في الجاهلية فكيف في الاسلام؟ وإني امرأة مصيبة- أي: ذات صبية-.

فأكره أن يؤذوك فقال:((**خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ**))

وروى الطبراني برجال ثقات عن أم هانئ قالت: خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: ما لي عنك رغبة يا رسول الله ولكني لا أحب أن أتزوج وبَنِيَّ صغار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((**خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ نِسَاءُ قُرَيْشٍ ، أَحْنَاهُ عَلَى طِفْلٍ فِي صِغَرِهِ ، وَأَرْعَاهُ عَلَى بَعْلٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ**)).

وامرأة لم تسم،-أي: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة لم تسمَّ- قيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب امرأة فقالت: حتى أستأذن من أبي، فأذن لها فعادت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد التحفنا لحافا غيرك، وعرضت عليه صلى الله عليه وسلم امرأتان فردهما لمانع شرعي.

الاولى: أمامة بنت حمزة بن عبد المطلب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**هِيَ ابْنَةُ أَخِي مِنْ الرَّضَاعَةِ**)) أخرجه الإمام أحمد.

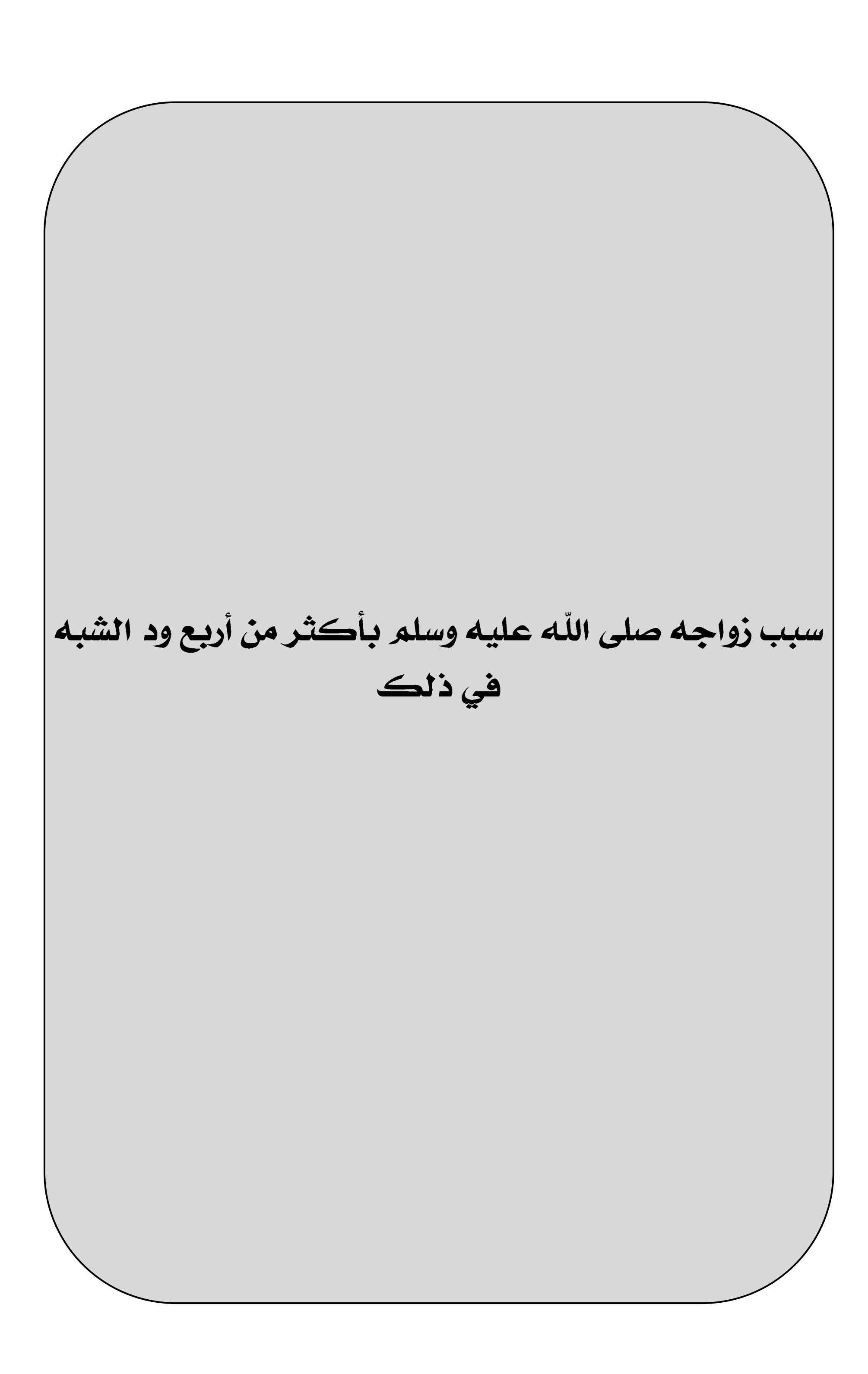
الثانية: عَزَّة بفتح العين المهملة والزاي المشددة بنت أبي سفيان بن حرب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((لا تحل ما كان لي أختها أم حبيبة))، وحديثهما في الصحيح وغيره.

انتهي كلام صاحب (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد).

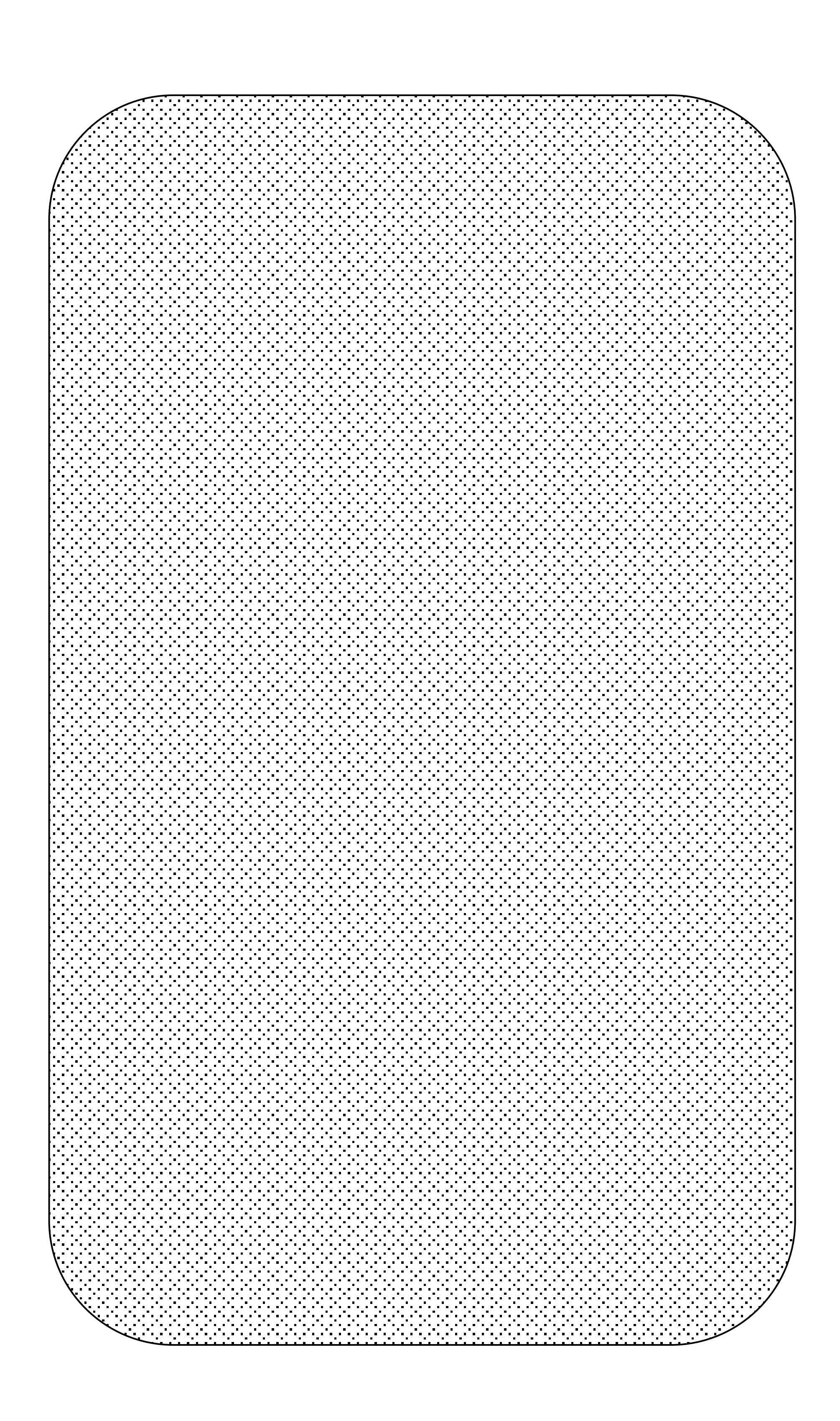
۞والخلاصة:

أن الأخبار فيمن تزوج بهم ولم يدخل بهن كثيرة متضاربة يصعب الجزم فيها وضبطها؛ لكثرة الروايات وتكرارها في كثير منهن، مما يجعل الجزم شبه مستحيل إن لم يكن مستحيلاً.



سبب زواجه صلى اللّه عليه وسلم بأكثر من أربع ورد الشبه في ذلك



سبب زواجه صلى الله عليه وسلم بأكثر من أربع ود الشبه في ذلك

يثير كثر من أعداء الإسلام الحديث عن زواجه صلى الله عليه وسلم وأنه تزوج أكثر من أربع مما يدل على أنه كان يبحث عن شهوته – حاشاه صلى الله عليه وسلم – لذلك وجب رد هذه الشبهة وبيان بطلانها وأنها بعيدة عن الحق، فنقول:

أن هذه التهمة التي يرمي بها أعداء الله ورسوله الحبيبَ الأعظم صلى الله عليه وسلم هي تهمة باطلة بيِّنة البطلان، وذلك من عدة وجوه وهي:

أولاً: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكراً إلا السيدة عائشة عليها رضوان الله تعالى، وبقية نسائه كلهن ثيبات، ولو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يميل إلى الشهوة أو يتزوج من أجل إشباع الشهوة– وحاشاه من ذلك- لاختار أبكاراً، وسيجد الكثير من أجمل نساء العرب يتمنين الزواج به صلى الله عليه وسلم، ونيل الشرف العالي والدخول ضمن مظلة أمهات المؤمنين، فهل يعقل أن رجلاً يرغب بالزواج لمجرد الشهوة فيختار النساء الثيبات؟!.

ثانياً: أن بعض من تزوجهن صلى الله عليه وسلم كن أكبر منه سناً، بل أول امرأة تزوجها صلى الله عليه وسلم كانت أكبر منه بخمسة عشر-

سنة، والرجل في بداية أول زواج له إنما يرغب بالبكر الصغيرة في السن، وهذا في الرجال من ذوي الطباع السليمة، فكيف يكون رجل يتزوج لمجرد الشهوة فيكون أول زواج له بثيب تكبره بخمسة عشر سنة، مع أنه صلى الله عليه وسلم م كان يرغِّب في زواج البكر، ففي الحديث الطويل عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي اللهُ عَنْهُمَا وَفِيْهِ قَالَ لِي حِينَ اسْتَأْذَنْتُهُ:((**هَلْ تَزَوَّجْتَ بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا**)) فَقُلْتُ: تَزَوَّجْتُ ثَيِّبًا، فَقَالَ:((**هَلَّا تَزَوَّجْتَ بِكْرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ**)).

أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

أما أسباب الزواج من هؤلاء النساء اللاتي تزوج بهن.. فهي تختلف كما ذكرنا فيما مضى عند ذكر كل واحدة منهن، وكما سنذكر الآن إن شاء الله تعالى مما يبين لنا أن زواجه صلى الله عليه وسلم بهن لم يكن لعباً أو شهوة؛ بل كانت هناك أسباب داعية إلى هذا الزواج لأغراض شرعية مهمة جداً، وها نحن نبين ذلك بعون الله تعالى :

أولاً: أن تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم أحد أوجه العظمة التي تشهد لها الرأفة، وكمال الخلق وصدق النبوة.

فقد بلغ صلى الله عليه وسلم الخامسة والعشرين من عمره المبارك ولم يُعرف عنه – وهو المعصوم- أنه سعى لامرأة، أو أنه قارف إثماً، وقد تزوج أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وهي التي عرضت نفسها عليه لما رأت من

حسن صفاته وأخلاقه، ولم يكن هو الذي طلبها، وقد كانت تكبره بخمسة عشر سنة كما أسلفنا، وبقي معها يقضي سحابة شبابه ولم يتزوج غيرها حتى توفيت وقد جاوز الخمسين صلى الله عليه وسلم، أي أنه قد قدم شبابه مع أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها أرضاها، ولو كانت أصغر منه سناً لقال القائل أنه صلى الله عليه وسلم لم يطلب غيرها لأنه عنده الصغيرة؛ لكنها كانت تكبره بخمسة عشر سنة وتوفيت وهي في الخامسة والستين رضي الله عنها وأرضاها، ولو كان كما يزعمون لتزوج الثانية والثالثة والرابعة في حياتها؛لأن الفترة والسن الذي عاشها مع أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها هو السن الذي يظهر فيه الميل الشديد إلى النساء عند من لهم في النساء رغبة شديدة وميل عظيم، أما أن يقتصر على خديجة وحدها خلال خمس وعشرين سنة من شبابه وكهولته، فهذا أبلغ رد على من في قلوبهم مرض وعداوة له صلى الله عليه وسلم، وأعظم مقنع لأصحاب العقول السليمة، وطلاب الحق من مسليمن وغير مسلمين.

ثانيا: أن لزواجه صلى الله عليه وسلم بهولاء النساء حِكَمٌ عظيمة وهي:

١) ليكون مع من يُشَاهِدُهَا فَيَزُولَ عنه ما يرميه به المشركون من كونه ساحرا.

٢) الحث لأمته على تكثير النسل.

٣) لِتَشْرُفَ به قبائل العرب بمصاهرته فيهم.

٤) لكثرة العشيرة من جهة نسائه عونا على أعدائه، وعونا له صلى الله عليه وسلم على نشر الدعوة إلى الله وتبليغ الرسالة .

٥) نقل الشريعة التي لا يطلع عليها الرجال، فهناك أمور في الشريعة لا يطلع عليها الرجال وإنما تطلع عليها النساء، فيحتاج نقلها لأكثر من امرأة واحدة.

٦) نقل محاسنه الباطنة بهذا الزواج، فقد تزوج أم حبيبة وأبوها في ذلك الوقت عدوَّه، وصفيةَ بعد قتل أبيها تزوجها، فلو لم تطلع من باطنه على أنه أكمل الخلق لنفرن منه .

ثالثاً: في استعراض زواجه صلى الله عليه وسلم بهن يتبين لنا تلك الأسباب التي دعته للزواج منهن، فكل واحدة منهن تزوجها صلى الله عليه وسلم لسبب ونذكرها هنا لتتبين لنا الأسباب فبزول الوهم، وإذا عُرِفَ السبب بطل العجب، فنقول:

إنه صلى الله عليه وسلم تزوج بعد أم المؤمنين خديجة أَمَ المؤمنين سودة بنت زمعه كما ذكرنا فيما مضى، وقد كانت رضي الله عنها من السابقين الأولين إلى الإسلام، وقد ذكرنا أن زوجها السكران بن عمرو قد توفي في

الحبشة بعد أن هاجر معها، وقد كانت امرأة مُسِنَّة بلغت الستين من عمرها قليلة الجمال لا يرغب فيها الرجال، فكان زواجه منها جبراً لكسرها وأسىً لجرحها، فقد ترملت في الحبشة،وعادت إلى مكة ولم يكن لها أحد، فكافئها صلى الله عليه وسلم على تعبها من أجل الدين بزواجه منها صلى الله عليه وسلم، وقد كانت ابنة خاله الأعلى من جهة جده عبدالمطلب، ثم أنها كذلك عُرِضت عليه صلى الله عليه وسلم كما تقدم، حيث ذكرنا في رواية الإمام أحمد أن خولة بنت حكيم زوجة الصحابي الصادق عثمان بن مظعون قَالَتْ يَا رَسُولَ الله أَلَا تَزَوَّجُ؟ قَالَ:((مَنْ؟)) قَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكْرًا وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا. قَالَ:((**فَمَنْ الْبِكْرُ؟**)) قَالَتْ: ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْكَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ. قَالَ:((**وَمَنْ الثَّيِّبُ؟**)) قَالَتْ: سَوْدَةُ ابْنَت زَمْعَةَ قَدْ آمَنَتْ بِكَ وَاتَّبَعَتْكَ عَلَى مَا تَقُولُ.

ثم بعدها تزوج صلى الله عليه وسلم بأم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها، وهي البكر الوحيدة التي تزوجها، وكان زواجه بها صلى الله عليه وسلم تكريماً لوالدها الصديق الذي ضحى بالكثير من أجل الدعوة إلى الله ونشر الدين، وتوثيقاً لعرى الصداقة بينهما، واعترافاً بفضله وسبقه وتضحياته الكبيرة التي قدمها في سبيل الله، ولم يكن أحد أسعد بهذا الزواج من عائشة رضي الله عنها وأرضاها التي صارت أماً للمؤمنين، ثم أنها

كذلك عُرِضت عليه كما ورد في حديث الإمام أحمد المار قريبا عند ذكر زواجه صلى الله عليه وسلم بأم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها.

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما بعد أن استشهد زوجها خُنَيْسُ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ القرشي في غزوة أحد، وقد ذكرنا كيف أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عرضها على سيدنا أبي بكر الصديق ثم سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنهما، وكيف أنه شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم الأمر، فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم مشكلة صاحبه أجابه صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **((يَتَزَوَّجُ حَفْصَةَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْ عُثْمَانَ وَيَتَزَوَّجُ عُثْمَانُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْ حَفْصَةَ))**. أخرجه ابن عساكر.

فكان زواجه صلى الله عليه وسلم بها تطييبا لخاطره رضي الله عنه وأرضاه، وجبراً لخاطر حفصة المهاجرة الصابرة المحتسبة.

ثم تزوج أم المؤمنين زينب بنت خزيمة وكان زوجها عبيدة بن الحارث أحد المبارزين الثلاثة الذين بدأت بهم المعركة في بدر وأصيب بجرح ومات على إثره، وخلفها وحيدة فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتركها، ولم يتخل عنها وزوجها أول من قتل في أول معركة حاسمة بين الإسلام والكفر.

ثم تزوج أم المؤمنين أم سلمة، وقد مات زوجها أبو سلمة وهو ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا، وقد هاجر أبو سلمة بها إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وشارك في بدر ومات على أثر جرح أصابه في المعركة ونكأ عليه بعد غزوة احد، وقد تحملت أم سلمة في هجرتيها وبعد وفاة زوجها في المدينة المنورة الضر والحزن الكبير، فلهذا خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخفف عنها، وليضم أولاد أبي سلمة وفاء منه صلى الله عليه وسلم لابن عمته وأخيه من الرضاع، وكذلك تكريما لهذه المرأة العظيمة الصابرة ذات النسب العريق، وذات التضحيات الكبرى في الهجرة والصبر على الأذى، والترمل في الغربة، ومن المعلوم أن الرجال حتى لو رغبوا في المرأة الأرملة لا يرغبون في ذات العيال، ولو كان صلى الله عليه وسلم يرغب فيما يقول الأعداء لاختار غيرها، ولما أشغل نفسه بأمر عيالها وتربيتهم ومراعاتهم.

ثم تزوج ابنة عمته أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها وأرضاها، وقد جاء التزويج لها من الله تعالى فليس باختياره صلى الله عليه وسلم، وقد بينا أن سبب ذلك هو أن الله تعالى أراد إبطال عادة الجاهلية في إبطال تحريم زوجة المتبنى على أبيه، وذلك بأمر لا أبلغ في الإبطال منه، وهو

تزوج امرأة الذي يدعى إبنا، ووقوع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم.

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها وأرضاها، وقد كانت في سبايا المسلمين، وقد ذكرنا روايتين في زواجه صلى الله عليه وسلم منهت، فالأولى أنها جاءت إليه ليعينها على دفع الدين الذي عليها بعد أن وقعت في سهم لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسِ فكاتبته، ثم طلب منها رسول الله صلى الله عليه وسلم الزواج بعد أن عرف من تكون، وهذا إنما كان ليعتق من وقع من أهلها في السبي حينما يعلم الصحابة رضوان الله عليهم أن بني المصطلق صاروا أصاهر النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم سيقومون بعتقهم جميعا، وهذا الذي حصل كما جاء عن السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها في الحديث الطويل وفيه: فَقَالَ النَّاسُ أَصْهَارُ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ. قَالَتْ: فَلَقَدْ أَعْتَقَ بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا مِائَةَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا. أخرجه الإمام أحمد.

والرواية الثانية أنه لَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَمَعَهُ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ، وَكَانَ بِذَاتِ الْجَيْشِ.. دَفَعَ جُوَيْرِيَةَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ وَدِيعَةً، وَأَمَرَهُ بِالِاحْتِفَاظِ بِهَا، وَقَدِمَ رَسُولُ

اللهِ الْمَدِينَةَ، فَأَقْبَلَ أَبُوهَا الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضِرَارٍ بِفِدَاءِ ابْنَتِهِ، فَلَمَّا كَانَ بِالْعَقِيقِ نَظَرَ إِلَى الْإِبِلِ الَّتِي جَاءَ بِهَا لِلْفِدَاءِ فَرَغِبَ فِي بَعِيرَيْنِ مِنْهَا، فَغَيَّبَهُمَا فِي شِعْبٍ مِنْ شِعَابِ الْعَقِيقِ، ثُمَّ أَتَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَصَبْتُمْ ابْنَتِي، وَهَذَا فِدَاؤُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**فَأَيْنَ الْبَعِيرَانِ اللَّذَانِ غَيَّبْتهمَا بِالْعَقِيقِ، فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا؟**)) فَقَالَ الْحَارِثُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّك مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَاللهِ مَا اطَّلَعَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا اللهُ، فَأَسْلَمَ الْحَارِثُ، وَأَسْلَمَ مَعَهُ ابْنَانِ لَهُ، وَنَاسٌ مِنْ قَوْمِهِ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْبَعِيرَيْنِ فَجَاءَ بِهِمَا، فَدَفَعَ الْإِبِلَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَدُفِعَتْ إِلَيْهِ ابْنَتُهُ جُوَيْرِيَةُ، فَأَسْلَمَتْ وَحَسُنَ إِسْلَامُهَا، فَخَطَبَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِيهَا، فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا، وَأَصْدَقَهَا أَرْبَعَمِائَةِ دِرْهَمٍ، وكان ذلك لتوثيق صلته صلى الله عليه وسلم بزعماء القبائل، فكانت أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا.

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين أم حبيبة بن أبي سفيان رضي الله عنها، وكان ذلك بعد أن ارتدَّ زوجها عبيدالله بن جحش بأرض الحبشة ومات بها، وبقيت أم حبيبة مع ابنتها حبيبة في الحبشة وحيدة ليس لها بها أحد، فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم لتقع في حمايته ويحترمها الجميع في غربتها عندما يعلمون أنها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأماً

للمؤمنين، فكان زواجه صلى الله عليه وسلم بها تكريمً لها، وجبراً لخاطرها، وكذلك صلة قربى بزعيم مكة أبي سفيان بن حرب، خففت عداوته، وتألف بها قلبه، فلم يرفع بعد ذلك سيفاً حتى دخل الإيمان قلبه غداة فتح مكة.

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب أحد زعماء اليهود، وكانت في سبي خيبر، فأعتقها وتزوجها حتى صارت إحدى أمهات المؤمنين، وكان زواجه بها تعويضا لها عن منزلة أبيها وزوجها، فقد كان أبوها زعيما لليهود، وكان زوجها كِنَانَةُ بن الربيع بن أبي الْحُقَيْقِ النضري صاحب حصن الْقَمُوصِ أمنع حصون خيبر وأمتنها، وهي ابنة نبي الله هارون وعمها موسى بن عمران عليهما السلام، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعلها في منزلة عالية كما كانت، فهي من سلالة عريقة فكيف يجعلها في ملك أي أحد، فأراد تكريمها وإبقائها في منزلتها العالية فزادها شرفا بزواجه منها.

وكان زواجه صلى الله عليه وسلم منها أيضاً دعوة مفتوحة لمن أراد من اليهود الدخول في الإسلام، وإتباع النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، وتخفيفاً من عداوتهم، وإطفاء لنيران أحقادهم لعلهم يتبعون النبي صلى الله عليه وسلم، والذي كانوا معه على ميعاد كما

وصف الله تعالى حالهم بقوله: ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ {البقرة: ٨٩}، وإعلاماً منه صلى الله عليه وسلم بحسن معاملة الإسلام لكل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم مهما كان فعله قبل أن يقولها.

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية، وكانت قد تأيمت من زوجها وهي في السادسة والعشرين من عمرها، وقد تزوجها بعد عودته من عمرة القضاء على بعض الأقوال، والبعض الآخر يقول أنه تزوجها قبل خروجه من المدينة كما ذكرنا ذلك عند ذكرها رضي الله عنها أرضاها، وهي خالة عبدالله بن العباس وخالد بن الوليد، وخالة أولاد جعفر الطيار، وأخت أم المؤمنين زينب بنت خزيمة من جهة الأم، فهي جديرة بهذا التكريم، وقد ذكرنا في رواية من الرواية أنها هي التي عَرَضَتْ نفسها على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن كانت رافضة للزواج من أي رجل، وهي التي طلبت من أختها لبابة الكبرى زوجة العباس أن تحدث العباس في الأمر ليعرضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بعد كل هذا يتبين لنا أنه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج لغرض الشهوة وأن زواجه صلى الله عليه وسلم بنسائه كان لأغراض شرعية عظيمة سامية، وأنه صلى الله عليه وسلم قد تزوج النساء اللاتي يكن معها عونا لنشر الدين والشريعة، فليمسك أهل الزيغ والباطل ألسنتهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم أحقر وأصغر من أن يفهموا حقيقة التشريع وأسراره.

ومما هو جدير بالذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج نساءه قبل أن ينزل القرآن بتحديد الأزواج الأربع، فلما نزل لم يؤمر صلى الله عليه وسلم بتطليقهن بل جاء القرآن الكريم بالنص على حلهن له بلا حرج، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٠ ﴾ {الأحزاب: ٥٠}.

وكفى بذلك رداً على المعترض الجاهل، فإن الله تعالى كان ولا يزال مؤيداً لنبيه صلى الله عليه وسلم، فهل يؤيد الله الخطأ وحاشاه صلى الله عليه وسلم من فعل الخطأ وهو المعصوم.

ثم إن بقاء زوجاته صلى الله عليه وسلم خصوصية من خصوصياته، وخصوصية لنسائه، كخصوصية قيام الليل عليه صلى الله عليه وسلم.

ولو تأملنا في حكمة تحليل أزواجه من قِبَلِ اللهِ وعدم المطالبة له صلى الله عليه وسلم بطلاقهن بعد ا، نزل التحديد بالأربع لرأيناها في غاية الكمال والجمال والعظمة والرحمة والإحسان؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لو كلف بتطليق بعض نسائه لكان هذا الطلاق واقعاً على النسوة المهاجرات أللاتي ترملن وهن غير مشهورات بالجمال، فيكون ذلك خلاف ما كان قد قصد إليه النبي صلى الله عليه وسلم حين تزوجهن، أي أنه سيكون المقصود من الزواج هو الجمال وليس ما ذكرنا آنفاً من الحِكَمِ، وكما أنه سيكون طلاقهن حطّاً لقدرهن، وخدشاً لكرامتهن بعد أن شرفهن الله تعالى بالانتساب إلى أشرف بيت عرفته الأرض، والاقتران بأعظم مخلوق على الإطلاق، فكيف يكون ذلك بعد التشريف، كما أنه لو طلقهن صلى الله عليه وسلم لكان ذلك منافياً لخلقه العظيم ورحمته ورأفته التي شملت العالمين.

إضافة إلى ذلك أن الله تعالى قد أنشأ صلة الأمومة الشعورية بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وجميع المؤمنين، فكيف يزيلها، قال تعالى ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ﴾ {الأحزاب: ٦}.

ثم حرم الله تعالى زوجاته صلى الله عليه وسلم من بعده على المؤمنين، وعدّ ذلك إيذاءً للنبي صلى الله عليه وسلم، واعتداءً على شرف النبوة العظيم، فلو طلقهن صلى الله عليه وسلم لبقين هكذا دون زواج ودون تشريف. قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ {الأحزاب: ٥٣}.



وهل من مات عنها أو طلقها تحرم على غيره أم لا؟

قال ابن عساكر في كتابه (الأربعين في مناقب أمهات لمؤمنين):

ومن مات عنها حرمت على غيره إكراماً له؛ لأن العرب تعتقد ذلك سبة وعاراَ، وهل تحرم مطلقته صلى الله عليه و سلم؟ فيه ثلاثة أوجه، **أحدهما**: تحرم كالمتوفى عنها، **والثاني**: لا تحرم؛ لأنه زهد فيها، وانتهى النكاح نهايته بخلاف الموت، فإن أحكام النكاح باقية من وجه، ولهذا يجوز نظر المرأة إلى زوجها بعد الموت وتغسله اتفاقاً، ويغسلها الزوج عند الشافعي رضي الله عنه، وقال أبو حنيفة لا يغسلها بل تغسله. **والثالث**: وهو الأصح أنه إن بنا بها.. فلا تحل لغيره، وإلا.. حلت، ودليله ما نقل أن عكرمة بن أبي جهل وقيل الأشعث بن قيس تزوج مطلقته، فأنكر عليه عمر رضي الله عنه وأراد فسخ نكاحه، فقال: إنه لم يدخل بها فأقر نكاحه.اهـ



قد يورد بعض الجهلة اليوم شبهة عظيمة حول زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأكثر من أربع بينما بقية المؤمنين لا يجوز لهم أن يجمعوا أكثر من الأربع، ويعد ذلك والعياذ بالله ظلما للمؤمنين، فالجواب عن هذه الشبهة الباطلة هو:

أن الرجل من المسلمين إنما يحرم عليه الجمع بين أربع من النساء في وقت واحد؛ لكن يحق له إذا طلق منهن أن يتزوج غيرهن ولو تزوج بذلك مائة امرأة ما لم يجمع بين أكثر من أربع في آن واحد، إذاً فالرجل من المسلمين يمكنه أن يتزوج أكثر من أربع ؛ لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمكنه أن يتزوج بعد التسع من نسائه اللاتي ذكرناهن، بمعنى أنهن لو متن في يوم واحد أو طلقهن جميعا.. لم يجز له أن يتزوج غيرهن، قال تعالى: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴾ {الأحزاب: ٥٢}.

فمن الذي وسع له ومن الذي ضُيِّق عليه.

الآيات التي نزلت في شأن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

وقد ذكرنا وبينا ذلك أول الكتاب، ولا بأس بذكره هنا لمزيد الفائدة والتذكير :

قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ ﴾ {الأحزاب: ٢٨}.

وقال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾ {الأحزاب: ٦} يعني: أمهات المؤمنين في تعظيم الحرمة وتحريم نكاحهن على التأبيد، فهن كالأمهات لا في النظر إليهن، والخلوة بهن، فإن ذلك حرام في حقهن كما في الاجانب، ولا يقال لبناتهن أخوات المؤمنين، ولا لإخوانهن وأخواتهن أخوال المؤمنين وخالاتهم، فقد تزوج الزبير من أسماء بنت أبي بكر وهي أخت عائشة رضي الله تعالى عنهم وتزوج العباس أم الفضل أخت ميمونة رضي الله عنهم أجمعين، ولم يقل: هما خالتا المؤمنين، ويقال: لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين الرجال دون النساء بدليل ما روي عن مسروق أن امرأة قالت لعائشة رضي الله تعالى عنها: يا أمه، فقالت: لست لك بأم إنما أم رجالكم، فبان بذلك أن معنى الآية أن

الأمومة في الأمة المراد بها تحريم نكاحهن على التأبيد كالأمهات، وهذا قول مرجوح، **والراجح** كما ذكرنا أول الكتاب أن الأمومة شاملة للرجال والنساء، وأن المراد من قول السيدة عائشة عليها رضوان الله هو أننا أمهات رجالكم من حيث حرمة النكاح.

وقلنا أن التعظيم لهن واجب بسبب الأمومة، فلو قلنا أنهن أمهات للرجال فقط لكان معنى ذلك وجوب التعظيم لهن على الرجال دون النساء، وهذا أمر بعيد.

وذكرنا أن الله تعالى إذا ذكر في القرآن لفظ المؤمنين ولم يتبعه بالمؤمنات.. دلَّ ذلك على الجنسين المؤمنين والمؤمنات، أما لو أتبعه بالمؤمنات.. فإن لفظ المؤمنين يدل حينئذٍ على الرجال فقط؛ لأننا نجد في القرآن في بعض المواضع أن الله سبحانه وتعالى يذكر المؤمنين ثم يعقب ذلك بذكر المؤمنات؛ فيدل ذلك على اختلاف الجنسين كما في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ { التوبة: ٧٢ }،وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ {الأحزاب: ٥٨}، وقوله تعالى: ﴿ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ {الأحزاب: ٧٣}، وقوله تعالى: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ {الفتح: ٥}، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ {الحديد: ١٢}، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ {البروج: ١٠} .

في حسن خلقه معهن ومداراته صلى الله عليه وسلم لهن

وكان صلى الله عليه وسلم يبرهن ويصبر عليهن رضي الله تعالى عنهن: فعن أَبِي عَبْدِ الله الْجَدَلِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها: كَيْفَ كَانَ خُلُقُ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِهِ، قَالَتْ: **كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا سَخَّابًا بِالْأَسْوَاقِ وَلَا يُجْزِئُ بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ**. أخرجه الإمام أحمد وبن عساكر.

وروى الحارث بن أسامة والخرائطي وابن عساكر عن عمرة قالت: سئلت عائشة رضي الله تعالى عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا مع نسائه، قالت:(كان كالرجل من رجالكم إلا أنه كان أكرم الناس، وأحسن الناس خلقا، وألين الناس في قومه وأكرمهم، ضحاكا بساماً).

وري ابن سعد عن ميمونة رضي الله تعالى عنها قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة من عندي فأغلقت دونه الباب فجاء يستفتح الباب، فأبيت أن أفتح له، فقال:((**أقسمت عليك أن تفتحي**))، فقلت له:تذهب إلى بعض نسائك في ليلتي؟ قال:((**ما فعلت، ولكن وجدت حقنا من بولي**)).

وعَنْ جَسْرَةَ بِنْتِ دَجَاجَةَ قَالَتْ: قَالَتْ عَائِشَةُ رضي اللهُ عَنْهَا: مَا رَأَيْتُ صَانِعًا طَعَامًا مِثْلَ صَفِيَّةَ صَنَعَتْ لِرَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا فَبَعَثَتْ بِهِ فَأَخَذَنِي أَفْكَلٌ –أي: رعدة من برد أو خوف– فَكَسَرْتُ الْإِنَاءَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله مَا كَفَّارَةُ مَا صَنَعْتُ، قَالَ:((**إِنَاءٌ مِثْلُ إِنَاءٍ وَطَعَامٌ مِثْلُ طَعَامٍ**)). أخرجه أبو داود.

وفي رواية عنها رضي الله عنها قالت: بَعَثَتْ صَفِيَّةُ إِلَى رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطَعَامٍ قَدْ صَنَعَتْهُ لَهُ وَهُوَ عِنْدِي فَلَمَّا رَأَيْتُ الْجَارِيَةَ أَخَذَتْنِي رِعْدَةٌ حَتَّى اسْتَقَلَّنِي أَفْكَلُ فَضَرَبْتُ الْقَصْعَةَ فَرَمَيْتُ بِهَا قَالَتْ فَنَظَرَ إِلَيَّ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَرَفْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِرَسُولِ الله أَنْ يَلْعَنَنِي الْيَوْمَ، قَالَتْ قَالَ أَوْلَى قَالَتْ، قُلْتُ وَمَا كَفَّارَتُهُ يَا رَسُولَ الله، قَالَ :((**طَعَامٌ كَطَعَامِهَا وَإِنَاءٌ كَإِنَائِهَا**)). أخرجه الإمام أحمد.

وعَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ كُلْثُومٍ قَالَتْ: كَانَتْ زَيْنَبُ تَفْلِي رَسُولَ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ وَنِسَاءٌ مِنْ الْمُهَاجِرَاتِ يَشْكُونَ مَنَازِلَهُنَّ وَأَنَّهُنَّ يَخْرُجْنَ مِنْهُ وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِنَّ فِيهِ، فَتَكَلَّمَتْ زَيْنَبُ وَتَرَكَتْ رَأْسَ رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**إِنَّكِ لَسْتِ تَكَلَّمِينَ بِعَيْنَيْكِ تَكَلَّمِي وَاعْمَلِي عَمَلَكِ**)). أخرجه الإمام أحمد.

وروى النسائي وأبو بكر الشافعي عن عائشة رضي الله تعالى عنها – قالت: زارتنا سودة يوما فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينها إحدى رجليه في حجري والاخرى في حجرها فعملت لها حريرة أو قال خزيرة فقلت كلي فأبت فقلت لتأكلي أو لالطخن وجهك فأبت فأخذت من القصعة شيئا فلطخت به وجهها فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجله من حجرها تستقيد مني فأخذت من القصعة شيئا فلطخت به وجهي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فإذا عمر يقول يا عبد الله بن عمر يا عبد الله بن عمر فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما فاغسلا وجوهكما فلا أحسب عمر إلا داخلا .

تعامله مع أهله في بيته صلى الله عليه وسلم:

وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:سَأَلَ رَجُلٌ عَائِشَةَ هَلْ كَانَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا قَالَتْ نَعَمْ كَانَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ. أخرجه الإمام أحمد.

وعَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ رضي اللهُ عَنْهَا:مَا كَانَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي الْبَيْتِ قَالَتْ كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ فَإِذَا سَمِعَ الْأَذَانَ خَرَجَ. أخرجه البخاري.

وعَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قِيلَ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها مَا كَانَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ قَالَتْ كَمَا يَصْنَعُ أَحَدُكُمْ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيُرَقِّعُ ثَوْبَهُ. أخرجه الإمام أحمد.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ:سُئِلْتُ مَا كَانَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ قَالَتْ كَانَ بَشَرًا مِنْ الْبَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ وَيَحْلُبُ شَاتَهُ وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ. أخرجه الإمام أحمد.

وعَنْها رضي الله عنها أَنَّهَا:سُئِلَتْ مَا كَانَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ قَالَتْ كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ. أخرجه الإمام أحمد.

وروى ابن سعد عنها أيضا قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل عمل أهل البيت وأكثر ما يعمل للخياطة.

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**)) أخرجه الترمذي وابن ماجه عن ابن عباس.

وروى ابن عدي عن [علي بن زيد بن جدعان عن أنس] قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم على نسائه إذا دخل عليهن.

عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ رَحْمَةُ الله عَلَيْهِ عَلَى النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعَ صَوْتَ عَائِشَةَ عَالِيًا فَلَمَّا دَخَلَ تَنَاوَلَهَا لِيَلْطِمَهَا وَقَالَ أَلَا أَرَاكِ تَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَى رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْجِزُهُ، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُغْضَبًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ:((**كَيْفَ رَأَيْتِنِي أَنْقَذْتُكِ مِنْ الرَّجُلِ**)) قَالَ فَمَكَثَ أَبُو بَكْرٍ أَيَّامًا ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَهُمَا قَدْ اصْطَلَحَا، فَقَالَ لَهُمَا: أَدْخِلَانِي فِي سِلْمِكُمَا كَمَا أَدْخَلْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**قَدْ فَعَلْنَا قَدْ فَعَلْنَا**)). أخرجه النسائي.

وفي رواية عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى النَّبِيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعَ عَائِشَةَ وَهِيَ رَافِعَةٌ صَوْتَهَا عَلَى رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ:((يَا ابْنَةَ أُمِّ رُومَانَ وَتَنَاوَلَهَا أَتَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَى رَسُولِ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)) قَالَ: فَحَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ جَعَلَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهَا يَتَرَضَّاهَا:((**أَلَا تَرَيْنَ أَنِّي قَدْ حُلْتُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَكِ**)) قَالَ:

ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ يُضَاحِكُهَا، قَالَ فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ:((يَا رَسُولَ الله أَشْرِكَانِي فِي سِلْمِكُمَا كَمَا أَشْرَكْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا))

أخرجه الإمام أحمد.

وأخرج ابن عساكر عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها – أنه كان بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام، فقال لها:((**من ترضين بيني وبينك ؟ أترضين بعمر بن الخطاب ؟**)) قالت: لا، عمر فظ غليظ، قال صلى الله عليه وسلم –:((**أترضين بأبيك بيني وبينك**)) ؟ قالت: نعم، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:((**إن هذه من أمرها كذا ومن أمرها كذا**)) قالت: فقلت: اتق الله، ولا تقل إلا حقا ! قالت: فرفع أبو بكر يده فرشم أنفي، وقال: أنت لا أم لك يابنة أم رومان تقولين الحق أنت وأبوك ولا يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتذر منخري كأنهما عزلاوان – وَالْعَزْلَاء بِالْمَدِّ هُوَ الْمُشَعَّب الْأَسْفَل لِلْمَزَادَةِ الَّذِي يُفْرَغ مِنْهُ الْمَاء – فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم –:((**إنَّا لم ندعك لهذا**)) ! قالت: ثم قام إلى جريدة في البيت فجعل يضربني بها، فوليت هاربة منه فلزقت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم –:((**أقسمت عليك لما خرجت فإنا لم ندعك لهذا**))، فلما خرج قمت فتنحيت رسول الله صلى الله عليه وسلم –، فقال:((**ادني**)) فأبيت أن أفعل، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها:((**لقد كنت من قبل شديدة اللصوق لي بظهري**)).

محادثته ومسامرته صلى الله عليه وسلم لهن

روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها - قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث نساءه حديث الذين خطبوا المرأة، وجعلوا ذكر صفاتهم إلى أحدهم ليصف لها كل واحد منهم من أحبت فتتزوجه، بعد أن سمعت صفته فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ويقول: قال الأول كذا وقال الثاني كذا وكانوا سبعة فكان كلما ذكر واحدا منهم ووصفه تقول بعض نسائه وفي رواية أنها ام حبيبة: أنا اخترت هذا يارسول الله، فيقول لها: رويدك فإني لم أفرغ من حديثهم، وفي رواية: لا تعجلي، قد بقي.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ:حَدَّثَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ حَدِيثًا، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ الله كَانَ الْحَدِيثُ حَدِيثَ خُرَافَةَ، فَقَالَ:((**أَتَدْرُونَ مَا خُرَافَةُ؟ إِنَّ خُرَافَةَ كَانَ رَجُلًا مِنْ عُذْرَةَ أَسَرَتْهُ الْجِنُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَمَكَثَ فِيهِنَّ دَهْرًا طَوِيلًا ثُمَّ رَدُّوهُ إِلَى الْإِنْسِ فَكَانَ يُحَدِّثُ النَّاسَ بِمَا رَأَى فِيهِمْ مِنْ الْأَعَاجِيبِ فَقَالَ النَّاسُ حَدِيثُ خُرَافَةَ**)).

أخرجه الإمام أحمد.

وفي رواية عند ابن أبي الدنيا:((فحدث أن جنياً أمرته أمه أن يتزوج فقال: إني أخشى أن يدخل عليك من ذلك مشقة فلم تدعه حتى زوجته امرأة لها أم فكان يقسم لامرأته ليلة وعند أمه ليلة فكان ليلة عند امرأته وأمه وحدها فسلم عليها مسلم فردت عليه السلام فقال: هل من مبيت؟ قالت: نعم قال: فهل من عشاء. قالت: نعم. قال: فهل من محدث؟ قالت: نعم أرسل إلى ابني فيحدثكم. قال: فما هذه الخشفة التي نسمعها في دارك؟ قالت: هذه إبل وغنم. قال أحدهما لصاحبه: أعط متمنياً ما تمنى. قال: فأصبحت وقد ملئت دارها إبلا وغنماً. قال: فرأت ابنها خبيث النفس، فقالت: ما شأنك لعل امرأتك كلمتك أن تحولها إلى منزلي. قال: نعم. قالت: فحولني إلى منزلها، ففعل. قال: فلبثنا حيناً، ثم أنهما جاءا إلى امرأته، والرجل عند أمه. قال: فسلم مسلم، فردت السلام. قال: هل من مبيت؟ قالت: لا. قال: فهل من عشاء؟ قالت: لا. قال: فهل من إنسان يحدثنا؟ قالت: لا. قال: فما هذه الخشفة التي نسمعها في دارك؟ قالت: هذه السباع فقال أحدهما لصاحبه: أعط متمنياً ما تمنى وإن كان شراً، فملئت دارها سباعاً، فأصبحت قد أكلتها)) .

الخاتمة:

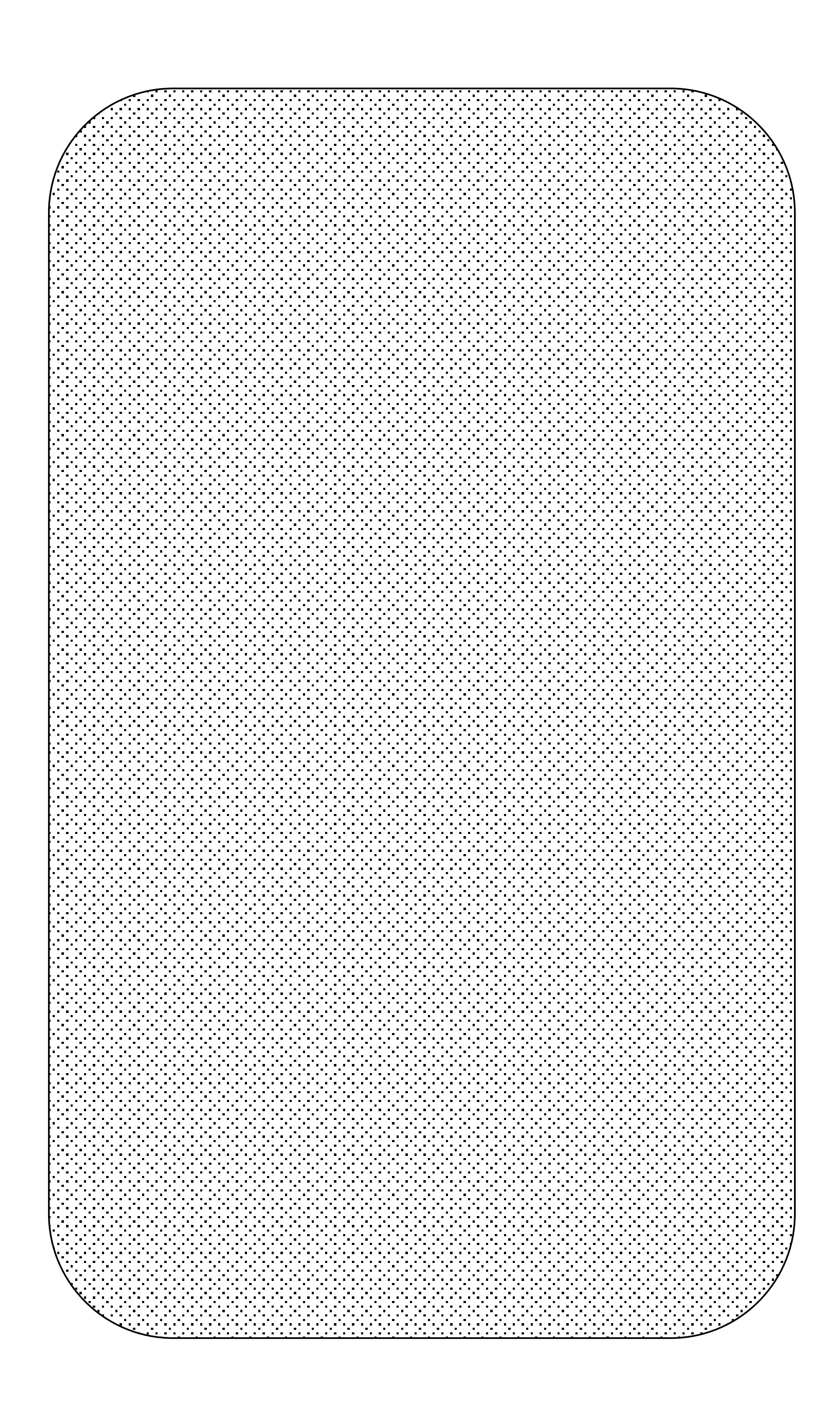
نسأل الله تعالى أن يختم لنا بخير وأن يجعل عاقبتنا خيرا.

وكان الفراغ من هذا الكتاب المبارك إن شاء الله تعالى يوم الأربعاء ٥ ربيع الثاني من عام ١٤٣٥هـ الموافق ٥/ ٢/ ٢٠١٤م.

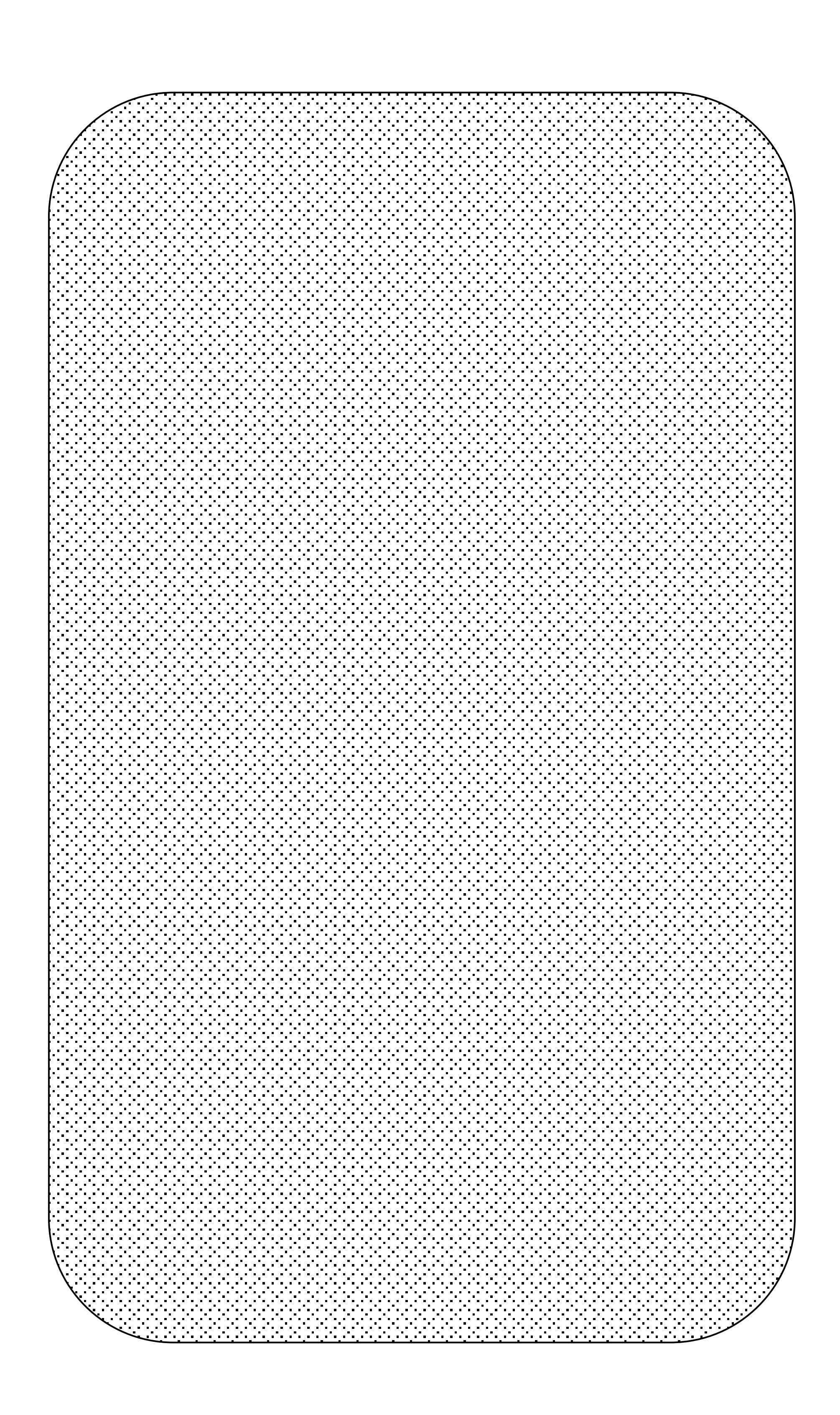
نسأل الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ومقرباً إلى جنات النعيم، وسببا للقرب من النبي الرحيم، ومرافقة لأمهات المؤمنين، وحصول النظر من زوجهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهن ، وأن يغفر لي ولوالدي ومشايخي وأهل بيتي ومن له حق علي، وأن يرزقنا جميعاً الفردوس الأعلى. إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وأصحابه وأزواجه والتابعين.

وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين.



أهم المراجع



أهم المراجع

اسم الكتاب	المؤلف
كتب التفسير	
تنوير المقباس من تفسير ابن عباس	سيدنا ابن عباس رضي الله عنه
جامع البيان في تأويل القرآن	محمد بن جرير الطبري
الوجيز في تفسير الكتاب العزيز	الإمام علي بن أحمد الواحدي
السراج المنير	الشيخ محمد بن أ الخطيب الشربيني
أنوار التنزيل وأسرار التأويل	الإمام عبدالله بن عمر البيضاوي
مفاتح الغيب	الإمام أبو عبد الله محمد الرازي
معالم التنزيل	الإمام أبو محمد الحسين البغوي
البحر المديد في تفسير القرآن المجيد	الإمام أحمد بن محمد بن عجيبة
البحر المحيط	الإمام محمد بن يوسف بن حيّان
الدر المنثور في التفسير بالمأثور	الإمام السيوطي
الجامع لأحكام القرآن	الإمام محمد بن أحمد القرطبي
تفسير القرآن العظيم	أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير
روح المعاني	محمود ابن عبدالله الحسيني الألوسي
لباب التأويل في معاني التنزيل	علي بن محمد الشهير بالخازن

اسم الكتاب	المؤلف
كتب الحديث وشروحه	
الموطأ	الإمام مالك بن أنس
المسند	الإمام محمد بن إدريس الشافعي
المسند	الإمام أحمد بن محمد بن حنبل
الجامع الصحيح	الإمام البخاري
الصحيح	الإمام مسلم بن الحجاج
السنن	الإمام أبو داود
السنن	الإمام الترمذي
السنن	الإمام النسائي
السنن	الإمام ابن ماجة
السنن الكبرى	الإمام النسائي
المصنف	ابن أبي شيبة
السنن	الإمام الدارمي
الصحيح	الإمام ابن حبّان
الصحيح	الإمام ابن خزيمة
المستدرك	الإمام الحاكم

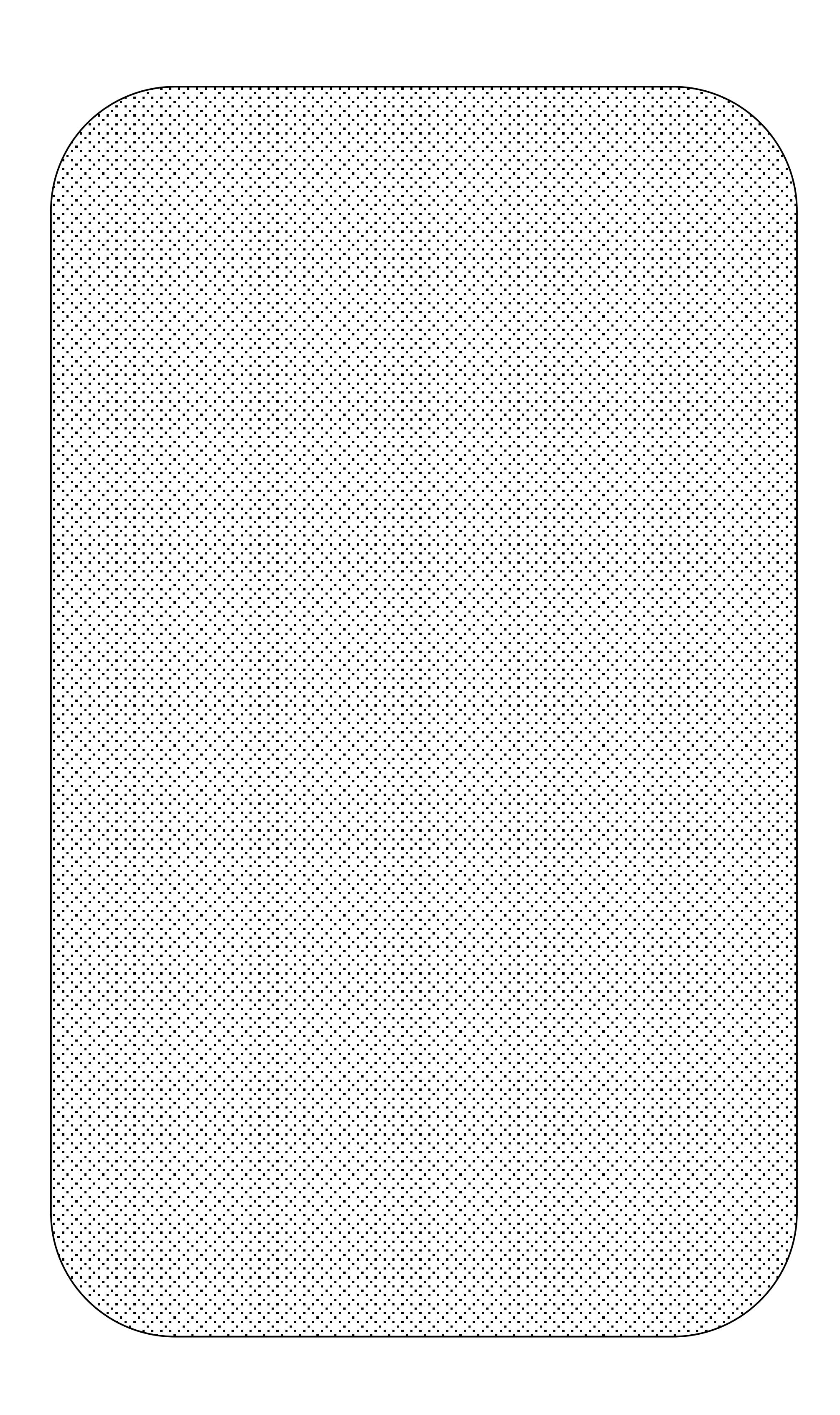
اسم الكتاب	المؤلف
السنن	الإمام علي بن عمر الدار قطني
المعجم الكبير	الإمام سليمان بن أحمد الطبراني
المعجم الأوسط	الإمام سليمان بن أحمد الطبراني
المعجم الصغير	الإمام سليمان بن أحمد الطبراني
دلائل النبوة	الإمام البيهقي
المنتخب من مسند عبد بت حميد	عبد بن حميد بن نصر أبو محمد
مسند أبي يعلى	الإمام أحمد بن علي الموصلي أبو يعلى
مسند البزار	الإمام البزار
الأدب المفرد	الإمام البخاري
كنز العمال	علاء الدين علي المتقي الهندي
المطالب العالية	الحافظ ابن حجر العسقلاني
مسند الحميد	عبدالله بن الزبير أبو بكر الحميدي
غاية المقصد فى زوائد المسند	الحافظ علي بن أبي بكر بن سليمان
الترغيب والترهيب	عبد العظيم بن عبد القوي المنذري
الجامع الصغير	الإمام السيوطي
شرح سنن أبي داود	محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين
فتح الباري شرح صحيح البخاري	الحافظ ابن حجر العسقلاني

المؤلف	اسم الكتاب
الإمام أبو الوليد الباجي	المنتقى شرح الموطأ
الإمام السيوطي	شرح سنن النسائي
الإمام النووي	شرح صحيح مسلم
الشيخ بدر الدين العيني الحنفي	عمدة القاري شرح صحيح
الحافظ زين الدين عبد الرحيم	طرح التثريب
الإمام محمد شمس الحق آبادي أبو	عون المعبود شرح سنن أبي داود
محمد عبد الرحمن المباركفوري	تحفة الأحوذي بشرح جامع
الإمام أحمد بن محمد الطحاوي	مشكل الآثار
الحافظ زين الدين أبي الفرج ابن	فتح الباري شرح صحيح البخاري
الإمام ابن أبي الدنيا	ذم البغي
كتب تخريج الأحاديث	
الإمام أحمد بن محمد بن حجر	التلخيص الحبير
الإمام محمد بن عبد الرحمن	المقاصد الحسنة
الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني	كشف الخفاء
الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر	مجمع الزوائد
الإمام أبو الفرج عبدالرحمن بن	الموضوعات
الإمام الحافظ زين الدين العراقي	تخريج أحاديث الإحياء

اسم الكتاب	المؤلف
كتب الفقه	
الاستذكار	الإمام يوسف بن عبد البر النمري
المجموع شرح المهذب	الإمام النووي
كتب السيرة	
الأنوار المحمدية	الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني
الروض الأنف	عبد الرحمن بن عبدالله السهيلي
السيرة النبوية	الإمام عَبد المَلِكِ بنُ هِشَام الجياني
غاية السول في خصائص الرسول	عمر بن علي الشهير بابن الملقن
الوفاء بتعريف فضائل المصطفى	الإمام عبدالرحمن بن الجوزي
إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون	**الإمام علي بن برهان الدين الحلبي**
الشفا بتعريف حقوق المصطفى	**القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي**
الرحيق المختوم	صفي الرحمن المباركفوري
سبل الهدى والرشاد	الشيخ محمد بن يوسف الصالحي
الدرر في اختصار المغازي والسير	الحافظ ابن عبدالبر
عيون الأثر	محمد بن عبد الله ابن سيد الناس
خلاصة سير سيد البشر	جعفر بن عبد الله بن محمد الطبري
المختصر الكبير فى سيرة الرسول	عز الدين بن جماعة الكتاني

اسم الكتاب	المؤلف
دلائل النبوة	إسماعيل بن محمد الأصبهاني
الطبقات الكبرى	محمد بن سعد البصري الزهري
السيرة النبوية	الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير
السيرة النبوية	محمد بن اسحاق
الخصائص الكبرى	الإمام السيوطي
أعلام النبوة	الإمام علي بن محمد الماوردي
كتب التراجم والطبقات	
لسان الميزان	الحافظ ابن حجر العسقلاني
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء	الإمام الحافظ أبو نعيم
صفة الصفوة	الإمام عبدالرحمن ابن الجوزي
سير أعلام النبلاء	الإمام الذهبي
الإستيعاب في معرفة الأصحاب	الحافظ ابن عبدالبر
الإصابة في معرفة الصحابة	الحافظ ابن حجر العسقلاني
الأعلام	خير الدين الزركلي
الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين	عبد الرحمن بن محمد بن عساكر
أسد الغابة	الإمام ابن الأثير
كتب المعاجم	

اسم الكتاب	المؤلف
المصباح المنير	**العلامة أحمد بن محمد الفيومي**
لسان العرب	محمد بن مكرم بن منظور المصري
تاج العروس	محمد بن محمد الزبيدي
القاموس المحيط	العلامة مجد الدين الفيروزآبادي
مختار الصحاح	محمد بن أبي بكر بن الرازي



فهرس

الموضوع.. الصفحة..

الموضوع.. الصفحة..

الثانية من نسائه صلى الله عليه وسلم

الثالثة من نسائه صلى الله عليه وسلم

الموضوع..	الصفحة..

الموضوع..	الصفحة..

السادسة من نسائه صلى الله عليه وسلم

الموضوع.. الصفحة..

السابعة من نسائه صلى الله عليه وسلم

الثامنة من نسائه صلى الله عليه وسلم

الموضوع.. الصفحة..

التاسعة من نسائه صلى الله عليه وسلم

الموضوع.. الصفحة..

العاشرة من نسائه صلى الله عليه وسلم

الحادية عشرة من نسائه صلى الله عليه وسلم

الموضوع..	الصفحة..

الموضوع..	الصفحة..